

**الشرق الأدنى
فى
العصرين الهلينستى والرومانى**

دكتور: فوزى كاوى

١٩٩٩

الناشر

المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

ت: ٣٦٥٥٤٨٧

الناشر

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات
د. ش. مصطفى طه موصى، المنيل، القاهرة
تليفاكس : ٣٦٥٥٤٨٧

الشرق الأدنى في العصرين الهلينستى والرومانى

د / فوزى مكاوى

رقم الإيداع ٩٨/١٧٣٥٥

الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5841-21-6

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو تخزينه أو تسجيله بأية
وسيلة أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر.

إهداء إلى

أمانى وإيمان وإيناس وأميرة

مقدمة

كان الشرق الأدنى مصدر الإشعاع الحضارى خلال العصور القديمة؛ فعلى أرضه نبتت الحضارة المصرية وحضارات ما بين النهرين والشام وآسيا الصغرى والساحل الفينيقي والعبرانيين وغيرهم.

ولكن أهل هذه البلاد فقدوا السيطرة على مقدرات بلادهم بعد إستيلاء الفرس عليها خلال القرنين السابع والسادس ق م. وتلى الفرس الاسكندر وخلفاؤه من بعدهم جاء الرومان. وهذا الكتاب محاولة للغوص فى بحور الشرق خلال الفترات التى تلت سقوط الامبراطورية الفارسية وحتى قيام العصر البيزنطى وهدفه للبحث فى دور هذه المنطقة فى تاريخ عالم ذلك الزمان حضاريا رغم التقلبات السياسية التى شهدتها.

ومحصلة الدراسة التى بين أيدينا تبين أن الشرق ظل

ولما كانت الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة تمتد من
القرن الرابع ق. م الى القرن الرابع الميلادي - ونظرا لأنها
متشعبة الموضوعات فقد توخيت الايجاز في العرض دون
إخلال بالمضمون حتى أقدم هذا العمل في حجم مناسب
للغرض الذي ألف من أجله.

أرجو أن اكون قد وفقت فيما قصدت اليه وعلى الله قصد
السبيل.

فوزى مكاوي

الكتاب الأول

الشرق خلال العصر المملوكي

١ - سيطرة مقدونيا وبداية العصر الهلينستي

دهوض مقدونيا:

سيطرت عدة مدن دول على تاريخ بلاد الاغريق خلال العصر الهلينستي، وهكذا كانت مدن كاثينا واسبرطة وطيبة وأرجوس وكورنثا موطن كل الأحداث الكبرى وطرفا في كل الحروب والمنازعات ومركزا للتحويلات الاجتماعية والعسكرية من بداية القرن السادس ق م على الأقل، ولكن دخلت هذه المدن في فترة اضمحلال وانهايار ابتداء من القرن الرابع وهكذا لاحظنا أن هذه المدن بدأت تتخلى عن مركزها القيادي لمجموعة من المدن الاخرى لم تكن ذات أهمية قبل منتصف القرن الرابع .

ف نجد مثلا مدينة صغيرة هي فوكيس تشغل العالم الاغريقي بعد عام ٢٥٦ ق م لمدة عقد كامل بحربها المقدسة ضد بيوتيا ولوكريس وتساليا ومقدونيا. وفي نفس العقد أيضا نجد الملك موسولوس في مملكة كاريا يتبوا مكانا مهما في عالم الاغريق يصل الى حد أن يكون ضالعا في الأحداث التي أدت الى القضاء على الامبراطورية الاثينية الثانية. ونجد مثلا ثالثا في تساليا حيث استطاع جاسون ملك فيواي Jason of pherae أن يوحد جهود مدن تساليا تحت قيادته وأن عاد الامر لما كان عليه من قبل بمجرد وفاته. وفي الشمال نجد مثلا رابعا في مقدونيا حيث نجح ملوكها في

توحيد جهود القبائل فيها كتساليا ولكن هذا النجاح يستمر حتى ت
مقدونيا في القرن الرابع هي القوة الكبرى في بلاد الاغريق وتكون ا
على ان تضع حدا للعصر الكلاسيكى في بلاد الاغريق وان تبدأ بالعالم
جديدا هو العصر الهلينستى (١).

تختلف مقدونيا عن باقي بلاد الاغريق من عدة وجوه، فهي
تتكون من اقليمين السهل الساحلى المطل على خليج ثيرماى وهذه
مقر الحكومة المركزية ومحيط سلطتها المباشرة وهناك الاقليم الثانى و
المرتفعات الداخلية وكان الملك المقدونى يفرض عليها نفوذا ضعيفا. ومقد
ذات مناخ قارى، ولم تقم فيها مدن دول على عكس باقى بلاد الاغ
وحتى نهاية العصر الكلاسيكى كان الوجود القبلى مايزال قويا فيها، و
تمارس السلطة العليا في الدولة حكومة ملكية منتخبة بالرغم من انها و
في أسرة واحدة. وكان الملوك المقدونيون - كما هو الحال في المجته
الشبيهة من حيث درجة التقدم - ملوكا زمنييين وكهنة وقضاة و
للجيوش وامناء للمال . وكان بقاء الملك ومن بولاء النبلاء الذين ك

(١) معلوماتنا عن مقدونيا قبل اعتلاء فيليب الثانى للعرش تعتمد على فقرات ذ
الكتاب الاغريق هناك وهناك.

فضلا عن نقش لاثينى على لوحة حجرية يؤرخ من عام ١٠١م عشر عليه فر
١٩١١م في شمال تساليا. هذا النقش يذكر قرار الامبراطور الرومانى لتحديد خط ال
بين اقليم تلك المنطقة ويستشهد بما قام به الملك امونتاس الثالث ملك مقدونيا في
الرابع ق م عندما ثار مثل هذا التمرد من قبل.

تشدهم اليه روابط شخصية وصلات عائلية ومن هنا كانوا يعتبرون قرابة الملك ورجال قصره وكانوا يتحدثون اللغة الاغريقية. وكان الفنانون والأدباء يترددون على بيلا Pella عاصمة مقدونيا ريثى أن من بين من أقاموا هناك لبعض الوقت المسرحى يوريبيديس والرسم زيوكسس Zeuxis والمفكر العظيم أرسطو. وكان المشرفون على الألعاب الأولمبية يعتبرون الملوك المقدونيين اغريقا يسمح لهم بالاشتراك فى ألعاب ولكنهم لم ينظروا الى الشعب المقدونى بنفس النظرة.

كانت امكانيات مقدونيا كبيرة، فأمها أشداء ولديها كثير من الاراضى الخصبة ومخزونا ضخما من الأخشب والمعادن. ومع ذلك فقد احتاجت مقدونيا لوقت طويل حتى تحقق رخاءها وذلك لأنها عانت أكثر من أى دولة اغريقية أخرى من ضغوط سبارة، حيث كان الاليريون يضغطون عليها من الغرب والبايونيون Paeonians من الشمال والتراكيون من الشرق، وظل الاغريق يحتفظون لأجيال بمستوطنات على الساحل. وهكذا كان المقدونيون مشغولين بمشاكلهم الدفاعية وأرضهم العالية والمنخفضة لدرجة أن أمرهم هان على الاغريق فاستبعدوهم كخطر محتمل، اذ لم يشغل بال أثينا مثلاً احتمال سيطرة مقدونيا على تراكيا وبالتالي تهديد طريق القمح الاثينى عبر الهلسبونت، و احتمال تحول مقدونيا الى قوة بحرية ذات شأن بحيث يمكنها أن تفرس رقابتها على ذلك الطريق، ولذلك لم تضعها يوماً فى خططها.

عندما سقط برديكاس الثالث المقدوني صريعا في عام ٢٥٩ ق م أثناء معركة ضد الالبيين أختير شقيقه فيليب كوصي على الملك الطفل أمونتاس، ولكن سرعان ما أزاح الطفل وتولى العرش. كان فيليب قد تدرب على التكتيكات الحربية الجديدة التي عرفتھا طيبة أثناء قيادة أبامينونداس وبيلوبيداس Epaminondas & Pelopidas حيث قضى هناك ثلاث سنوات وكانت لديه الفرصة لكي يتعرف على تطوير نظام الفيلق Phalanx الذين ساعد طيبة على اكتساح مشاة الجيش الاسبرطي (hoplites) في معركة ليوكترا وفي مانتينيا (١). وبالرغم من هذه الخبرات فان سياسة واستراتيجية فيليب كانت خاصة به، فقد تميز بقدرة فائقة على اختيار الوقت المناسب والوسيلة في التعامل مع الدول الاغريقية الأخرى لدرجة أن أعداءه لم يكونوا يكتشفون مراميهم إلا متأخرا وعادة كانت حركتهم لمواجهة تدابير فيليب تأتي بعد فوات الأوان. وهكذا نلاحظ أنه رغم قدرات فيليب العسكرية الممتازة إلا أنه كان يعرف متى تؤدي الوسائل الأخرى الى نجاح له نفس أثر الانتصار الحربي.

كانت الخيالة عصب الجيش المقدوني، وكانت نواة الخيالة المقدونية هي تلك المجموعة التي تشمل الفرسان النبلاء من مختلف القبائل الذين

(١) ولد فيليب في ٢٨٢ أو ٢٨٢ ق م وقضى ثلاث سنوات خلال الفترة من ٢٦٩ الى ٢٦٥ كرهينة سياسية في طيبة، وكان معه في الأسر ٢٠ من أبناء أهم نبلاء مقدونيا. يقال أنه كان متشيعا بشدة لأفكار أبامينونداس.

ارتبطوا بوشائج ولاء خاص بالملك، كذلك دعم فيليب قوى المشاة ثقيلة العدة وعدل نظام الفيلق (الفلانكس) المادى بتسليحه بحراب أطول (Pikes) كما وسع المسافة بين كل جنديين، وهكذا أعطاهم قدرة أكثر على الحركة. ولكن الشيء الذى فاق أهمية اصلاحات فيليب لنظم الجيش كانت قدرته على أن يمد الجيش بطاقة هائلة من الحماس مكنت جنوده من أن يتخطوا عقبة ائتمانهم الى قبائل متعددة، وبذلك أصبحوا قوة ضاربة موحدة. وقد استطاع فيليب عن طريق استمرار ولاء جيشه له والحملات الناجحة التى خاضها استطاع أن يجعل الجيش المقدونى فى حالة من القوة بلاعثيل فى بلاد الاغريق او فى أى مكان آخر.

كانت المهمة الأولى لفيليب غداة اعتلى العرش هى تحرير مقدونيا من تهديد البرابرة. وقد استطاع التخلص منهم واحدا بعد الآخر فهزم Paconians أولا ثم الليريين (٢٥٨) (١). وقد قدم ملك ابيروس لفيليب عرفانا بالجميل للتخلص من ضغوط الليريين أقول قدم له ابنته أوليمبياس عروسا له، وأنجبت له هذه السيدة طفلا فى عام ٢٥٦ أسماء الاسكندر (٢). اتجه فيليب الى توسيع أملاكه بعد أن تخلص من ضغوط البرابرة فى الوقت الذى كانت أثينا مشغولة بالصرعات السياسية والاجتماعية

Diod. XVI, 4. 2-7

(١)

(٢) تم زواج أوليمبياس من فيليب عام ٢٥٧ ق.م وقد أنجبت منه كليوباترة بعد الاسكندر. توترت علاقاتها بزوجها لكثرة علاقاته وزيجاته. أطلق كاسندر عليها شائعة بأنها كانت السبب فى قتل زوجها ماتت مقتولة فى عام ١١٥ ق.م.

فاستولى فيليب على امفيبولس (٢٥٧)، ومن هنا تحرك لإقامة قلعة فيليب Philippi التي أمنت له الوصول الى مناجم الذهب الغنية في جبل بانجيوس Pangaeus ولقد أدى إنتاج ألف تالنت من الذهب سنويا الى جعل مقدونيا مستقلة اقتصاديا وقدم لفيليب المصادر المالية الضرورية لتمويل مشروعاته الطموحة (١) كانت خطوة فيليب التالية هي الاستيلاء على الاملاك الاثينية المتبقية في الاقليم ولكي يقوم بذلك تحالف مع العصبة الخلقيدونية. كانت أثينا مازال مشغولة بصراعاتها السياسية والاجتماعية ولذلك لم تستطع أكثر من أن تسمى لأثارة الاليريين والتراكيين ضد فيليب ولكن كان من الصعب منع سقوط بوتيديا Potidaea في عام ٣٥٦ ق.م (٢) وبعد عامين ميثوني المستعمرة الاثينية الأخيرة في أيدي فيليب. وبالرغم من الاهانة التي لحقت بأثينا فانها كانت راغبة فيما يبدو عن الصدام مع فيليب ولقد كان هذا يعود الى تركيز اهتمامات أثينا في منطقة الهلسبونت والبوسبورس Bosphorus وهي مناطق لم تكن قوات

(١) كان لدى مقدونيا عدد من مناجم الفضة التي عثرها ملوك مقدونيا قبل فيليب مثل منجم جبل Dysoron قرب بحيرة Prasias وكانت مستغلة منذ أيام الاسكندر الأول (Hdt V, 17, 2) فضلا عن مناجم أخرى في Damastion وإن كان أغناما منجم يقع خلف Strymon في الشرق. وقد وضع فيليب يده عليها جميعاً.
Ellis , Philip II , 33-4 & 235-9.

(٢) بوتيديا Potidaea مستوطنة كورثية اقيمت في شبه جزيرة خلقيدونية. انضمت للعصبة الديلية. ثارت ضد أثينا بمساعدة كورثا عام ٤٢٢. استولى عليها فيليب الثاني في عام ٣٥٦ ق.م. ودمرها أعاد بناء المدينة كاستندر وسميت المدينة الجديدة باسم ساستندريا.

فيليب قد هددتها مباشرة حتى ذلك الوقت، وذلك لأنشغال الاثينيين في المعارك الداخلية بينهم، والمعروف أنه منذ عام ٢٥٨ شكلت هيئة مالية مستقلة للإشراف على اعتمادات الاحتفالات الدينية رأسها يوبولس Ubulus اعتباراً من عام ٢٥٤ ق م وكان هذا الرجل يرى ضرورة إضافة أى فوائض فى ميزانية المدينة على هذه الهيئة، وكان هذا يعنى إعطاء الأولوية لإقرار السلم حيث كانت ميزانية تلك المؤسسة توجه لمساعدة الفقراء فى الاحتفالات، بينما كان هناك رأى قرى آخر يدعو الى توجيه هذه الفوائض الى الجيش. وكان يتزعم أصحاب الرأى الأخير ديموستينيس الذى بدأ منذ عام ٢٥١ ق م يوجه النظر الى خطورة مقدونيا على اعتبار أن أى دولة تسعى لغرض سيطرتها على بلاد الاغريق لابد وأن تمثل وبطريقة آلية تهديداً مباشراً لاثينا. ندد ديموستينيس بفيليب وحاول أن يقنع الاثينيين بالآخطار المتوقعة من جانبه ولكن الاثينيين تحركوا ببطء دون تقدير لخطورة زيادة مداخل مقدونيا الموحدة.

وبعد أن قضى فيليب على خطر البرابرة واستولى على مواطني أقدام اثينا فى مقدونيا، تحرك فيليب ضد العصبة الخلقيدونية ورغم أن العصبة لم تكن حليفاً لاثينا إلا أن ديموستينيس (١) دعا مدينته الى الوقوف معها

(١) عاش فيما بين ٢٨٤ و ٢٢٢ ق م. كان أعظم خطباء اليونان تسبب فى شهرته مجموعتان من الخطب كل منها تضم ثلاث خطب عرفت الأولى بالفيليبيات . وقد هاجم فيها أعداء فيليب و اعتبره الخطر الذى يتهدد حرية الاغريق أما المجموعة الثانية فقد *

ومساعدتها. وكانت ثورة قد وقعت في ايوبيا التابعة لأثينا، كان وراءها فيليب. لم تكن أثينا قادرة على أن ترسل الى هناك أكثر من بعض المرتزقة وعدد قليل من السفن، بل انها ارسلت هذه المساعدات على دفعات ومن ثم لم تستطع أن توقف تقدم فيليب، واستطاع فيليب أن يستولى على مدن عصبة خلقيدونية واحدة تلو الأخرى كما وقعت أولينثوس عاصمة العصبة في يده في اغسطس عام ٢٤٨ ق م فنهبها جنوده وشتتوا أهلها (١).

أرادت أثينا أن تساعد عصبة خلقيدونية ضد فيليب المقدوني ولكن كانت ميرانيتها منهكة في جهودها المستمرة لاسترجاع ايوبيا. ولذلك قبلت عقد صلح مع فيليب هو صلح فيلوكراتيس Philocrates في عام ٢٤٦ ق م وأشارت بنود الصلح الى سقوط امفيبولس وهو مايعنى أن أثينا قد عزلت عن أملاكها في منطقة الهلسبونت (٢). وأخيرا تقدم فيليب نحو تحقيق

* هرفت بالاولنثيات وحاول فيها إستنهاض هم الأغريق لانقاذ مدينة أولينثوس قبل الوقوع في يدي فيليب. فضلاً عن مجموعة أخرى مشهورة من الخطب. إستمر ديموستينيس ذات مكانة مرموقة في أثينا حتى بعد سقوطها في أيدي فيليب. وعندما عاد إلى وطنه بعد وفاة الاسكندر الأكبر لاحقاً سوء الحظ حتى أنتحر مفضلاً الموت على الرقوع في أيدي انتيباتروس.

(١) كان فيليب قد عقد تحالفاً مع أولنثوس زعيمة العصبة الخلقيدونية في عام ٢٥٧ \ ٢٥٦ وكان الحلف لصالح الطرفين والخاسر فيه أثينا. ولكن عام ٢٤٩\٢٥٠ أقدمت أولنثوس على احتضان إثنين من المتمردين على العرش المقدوني مما اعتبره فيليب سبباً كافياً للسير ضدها غازياً في خريف ٢٤٩ ق م.

(٢) إشتراك كل من ديموستينيس وإيسخينيس خطيبي أثينا في عقد الصلح مع فيليب. ومع ذلك فقد تنصل ديموستينيس من مسؤولية عقد هذا الصلح بل واتهم إيسخينيس بتلقي رشوة من فيليب وهي التهمة التي برأته المحكمة منها.

الخطوة الأخيرة بالحصول على مقعد لمقدونيا في امفكتيونى دلفى أو العصبة المقدسة وهو ما يحمل اعترافا اغريقيا بأن مقدونيا اغريقية وليست بربرية. وكان هذا الامفكتيونى يضم المدن الهامة كاثينا واسبرطة وقد تم لفيليب ذلك بعد نجاحه فى إنهاء الحرب المقدسة الثالثة التى استمرت عشر سنوات وابعاده فوكيس عن مقعدها.

كانت أثينا حتى ذلك الوقت غير قادرة على اتخاذ قرار نهائى ضد فيليب فأحزابها فى الداخل كانت منقسمة على نفسها حزب يقوده ديموستينيس ويدعمه هيبيريدس Hyperides وليكورجوس Lycurgus وكان يجبذ الحرب مع مقدونيا وحزب يدعو للسلام يقوده يوبولس وفوكيون والخطيب ايسخينيس Aeschines & Phocion وقد وصل الصراع بين الحزبين ذروته فى عام ٢٤٢ عندما اتهم ديموستينيس ايسخينيس بقبوله رشوة من فيليب فى مقابل اتمام صلح فيلوكراتيس، ورغم أن المحكمة برأت ايسخينيس، إلا أن الشعور العام فى أثينا كان يتجه ضد فيليب، ورجحت كفة الحزب الذى يدعو لحرب فيليب فى أثينا، عندما هاجم فيليب تراكيا بعد أن أمن كل الواجهات الأخرى وسيطر عليها فى عام ٢٤٢-٢٤١ ق.م. وكنتيجة لذلك أصبحت مقدونيا فى مركز يسمح لها بإغلاق طريق القمح الرئيسى عبر البوسبورس Bosphorus والهلبونت.

وفى الحال أقامت أثينا حلفا مع اثنتين من المدن الاستراتيجية فى

تلك المنطقة وأقصديهما بيرنطة وبرينتوس Perinthus ، وعندما هاجمهما فيليب استطاعت جهود المساعدة الأثينية أن تعوق استيلائه عليهما. عندئذ ونظرا لأن أثينا لم تترك أمام فيليب من وسيلة لكسر معارضتها لتوسعه سوى الحرب، قرر فيليب أن يزيل العقبة الأخيرة أمام خططه للسيطرة على بلاد الاغريق، فأعد حملة برية لغزو أتيكا، وأدعى فيليب تأييده للامفكتيوني ضد مدينة متمردة حتى يسمح له بأن يقود جيشا كبيرا في وسط بلاد الاغريق القارية دون أن يشير الشكوك حول أهدافه، وتقدم في ربيع ٢٢٨ ق م نحو وسط بلاد الاغريق. اضطرت أثينا في يأس الى تحويل ميزانية الاحتفالات لحساب الحرب واستعانت بمدونها القديمة طيبة، ولكن طيبة كانت مترددة في مواجهة القوة المتنامية لمقدونيا، ورغم هذا فقد تشجعت على اعلان انسحابها من حلف فيليب. خاصة بعد أن وعدت أثينا بتحمل ثلثي نفقات الحرب وتم التحالف في خيرونيا في صيف ٢٢٨ ق م وتلاقت قوات فيليب مع قوات بلاد اليونان بزعامة أثينا في واحدة من أكثر المعارك حسما في تاريخ الاغريق.

لقد دعم فيليب جناحه الأيسر، حيث وضع الفيلق المقدوني والخيالة تحت قيادة الاسكندر، وفي نفس الوقت ترك جناحه الأيمن ضعيفا. وهكذا أبيد الطيبيون الذي واجهوا ميسرة الجيش المقدوني، أما الأثينيون الذين كانوا يتقدمون في مواجهة اليمين الضعيفة للجيش المقدوني سرعان ما أحبط بهم فتشتتوا أو هربوا من ميدان المعركة وبعد أن فرض فيليب شروط

صلح متساهلة مع أثينا توجه الى كورنثا حيث دعى الاغريق الى اجتماع أرغمهم فيه على تكوين عصبة انضموا اليها جميعا ماعدا اسبرطة. وأصبح الملك المقدوني هو الرئيس التنفيذي للعصبة وقاندها العسكري، وتكون مجلس يمثل الاعضاء الذين كان كل منهم يتمتع باستقلال ذاتي. ونصت شروط الاتحاد على أنه لايجوز لأحد من الاعضاء أن يعلن الحرب ضد عضو آخر، حيث كان يجب على الاغريق أن يرتبطوا منذ الآن بسلام (١). وهكذا تحققت من الناحية النظرية على الأقل دعوة ايسوقراطيس الى الوحدة.

لم ينص قانون الاتحاد على فرض ضريبة على الاعضاء ولكن الاعضاء وافقوا على أن يقدموا مساهمات الى الجيش الاتحادى وأن ينضموا الى المقدونيين في حرب ثارية ضد الامبراطورية الفارسية انتقاما مما فعله اكسيركسيس Xerxes ببلاد الاغريق (٢) وكمقدمة لتلك الحرب أرسل فيليب قوة استطلاع الى آسيا الصغرى في ربيع ٣٣٦ ق م ولكن قبل أن يلحق بها اختيل أثناء زفاف ابنته وخلفه على العرش ابنه الاسكندر الذى ألتخب على عجل لكى يملأ الفراغ الذى تركه مقتل فيليب (٣).

Tod . No . 177

(١) نص القسم

(٢) إنظر تفاصيل الصراع في:

فوزى مكاولى، تاريخ العالم الاغريق وحضارته، الدار البيضاء، ١٩٨٠ ص ٢٦ او ما بعدها
(٣) قتله شخص يدعى بوزنياس، كان قد تعرض لإهانة منه ولم يستطع الوصول لحقه، وقبل أن اولمبياس وكذلك الاسكندر لم يستمعا اليه. وإن كان ديودور قد ذكر تفاصيل الحادثة دون أن يشير لى دور اولمبياس أو الاسكندر فيها.

الاسكندر الاكبر:

ورث الاسكندر كل انتصارات ابيه وكذلك كل الثروات التي كونها
أبوه بحرص وكان مايزال عند اعتلائه للعرش دون سن العشرين. كان
الجيش في أحسن حالاته كما بدى الاغريق تحت سيطرته الكاملة. ولكن
الاسكندر ورث أيضا مشاكل الحكام المقدونيين. بعضها مشاكل أسرية، منها
اضطراره للقضاء على ثلاثة من المطالبين بالعرش، ومنها ماقامت به أمه التي
كانت قد طلقت من فيليب غير بعيد قبل مقتله عندما انتقمت لنفسها
بقتل طفل كليوبترة، السيدة التي ازاحتها، ثم دفنت كليوبترة نفسها الى
الانتحار. المشاكل الأخرى التي واجهها الاسكندر كانت لها نفس القسوة
والسرعة إذ ثار الأعداء التقليديون للمقدونيين، كالتراكين والاليبيين ولكن
الاسكندر نجح في هزيمتهم في معارك صغيرة (في عام ٣٢٥)، وفي ذلك
الوقت انتشرت شائعة كاذبة عن موت الاسكندر شجع ذلك الاغريق على
الثورة، فسار الاسكندر ضدهم جنوبا واستولى على طيبة ودمرها، فيما
عدا المعابد وبيت بنداروس الشاعر، كما أمر بقتل السكان أو بيعهم
عبيدا(١). كانت قسوة الاسكندر على طيبة رسالة الى الاغريق أنت
أكلها فوراً، إذ أسرع الاغريق الذين صعدتهم أخبار تدمير واحدة من مدنها

(١) ذكر بلوترخ Alexander 10.6-11 أنه إستثنى الكهنة والضيوف من ذرى العلاقة
الطيبة مع مقدونيا، وأحفاد بنداروس وأولئك الذين ساروا القيام بثورة ثم قام ببيع باقي
سكان طيبة وكانوا في حدود ٥٠ ألفاً، أما الموتى فقد وصل عددهم ٦٠٠٠ قتيلاً.

ذات المكانة بينهم أقول اسرعوا للعودة الى حلفهم مع الاسكندر وصوتوا لصالح مطالب الاسكندر بتدعيمه في مشروع غزوه للفرس الذي كان قد خطط له ابوه من قبل.

وفي عام ٣٢٤ عبر الاسكندر الى آسيا الصغرى ومعه جيش من ٣٠,٠٠٠ ألفا من المشاة و٥,٠٠٠ فارس (١). مر على طروادة حيث قدم القرابين لروح الملك برياموس ونشر الاكاليل على قبر سلفه وشبيهه اخيليوس (٢)، ويقال أن حارس الاسكندر الخاص كان يحمل درعا يعود الى أيام حرب طروادة أخذ من معبد أثينا وأن هذا الدرع قد حمى الاسكندر بعد ثمانية سنوات من هذا التاريخ عندما تعرض لمكيدة في قلعة بالهند أثناء واحدة من أعماله الجريئة.

التدمير على الفرس :

كان الهدف الرئيسي للاسكندر خلال المرحلة الاولى من حملته

٣٢٤-٣٣١ ق م هو تدمير القوات المسلحة الفارسية في غرب امبراطوريتهم

(١) ذكر ديودور XVII.17.3-4 أن جيش الاسكندر ضم ١٢ ألفا من المشاة المقدونيين و ٧ آلاف من الحلفاء، وه آلاف من المرتزقة وكان هؤلاء جميعا تحت قيادة بارمينيون. كما ضم الجيش سبعة آلاف من قبائل Ilyrians, Triballians, odrysians وألفا من رماة السهام. أما الفرسان فضم الجيش منهم ١٨٠٠ من المقدونيين تحت قيادة Philotas ابن بارمينيون، و ١٨٠٠ من التساليين تحت قيادة Callas ابن هيرالوس و ٦٠٠ من فرسان الاغريق بقيادة Erygius و ١٠٠ من التراكيبين والبايونيين بقيادة كاسندر. وكان هذا هو كل جيش الاسكندر عند بداية الحملة.

Plutarch, Alexander . 15 .

(٢)

وحيث أن رجال اسطوله كانوا في أغلبهم من الاغريق وبالتالي لم يكونوا محل ثقته. فقد فضل الاسكندر أن يخوض حروبا برية تشل حركة القوات البرية الفارسية من ناحية وتلغى أهمية البحرية الفارسية وتأثيرها على سير المعارك. وقع الصدام الأول مع القوات الفارسية على نهر جرانيكوس Granicus ، غير بعيد عن الهلسبونت. وهناك وجد الاسكندر مجموعة من الخيالة الفرس والمرتزة الاغريق ينتظرونه على الشاطئ الآخر وكما هو الحال في كل معاركه، واجه المناوشات الأولى للقواد الفرس الذين كانت تكتيكاتهم متأخرة عن تلك الخاصة بالاغريق بعد التطورات العسكرية الحديثة التي عرفتها بلاد الاغريق على يد طيبة ثم فيليب، ثم اندفع الاسكندر عبر النهر، وشتت قوات الخيالة المعادية كما أفنى المشاة الباقين بدون حماية، وقد أدى هذا الانتصار المبكر إلى تماسك العصبة الكورثية ووقوفها إلى جانب حملته ضد الفرس.

تقدم الاسكندر من نهر جرانيكوس لكي يحرر المدن الاغريقية في آسيا الصغرى من الحكم الفارسي، وكانت هذه المدن كما نعلم قد تحررت قبل ذلك عدة مرات على أيدي محررين مختلفين، كما تعرضت أيضا للاكتساح عدة مرات. وفي تلك الأثناء فشل الاسطول الفارسي في تحريض الاغريق على الثورة ضد الاسكندر (١).

تقدم الاسكندر في خريف ٣٢٢ الى اسوس Issus حيث جمع
الفرس تحت قيادة داريوس الثالث قوة كبيرة من المرتزقة الاغريق والقوات
الفارسية، وهناك تقابل الطرفان في معركة من أهم ثلاثة معارك خاضها
الاسكندر، وقد انتصر فيها كما حدث في المعركتين الأخريين بسبب قدرته
السريعة على الامساك بزمام المبادرة وجعل تحركات العدو رد فعل لحركته.
هاجم الاسكندر كما كانت عاداته بمجموعة الخيالة ثقيلة العدة فشنت أعداءه
ثم حصن الفرق الأخرى من الخلف، هرب داريوس تاركاً وراءه أمه وزوجته
وأولاده الذين استخدمهم الاسكندر كرهائن ذوي فائدة سياسية فعاملهم
برفق رغم وضعهم تحت الحراسة (١).

وبدلاً من اقتفاء أثر الملك الكبير داريوس فإن الاسكندر اتجه جنوباً

(١) ذكرت هذه الحادثة عند كثير من المؤرخين وقد ذكر أريان (Arrian 11,14.)
خطابين متبادلين بعد المعركة بين داريوس والاسكندر. يطلب داريوس في الأول من
الاسكندر أن يرد عليه أمه وزوجته وأولاده وأن يعقد معه إتفاقية تحالف وصداقة. ويذكر له
أن العلاقات في السابق كانت طيبة بين المقدونيين وأرتاكسيبركسيس، وأنشاء حكم خلفه
أرسيس كان المقدونيين هم الذين بدأوا بالعدوان.

وقد ذكر أريان رداً للاسكندر على ذلك يوضح لداريوس أن هذه المعارك كنتيجة
لصراع طويل من العدوان الفارسي على مقدونيا وباقي بلاد اليونان، ويذكر في الخطاب
تفاصيل لمحاولات داريوس إفساد خطط الاسكندر في جمع الاغريق وعقد سلام بينهم،
ويتهمه برشوة الاسبرطيين وفشل نفس المحاولة مع مدن إغريقية أخرى. ثم يقول له بأنه
عبر إلى آسيا باعتباره قائداً لحلف كل الاغريق لعقاب الفرس. ومع ذلك فالفرس هم الذين
بدأوا القتال. وهزم القادة والولاة الفرس في جرانيكوس، كما هزم داريوس في اسوس،
ويطلب الاسكندر من داريوس أن يأتي بشخصه ليطلب منه حرية زوجته وأمه وأولاده ولكي
يعترف بأنه ملك كل آسيا. وينبه بأن عليه من الآن أن لا يخاطبه باعتباره نداً له، وأن رفض
ذلك فعليه أن يدافع عن الملك الذي يدعيه.

على الساحل الفينيقي تنفيذا لسياسته بالعمل على فصل القوة البحرية الفارسية عن القوات البرية، وسرعان ما سقطت صيدا وبيبلوس وأرادوس Aradus ولكن صور قاومت سبعة شهور كاملة من الحصار المر قبل أن تسقط في يديه. استمر الاسكندر جنوبا على الساحل فاستولى على مدينة غزة بعد شهرين من الحصار بعد أن سقط آخر المدافعين عنها.

اتجه الاسكندر بعد ذلك نحو مصر التي دخلها دون مقاومة في أواخر عام ٣٢٢ ق م وفي ممفيس قدم القرابين للعجل المقدس أبيس وتوجه الكهنة فرعوننا على مصر. اتجه بعد ذلك عبر النيل إلى مصب الفرع الكانوبي حيث أسس مدينة الاسكندرية كمركز عظيم للأعمال والتجارة (١). ومن موقع الاسكندرية سافر عبر الصحراء إلى واحة سيوة لكي يصل إلى محراب زيوس آمون. وهناك أعلنه الكهنة ابنا للإله وتلقى إجابات على تساؤلاته من آمون رفض الكشف عن تفاصيلها لأي إنسان ولكنه سعد بما سمع (٢)، ونمت دعاوى حول الاسكندر تقول بسموه فوق مستوى البشر، وقد شجع هذه الدعاوى ميل الاسكندر الشخصي لأعمال البطولة وميل كل

(١) أشهر الروايات عن إنشاء الاسكندرية ذكرها أريان وبلوتارخ وقد ذكر أريان أن الاسكندر أثناء ذهابه إلى معبد آمون بسيوة بعد أن مر على قرية كانوب (أبرقير) وهناك وجد منطقة محصورة بين البحر وبحيرة مربوط توقع أن تكون مكانا رائعا لإنشاء مدينة تحمل اسمه، وتوقع للمدينة بسبب مميزات الموقع أن تعيش في تطور وإزدهار. وقد أحاطت بنشأة الاسكندرية أساطير أشهرها تلك التي ذكرها أريان حول استخدام الإسكندر للدقيق لرسم حدود أسوارها وتخطيط أحيائها وكيف فر له العرف Aristander ذلك بأنه مؤشر لإزدهار الاسكندرية ورخائها.

Arrian 1.3-1.

(٢)

الناس للعبادة في محراب النجاح.

أتجه الاسكندر بعد مغادرته لمصر في صيف ٣٢١ ق م نحو الشمال فصار عبر سوريا الى دجلة، كان يسد طريقه نحو بابل جيش ضخم جمعه داريوس من جميع أنحاء الامبراطورية ولكن هذا الجيش كان ضعيفا في المشاة الثقيلة العدة وذلك بعد أن انقطعت أسباب الاتصال بمصادر الحصول على المرتزقة الاغريق المشهورين في هذا الفن. ومع ذلك فقد تحوط داريوس للأمر بزيادة عدد الخيالة باستخدامه لعربات الاسكوديين الحربية والتي قدر أنها سوف تقضي على المشاة المقدونيين، وبالرغم من أن داريوس هو الذي اختار ميدان المعركة فقد كان الاسكندر قادرا على أن يأخذ بزمام المبادرة فيها، سعى الاسكندر الى استدراج الصف الفارسي الطويل خارج مكمته على أن يتعامل مع أية فجوات تحدث، ولكي يتحقق ذلك تقدم بميل الى اليمين واضطر الاعداء أن يتحركوا معه، وعندما ظهرت فجوة بين القلب والجناح الأيسر اندفع فيها ومعه خياله ثقيلة العدة وشق الصف الفارسي الى نصفين وكما حدث في اسوس، هرب داريوس قبل انتهاء المعركة وتبعته اعداد كبيرة من قواته، ثم سار الاسكندر من جاجميلة- التي وقعت فيها المعركة الاخيرة- الى بابل، حيث قدم القرابين في معابد الالهة وأمر باعادة ترميم معبد مردوخ Marduk الذي سبق أن دمره الفرس، ومع حلول شهر ديسمبر كان الاسكندر قد حل في مدينة سوسة العاصمة القديمة لعملاء Elam والمقر السيني للوك الفرس.

وفي منتصف الشتاء شق الاسكندر طريقه في الجبال في بلاد فارس نفسها واستولى على خزائن ملوك الفرس بما تراكم فيها أموال خلال قرنين من الزمان. وقيل أنه أحرق قصر اكسيركسيس وهو مخمور، على الرغم من أن المدافعين عن الاسكندر من بعد قالوا أنه فعل ذلك إشارة الى نهاية حكم الاخمينيين الفرس وللاتقام من الهجمات الفارسية ضد بلاد الاغريق في أوائل ذلك القرن (١).

اتجه الجيش من برسيبولس الى اكباتانا Ecbatana عاصمة مملكة ميديا القديمة اذ كان يعتقد أن داريوس قد جمع جيشا كبيرا هناك ولكن الاسكندر وجد أن داريوس قد هرب مرة أخرى وبدأت المطاردة من جديد وعندما وصل الاسكندر الى حيث يوجد داريوس وجده قد قتل بيد حاربه الخاص في يوليو سنة ٣٣٠.

الحملة على وسط اسيا (٣٣٠-٣٢٢ ق.م)

يمكننا القول بأن حملات الاسكندر ضد الفرس قد انتهت بموت داريوس بل لقد أصبح الاسكندر هو الملك الكبير ولا بد من أن قواته قد

.....
(١) أحرق الاسكندر قصر برسيبولس بعد أربعة شهور من إقامته هناك. وقد ذكر أريان خبر هذا الحريق في فقرة قصيرة ولكن ديودور أفرد لها عدة فقرات ذكر فيها ظروف حريق هذا القصر. قال في روايته أن الاسكندر أمر بإشعال النار في القصر وهو مخمور بعد تحميس إحدى النساء الاثينيات المدعوة Thais له. والملف للنظر حقيقة أن إحراق الاسكندر للقصر كان ضد سياسته بتقريب الفرس اليه.

Diod. XVII . 70-2 .

منّت النفس بأنه عائد لامحالة الى الاقاليم الغربية من آسيا- وهي اقاليم اكثر تمدنا- لكي يدعم انتصاراته ولكن كانت للاسكندر خطط أخرى.. فلكي يحتفظ بميزوبوتاميا Mesopotamia كان ضروريا أن يسيطر على الهضبة الايرانية، ولكي يملك الهضبة يتطلب الامر أن يحتل الاقاليم الواقعة الى الشمال والشرق منها وذلك لكي يمنع توغل قطاع الطرق والرعاة الى آسيا الوسطى، فضلا عن أن الاسكندر كان مصمما أن يدفع بانتصاراته الى نهاية العالم المعروف وإن اعتقد خطأ أنه لايمتد أبعد من الهندوس شرقا وقد أدت هذه الاهداف الى صدام الاسكندر مع قواته زاد من حدة هذا الصدام حرص الاسكندر- بعد موت داريوس -على الظهور بملابس فارسية في مناسبات معينة مشاركا في الاحتفالات الفارسية، فضلا عن أن الاسكندر بدأ يعين الفرس في مركز ذات أهمية، وقد ادى هذا كله الى نوع من التمرد والاثارة والغيرة في صفوف المقدونيين، وهكذا نجد فيلوتاس بن بارمينيون قائد الخيالة يدان في مؤامرة ويعدم في نفس العام الذي مات فيه داريوس وعلى الرغم من اخلاص الاب فقد أعدم هو الآخر، رغم أن بارمينيون كان في مركز قوة يسمح له بأن يحمي نفسه وبعد عامين وقع الاسكندر في عراك أثناء الشراب مع صديقه القديم كليتوس Cleitus الذي عايره بأنه ابن أمون وليس ابنا لآبيه كما عزا انتصارات الاسكندر الى جهود قواد فيليب والمقدونيين وليس لمهارات الاسكندر الشخصية، وفي غضب جذب الاسكندر حربة أسد الحراس وغرسها في صدر صديقه القديم الذي سقط

صريعا. وقد ندم الاسكندر فيما يبدو على ما فعله بصديقه وبقي متكفيا في خيمته بدون طعام لمدة ثلاثة أيام الى أن أقنعه رفاقه بالعودة الى ممارسة مهامه.

وبعد عام واجه اعتراضات أخرى ضده. عندما طلب الاسكندر من المقدونيين أن ينحنوا له احتراما مثلما يفعل الفرس، وقد قاد المعترضون في هذه المرة كاليستينيس Callisthenes ابن أخ ارسطو الذي رافق الحملة في وظيفة داعية الملك (١). وبعد ذلك بقليل اكتشفت مؤامرة دبرها بعض أعوان كاليستينيس وأعدم المدانون، ووضع كاليستينيس تحت التحفظ على الرغم من أنه لم يعرف اذا ما كان ضالعا في المؤامرة أم لا وفيما بعد أعدم كاليستينيس وحول هذا الوقت تزوج الاسكندر روكسانا ابنة ملك سوجديانا Sogdiana ، كما ازدادت هذه الاثارة بعد امر الاسكندر بتدريب الفرس على الطريقة المقدونية في القتال وضم فرسانا فرسا بين صفوف قواته.

ومع وجود هذه المشاكل كان الاسكندر مايزال قابضا على ناصية الأمور في الجيش وقضى السنوات من ٢٢٠ الى ٢٢٧ ق م في حملات صعبة في الاقاليم البرية الشمالية الشرقية من الامبراطورية الفارسية القديمة وعندما أتم ذلك بدأ الاسكندر يستعد للقيام بحملته الاخيرة الكبرى، بقصد الانتصار على الهند وكان يعتقد أن مايمثل الآن باكستان والبنجاب هي

Arrian , IV , 10 5-12 5

(١)

كل الهند- الخطة كانت منطقية اذ يقدم له نهر الهندوس كحد طبيعي شرقي لامبراطوريته، ومهما كان الأمر فإن المقاومة العنيفة التي واجهتها قواته في تلك الاقاليم كانت مخيفة. وكانت آخر حملات الاسكندر الكبرى ضد بورس Porus وهو أحد الملوك المحليين هي معركة هيداسبس Hydaspes في عام ٢٢٦ ق م تحرك الاسكندر تحت وطأة الأمطار الموسمية الى نهر هيداسبس واكتشف وجود مزيد من الأرض نحو الشرق ونهر كبير آخر أراد الاسكندر الاستمرار في التقدم ولكن قواته رفضت أن تذهب أبعد من ذلك خطوة واحدة فاضطر الاسكندر الى الانسحاب (١)، وبدلاً من أن يستخدم نفس الطريق الذي سبق أن سلكه عند قدومه من ميزوبوتاميا، اختار الاسكندر أن يسير جنوباً في نهر الهندوس الى المحيط الهندي ومن هناك أرسل جزءاً من قواته بالبحر عبر الخليج الى ميزوبوتاميا بقيادة نيارخوس بينما اتخذ هو على رأس باقي الجيش الطريق الغربي متتبعا ساحل جنوب الباكستان الحالية وبعد متاعب شتى يائسة وخسائر فادحة في الجيش أو على الأصح من بقي منه، وصل أخيراً الى بر الأمان وعندما عاد الاسكندر الى فارس وجد كثيرين من ولاته

(١) طلب الاسكندر من جنوده في عام ٢٢٦ أن يعبروا النهر ولكن القادة رفضوا وأعلن واحد منهم هذا الرفض حتى اضطر الاسكندر الى قض الاجتماع ولازم خيمته لمدة ثلاثة أيام على أمل أن يغيروا موقفهم. ولكنه وجدهم مايزالون على رفضهم عندما جمعهم ثانية، فأعلن لهم قراره بالعودة وقسمهم الى اثنتي عشرة فرقة وأمر باقامة اثني عشر مذبحة لتقديم القرابين للآلهة شكراً على النصر.

سواء الاغريق أو الفرس قد اساءوا التصرف ولكن سرعان ما أعاد الاسكندر سيطرته على الامور. وقد هرب وزير مالية الاسكندر المدعو هاربالوس Harpalus ومعه كمية هائلة من المال ولجأ الى أثينا ولكنه قتل واتهم ديمسثينيس بحصوله على جزء من هذا المال وأدين في محاكمة ونفى خارج أثينا.

أهداف الاسكندر :

كان الاسكندر بعد أن أتم فتوحه يهدف الى تكوين طبقة مشتركة من نبلاء الفرس والمقدونيين، ولذلك أقام الاسكندر عديدا من المستوطنات الاغريقية في آسيا وأشرك الفرس في مراكز الحكومة العليا. كما أقام حفلا جماعيا بمناسبة اتخاذهم وثمانين من الخيالة المرافقين له زوجات فارسيات من بنات الاسر الفارسية النيلية (١). كما تم الاعتراف بشرعية علاقات عشرة الاف جندي مقدوني بتساء اسبونيات. ولم تمنع كل هذه الجهود لأدماج الشعبين انفجار اريس في ٢٢٤ ق م عندما تمرد الجنود المقدامي بسبب

(١) أقيم الاحتفال في سوسا عام ٢٢٤ ق م. وقد تزوج الاسكندر فيه فتاتين فارسيتين بالإضافة الى روكسانا التي كان قد سبق له الزواج بها وهما: بارسين ابنة داريوس الكبرى بالإضافة الى Parysatis الابنة الصغرى لأرخوس. وقد زوج هيفايستون ابنة أخرى لداريوس أما كراتيروس فقد زوجه Amastine ابنة عم بارسين زوجته. وتزوج برديكاس ابنة والي ميديا. كما زوج بطلميوس حارسه الخاص ويومينيس سكرتيره من إيتي ارتابازوس؛ أرتاكاما لواحد ر Artonis للآخر وقد بلغ عدد رفاقه الذين تزوجوا من فارسيات في هذا الحفل الذي أقيم طبقاً للتقاليد الفارسية ثمانين من القادة.

Arrian VII . 4 . 4 - 5 .

تسريحهم والاداد لاعادتهم للوطن . لقد رأى هؤلاء الجنود انهم كسبوا الحرب لالاسكندر ولكن اسكندر وفي لحظة الانتصار أهملهم واستبدل بهم نفس الأعداء الذين هزمهم. وقد رد الاسكندر على ذلك بتسريحه لكل الجيش والاعتكاف في خيمته الى أن رجاء قواد قواته السماح والمفوى، عندئذ رحب الاسكندر بمودتهم وأقام حفلا كبيرا احتفل فيه المقدونيون والفرس سويا، بينما ضرع الاسكندر للآلهة من أجل وحدة البشرية (Homonoia) (١). وفي العام التالي مع بداية شهر يونيو وبينما كان الاسكندر يعد لحملة كشفية كبيرة بهدف الطواف حول شبه الجزيرة العربية والانتصار عليها، أصابت الاسكندر حمى مات متأثرا بها بعد عشرة أيام يوم ١٢ يونيو سنة ٣٢٣ وكان عمره مازال ٣٢ سنة.

إن عظمة الاسكندر كقائد عسكري بهرت معاصريه وحفزت أعدادا بلا عدد على تقليده خلال عصور التاريخ. وليس هناك شك في أن قدرته تبرز غيره في ميدان البطولة وماتزال انجازته حتى اليوم لها وقع السحر على أذان سامعيها. لقد كان الاسكندر تجسيدا حيا للبطل الهوميري القادر على نقل أفكاره وتنفيذ أعماله وكان خليطا من الشجاعة والحب لجنوده وحب الظهور والكرم والشراسة وقسوة القلب ويبدو في ذلك الخلف المناسب لأخيلوس .

لقد كان انجاز الاسكندر الرئيس هو تدميره للارادة المسلحة للفرس

وفتح الطريق لامتداد النفوذ الاغريقي. ولكن الاسكندر نفسه لم يكن من بناء
الامبراطوريات، لقد قامت وحدة الامبراطورية بل ووجودها نفسه على
شخصية الاسكندر الخلابية. وسرعان ما اختفت هذه الامبراطورية بمجرد
وفاته.

٢- عصر خلفاء الاسكندر وحروب الخلافة

١- مؤتمر بابل:

مات الاسكندر الاكبر في يونيو ٣٢٣ ق م بعد مرض مفاجئ قصير. وأدى اختفاء الاسكندر المفاجئ الى احداث اضطراب خطير في العالم القديم ككل وفي بابل عاصمته- على وجه الخصوص. لقد أصبحت امبراطورية الاسكندر فجأة بغير حاكم يسوس أمورها، ولم يدر في خلد أكثر المتفانين امكانية مواجهة الدولة لشل هذه الكارثة وهي بعد بعيدة عن الاستقرار فالاسكندر مازال شابا تملؤه الحيوية لم يتوقف عن القتال أو الاستعداد للقتال منذ غادر بلاده في حملة الاسطورية في عام ٣٣٤، وقد أدت هذه الوضعية بالطبع الى عدم استقرار الاسكندر في أى مكان أكثر من شهور ولم تسمح له ظروفه بالكثير من فتح أغلب العالم المعروف على عصره فلم يضع دستوراً للدولة ولم يكون كوادراً سياسية تقود البلاد في ظروف السلام بل ولم يمين من يخلفه.

وفي المؤتمر الذى عقد غداة موت الاسكندر كان على قادة جيش ومرافقيه أن يحاولوا ملء هذا الفراغ السياسى خاصة والاسكندر لم يترك شخصاً مؤهلاً لخلافته أو من هو قادر على ذلك وكان العرف المقدونى القديم ينيط بالجيش اختبار الحاكم الجديد، وقد اعتبر المقدونيون في

بأهل انفسهم ممثلين للشعب المقدوني ومن ثم كانوا المسئولين عن اختيار خليفة للاسكندر. كان الاختيار امامهم صعبا ومحدودا فالذكر الوحيد البالغ والباقي من سلالة فيليب الثاني والد الاسكندر هو ارهيداايوس وكان أخا غير شقيق للاسكندر (١). بينما اقترح عليهم برديكاس الذي ترأس المؤتمر أن ينتظروا وضع روكسانا زوجة الاسكندر الباكترانية المقدر له شهر أغسطس التالي (٢). انقسم الجيش الى فريقين الفريق الاول ضم أرستقراطية المقدونيين الذين كانوا يخدمون في الفرسان وقد رأوا انتظار ولادف طفل روكسانا فان كان ذكرا خلف اباءه. ولكن مشاء الجيش رأوا أن ذلك أمر غير ممكن القبول فالطفل المنتظر حتى لو جاء ذكرا فهو يحمل دماء بربرية من أمه وهم لايقبلون به جنديا في الجيش فكيف يمكنهم قبوله ملكا للبلاد؟ والمعروف أنهم كانوا قد تمردوا قبل عام واحد على محاولة الاسكندرا تزويد الجيش بجنود شرقيين.

انفجر الصراع صريحا بعد أن حسم المشاة أمرهم وأعلنوا ارهيداايوس ملكا على البلاد رغم ما علموه من أنه غير متزن العقل وكان تمرد المشاة خطيرا. وسرعان ما بدأت اتصالات بين الفرسان والجيش عن طريق يومنيس انتهت بقبول الطرفين لحل وسط فيتم اقرار اعلان ارهيداايوس ملكا باسم فيليب على أن يشاركه طفل روكسانا ان كان ذكرا

(١) كان ارهيداايوس ابنا لفيليب من فتاة تسالية تدعى Philine .
(٢) كان للاسكندر ابن آخر من بارسين الفارسية يدعى هيراكليسن ولكن الاسكندر لم يمنح به في حياته . لذلك فقد كانت مطالبته المعرفي تتلقى الاستجابة الواجبة.

ويطلق عليه اسم الاسكندر وعندما تحقق ذلك أصبح فيليب الثالث والاسكندر الرابع ملكين بالاشتراك على الامبراطورية (١).

ان تعيين الملكين كان فى الواقع بداية الطريق لانهاية المصاعب فالملك كان مجرد رمز بغير سلطة او ارادة. ومن ثم اطلت اطماع القادة والمراقبين للاسكندر برؤوسها وبدأت مفاوضات مطولة بين أصحاب المصلحة انتهت بتعيين ثالث اكبر الرؤوس بين القادة وهو برديكاس فى أخطر المناصب: منصب الشيليارخ Chiliarch وهى تسمية فارسية يتولى صاحبها قيادة الجيش كما يصبح المستشار الأكبر للامبراطورية، أما الرأسان الاعلى مقاما وهما انتيباتروس رفيق كل من فيليب الثانى والاسكندر الأكبر وكراتيروس الذى كان يعتبر أفضل ضباط الاسكندر فقد كانا خارج بابل وقت توزيع المناصب غداة موت الاسكندر؛ الاول كان نائبا للملك على مقدونيا والثانى كان فى مهمة عسكرية خاصة بأمر من الاسكندر الأكبر. ومن ثم فإن المؤتمر الذى كان منعقدا برئاسة برديكاس قرر أن يستمر انتيباتروس نائبا للملك فى مقدونيا بما يعنيه ذلك من سيادته على المدن الاغريقية فى اوربا. وأن يعين كراتيروس فى منصب الوصى على فيليب

(١) كان يقف على رأس الخيالة برديكاس ومعه ليوناتوس وبطليميوس وبايهم فى الأهمية ليسياسفوس وأريستونس وبيثون وسليوكس وبومنيوس من كارديا. أما قائد المشاة فقد كان ميلياجر. وبعد أن تم الاتفاق بين الطرفين، انتقم برديكاس من معارضيه بقتلهم مدعيا أن ذلك كان بأمر من أرמידايوس ثم ألحق بهم ميلياجر بعد قليل.

أرهيدايوس والامين على الخزانة الملكية. ومقتضى هذا التقسيم أصبحت السلطات التنفيذية الكبرى في الحكومة المركزية تتركز في يدي برديكاس بينما أصبح دور كراتيروس دورا رقابيا فقط. قرار آخر هام أتخذه مؤتمر بابل تعلق بايقاف ارسال أية حملات جديدة بهدف توسيع حدود الامبراطورية والاستعاضة عن ذلك بتدعيم أركانها. وعلى ذلك أصبح مطروحا على الجلسة الثانية للمؤتمر ايجاد مهام للقادة والرفقاء الذين كان وجودهم في الجيش مرتبطا بمشروعات الحرب والتوسع ومن هنا تم توزيع هؤلاء القادة حكاما على الاقاليم المختلفة بهدف ابعاد البعض عن العاصمة والتخلص من مشاكلهم أو بهدف استرضاء البعض ومكافاتهم على أدوارهم في اقرار الاوضاع الجديدة. وقد تردد أن ذلك كان بمبادرة من برديكاس كما قيل أن بطلميوس بن لاجوس لعب دورا رئيسيا في هذا التقسيم (١).

(١) أقر مؤتمر تعيين بطلميوس بن لاجوس لحكم مصر وليبيا وأجزاء من بلاد العرب المتاخمة لمصر. وأصبح كليومنيس الذي كان الاسكندر قد عينه على تلك الولاية مساعدا لبطلميوس وعين Laomedon واليا على سوريا المتاخمة لمصر، أما فيلوتاس فقد عين واليا على كيليكية ويشرن على ميديا، وعين يومنيس من كارديا واليا على كبادوكيا وبلافلجونيا والمناطق الواقعة على البحر الأسود حتى حدود مدينة Trapezus . وعين أنتجونس على بامفيليا وليكية وفريجيا الكبرى أما أسندر فعين واليا على كارييا. وميتاندرو على ليديا. أما لبوناتوس فعين واليا على فريجيا الهليسيبونت التي كان كالاس وال عليها من قبل الاسكندر والتي كان يحكمها Demarchus في ذلك الوقت.

أما ولايات أوربا فقد عين ليسيماخوس لكي يحكم تراكييا وخيرسونيا وكل القبائل التي تجاور التراكيبين حتى البحر الأسود. أما الأجزاء البعيدة من تراكييا حتى أراضي الألبانيين و Triballians , Agrianians و مقدونيا نفسها وإبيروس حتى جبال Ceraunia وكل الأغريق فقد كلف بها كراتيروس وأنتيباتروس ومع ذلك فقد بقيت مناطق كثيرة تحت حكم ولاه محليين منذ الاسكندر.

وبعد ستة ايام من موت الاسكندر كانت الجثة قد حنطت وتقرر نقلها الى مقدونيا لكي تدفن في مقابر الملوك هناك.

٢- تمرد الاغريق في بكتريا:

واجه برديكاس التحديات منذ الايام الاولى لتوليهِ السلطة والملفت للنظر حقا أن هذه التحديات المبكرة لم تأت من الشرقيين الذين فقدوا استقلالهم منذ سنوات قليلة ووقعوا تحت سيطرة المقدونيين وانما جاءت المقاومة الوحيدة للحكم المقدوني من الاغريق، وثورة الاغريق ضد الحكم المقدوني ذات أسباب تاريخية تكمن في نظرة الاغريقى للمقدوني أنه أقل منه في كل شئ ويكفى أن نتذكر أن الاغريق حتى وقت قريب كانوا يعتبرون المقدونيين من البرابرة ولذلك يصبح منطقيا احساس الاغريقى بأن المقدوني الذى يتولى القيادة فى كل مكان ليس لانقا بها ويكفى ظهور أى فرصة لكي يستغلها الاغريق للتعبير عن الغضب المكتوم فى النفوس.

وهكذا كانت هناك محاولة فاشلة للتمرد بين الاغريق فى بكتريا عام

٢٢٥ عندما أصيب الاسكندر وسرت اشاعة عن موته.

انتعشت آمال الاغريق هناك فى طرح السيطرة المقدونية جانبا بعد

ما تأكد موت الاسكندر فى عام ٢٢٢. فجمع هؤلاء قواتهم وكان الاسكندر

قد أعدهم لكي يوطنهم بصفة دائمة على تخوم أملاكه. وقرروا العودة الى

الوطن كما فعل من قبل اكسوفون وجنوده الذين كانوا يخدمون فى

الجيش الفارسي (١). ولكن علم برديكاس بتدبيرهم وأوقف تقهقرهم بأن عبء كل ما يمكن من القوات في الأقاليم العليا تحت قيادة بيثون وبمساعدة الولاة المقدونيين في المنطقة. استطاع بيثون أن يهزم الثائرين في معركة. ثم لجأ إلى التفاهم مع المهزومين دون اللجوء للعنف الذي أمر به برديكاس. ولكن أفسد خططه عدد من المقدونيين في جيشه رأوا الاتفاق ضاراً بمصالحهم فهو يحرمهم من الاستيلاء على الغنائم. فدبروا الاعتداء على أسراهم وقتلوهم. وقد أدى هذا بالطبع إلى وأد محاولة التمرد بين الاغريق في الشرق وكان ذلك في خريف ٣٢٢ ق.م.

٢- الحرب اللامية:

عرفت هذه الحرب باسم اللامية نسبة لمدينة لاميا التي شهدت أحداثاً هامة في هذه الحرب وقد وقعت نتيجة ثورة أعلنتها عدة مدن اغريقية بقيادة أثينا ضد الوجود المقدوني في بلادهم. ورغم أن حركة الاسكندر المقدوني وفتحها للعالم القديم كان فتحاً للثقافة الاغريقية ورغم أن الاغريق قد استفادوا بصورة مباشرة نتيجة لحملة الاسكندر سياسياً وحضارياً إلا أن الاغريق كانوا أول الثائرين على الوجود المقدوني في بلادهم

(١) قدر عدد الجنود الثائرين في باكثريا ب ٢٢ ألف جندي ومن المحتمل أن هذا العدد كان يضم عدداً من الشرقيين الذين أزرروا التمرد على أمل التحرر.

M. Carly , A History of The Greek World 323 to 146 BC . , London , 1978 P. 4 .

بمجرد اختفاء الاسكندر .

لعل الاحساس الاغريقى القديم باعتبار المقدونيين برابرة لم يزايلهم، خاصة وهم لم يتحالفوا مع الاسكندر طوعا ولم يشتركوا فى حملته عن رغبة صحيح أن الطبقات الثرية فى بلاد الاغريق القارية قد نعمت بالسلام الذى حققه لها الاسكندر وكانت حريصة على استمراره، الا أن عوامل الثورة كانت تتفاعل فى داخل المجتمعات الاغريقية المختلفة تشير كوامنتها تحفزها الحاميات المقدونية التى يعلن وجودها دائما عن حقيقة فقدان الاغريق لحرياتهم، عامل ثان أدت اليه عودة الاسكندر الى بابل من شرق آسيا وماتلا ذلك من تسريح لاعداد كبيرة من الجنود وقد عاد هؤلاء الى بلادهم يصنعون القلاقل بعد سنوات طويلة فى ميادين القتال البعيدة. عامل ثالث حدث فى عام ٢٢٤ عندما أصدر الاسكندر أمرا الى المدن الاغريقية بتأليهه، ورغم أن هدف هذا القرار كان سياسيا لتدعيم مكانة الاسكندر بين رعاياه إلا أن تأليه الاحياء كان أمرا جديدا على الاغريق خاصة وأوامر المولى تصبح قدرا لامفر منه وقد أمر الاسكندر المولى بتعديل فى الحدود الجغرافية للمدن ففقدت كثير من المدن بعض املاكها لصالح مدن أخرى. كما أصدر قرارا بعودة المنفيين الاغريق وقدر عددهم بعشرين الفا وقد أدى هذا القرار الى اضطراب هائل فى المدن الاغريقية فاراضى المنفيين واملاكهم كانت قد ذهبت لغيرهم واعادتها لهم كانت تمنى قلاقل لانهاية كما حملت عودة المنفيين عودة العنف السياسى الذى كان الوجود المقدونى قد منعه

الى حد كبير.

هكذا كانت كوامن الثورة قائمة في نفوس الاغريق ولكنها كانت بغير أمل حتى أن أشد المعارضين للوجود المقدوني كديموسثينيس وليكورجوس في أثينا كانوا لا يرون يوما قريبا للخلاص. ولكن حدث المستحيل وفجأة مات الاسكندر وبدأ الحلم حقيقة قريبة المنال وسرعان ما سرت الدعوة الى الثورة الاغريقية ضد المقدونيين . وجدت هذه الثورة قيادتها في أثينا ، بعد أن فشلت الاقلية الثرية هناك في إيقاف تيارها وأقرت الاكليزيا قرارا بالتعبئة العامة وأصدرت اعلانا عن حقوق الاغريق وحريتهم وضرورة طرد الحاميات المقدونية في بلادهم.

كانت أوضاع أثينا المالية افضل منها غداة قيام حرب البيلوبونيز (١)، كما كانت أثينا تتوفر على أسطول قوى وكان الشباب الاثيني مدرب على القتال بسبب مساهمتها في امداد جيوش الاسكندر بالجنود منذ خروجه الى آسيا عام ٣٢٤ وهكذا قرر المجلس تجهيز ٢٤٠ سفينة حربية بالرجال فضلا عن ٥٠٠ فارس و٢٠٠٠ من المرتزقة (٢).

بدأت أحداث القتال بتحريك ليوسثينيس (٣) بجنوده بعد أن

(١) كانت مداخل أثينا في ذلك الوقت تقدر ب ١٢٠٠ تالنت والفوائض ١٨ ألفا.

(٢) ذكر ديودورس أن الأسطول الاثيني كان يضم ٢٠٠ سفينة رباعية ولويعين ثلاثية

Diod. XVIII , 10 , 2 .

(٣) مرتزق أثيني خدم في آسيا وعاد مع تسريح الجنود ونجح في إبقاء قوة من الجنود معه ينفذ عليها من مصدر غير معروف إلى أن يوظفهم في حرب ضد مقدونيا وسنحت له الفرصة عند موت الاسكندر وبعد مفاوضات سرية قاد الاثينيين في الحرب.

انضمت اليه قوة ايتوليه من ٧٠٠ جندي كما آزرتة فوكيس ولوكريس حيث استولى على ثيرموپولاي. ومن ناحية أخرى تحرك الاثينيون للانضمام الى القوات المتمردة ولكنهم توقفوا أمام قوة بيوتية يعضدها بعض المقدونيين واليونانيين، ولكن ليوسثينيس ارسل اليهم قوة تساعدتهم على ضرب القوات المعادية وتساعدتهم على التقدم. وفي نفس الوقت ارسلت أثينا مبعوثين عنها الى البلاد الاغريقية تطلب اليهم أن يتحدوا في مواجهة المقدونيين .

أما المقدونيون بقيادة أنتيباتروس نائب الملك على مقدونيا وحاكم بلاد الاغريق فكانوا في موقف سيئ عند بدء القتال فالجيش البري صغير العدد وسفن الاسطول لا تزيد عن مائة سفينة وعشر سفن. ومع ذلك فقد سعى انتيباتروس الى نزال ليوسثينيس قرب ثيموبولاي ولكنه واجه اثناء المعركة انسحاب القوات التسالية من جيشه ولم يجد وسيلة لانقاذ باقي جيشه الا بدفعه الى داخل مدينة لاميا. اضطر انتيجونس المحاصر أن يقدم عرضا بالاتفاق مع الشائرين ولكن ليوسثينيس رفض الا التسليم غير المشروط لأنتيباتروس. وبقي انتيباتروس تحت الحصار طوال الشتاء رغم مقتل ليوسثينيس اثناء احدى المناوشات اللاحقة بين الفريقين.

أدت الانتصارات المبكرة للعصبة الهلينية الى انضمام امضاء جدد اليها فيينا فضل البيوتيون البقاء الى جانب المقدونيين لاسباب تاريخية(١)

(١) أدى تدمير الاسكندر لمدينة طيبة الى تخليص البيوتيين من سيطرتها وهبوا مقدونيين للمقدونيين هذا الجليل.

وبقت اسبرطة مشغولة بعدءاتها الشخصية كانت العصابة الهلينية تضم الجزء الأكبر من شبة جزيرة البيلوبونير وكل وسط شمال شبة جزيرة الاغريق تقريبا وان كان هذا التوسع لم يضيف قوة لجيش الثائرين فقد تركت المدن الصغرى الاعضاء فى العصابة تركت مهمة القتال للمدن القاندة كاثينا.

ومع مقدم ربيع ٢٢٢ بدأت بشائر قوات المساعدة المقدونية تقبل من آسيا الصغرى فنجح ليوناتوس Leonnatus حاكم فرجيا فى التسلل عبر تراكيا ثم تساليا قبل أن يقود قواته لمراقبة المضائق كما نجح فى رفع الحصار عن أنتيباتروس فى لاميا، وان قتل بعد قليل فى لقاء مع خيالة التساليين الحلفاء الجدد لاكينا. أما أنتيباتروس فرغم خروجه من الحصار الا أنه لم يستطع غير الانسحاب بقواته الى مقدونيا.

ومع مدخل صيف نفس العام تغيرت أوضاع المقدونيين بوصول قوات دعم جديدة بقيادة كراتيروس كما وصل عدد السفن المقدونية فى بحر إيجه الى ٢٤٠ سفينة فى مقابل ١٧٠ سفينة بقيت للأثينيين. وعندلقاء الاسطولين نجح الاسطول المقدونى بقيادة كليتوس Cleitu فى ضرب الاسطول الاثينى مرتين؛ واحدة قرب ابيدوس والثانية عند جزيرة أمورجوس Amorgos وقد أدى النجاح فى القضاء على الخطر البحرى الاثينى الى تخفيف الضغط عن القوات المقدونية البرية فانضم كراتيروس الى أنتيباتروس هناك ثم قامت القوات المشتركة باحتلال تساليا كما نجحا فى الضغط على قوات الحلفاء الثائرين عند Crannon وان لم يهزمهم

هزيمة كاملة ومع ذلك فان نتائج المعارك البحرية بالاضافة الى الهزيمة الجزئية في البر دفعا الاثنيين وحلفاءهم الى قبول التفاوض مع انتيباتروس ولكن هذا رفض أن يتعامل مع المتمردين كمصبة بل اشترط ضرورة التعامل مع كل دولة من دول العصبة على انفراد وعقد اتفاقية بينه وبين كل قوة على حدة فيما عدا الايتوليين الذين رفضوا ذلك وعادوا الى ميدان القتال من جديد (١).

تشدد أنتيباتروس في شروط صلحه مع الاغريق بعد الحرب اللامية فنشر حامياته المقدونية هنا وهناك كما اشترط نظاما من الحكم صديقه لمقدونيا فنجد في أثينا مثلا عاقب القادة المسؤولين عن الحرب كما وضع حامية مقدونية على تل مونيخيا Munychia الذي يطل على بيرايوس واشترط شكلا من الحكومة عاد بالاضاع الى دستور سولون أو من سبقه كما لشرط حدا أقصى لعدد المواطنين في المدينة هو ٩٠٠٠ يملك كل منهم ٢٠٠٠ دراخمة على الأقل، واعاد نظر الجرائم الكبرى الى الاريوس باجوس بدلا من المحاكم كما انفى دفع مرتبات أو اجور لقاء الخدمات الحكومية. وبقي الايتوليون انتظارا لحسم معركته عسكريا معهم بعد شتاء ٢٢٢/٢٢١ ولكن تحركات برديكاس في آسيا دفعت أنتيباتروس الى التساهل معهم وعقد صلح مع العصبة بشروط ميسرة.

ويمكننا أن نقول أن الحرب اللامية كانت آخر الانتفاضات الاغريقية ضد المقدونيين بدافع قومي اذ أن القرون التالية شهدت تعاوننا بينهما في حكم الشرق ومع هذا يمكن القول بأن الاغريق استفادوا جدا من هزيمتهم العسكرية في الحرب اللامية (١).

٤- سقوط بريدكاس :

اختار بريدكاس طريقا وعرا عندما تولى مسئولية الامبراطورية بعد الاسكندر، فلم يكن بريدكاس أعظم رجال الاسكندر مكانة ولا أعلاما مقاما ولكن وصلته السلطة العليا في الدولة أو نجح سعيه اليها بسبب ظروف وجود أنتيباتيروس وكراتيروس خارج بابل وقت موت الاسكندر. أدى وصول بريدكاس الى قمة السلطة في الامبراطورية في ظل وجود من هم أعلى منه مقاما كانتيباتيروس وكراتيروس ومن ينكرون أفضليته عليهم كبطلميوس وانتجونس أقول أدى هذا الى محاولة كل طرف أن يدفع الأمور لصالحه. فبريدكاس كان مصمما منذ اللحظة الاولى على أن يملأ المركز السامي الذي يشغله ولذلك كان حاسما في مقاومة أي انكار لمكانته والآخرين كانوا لا يعمرون قراراته وأوامره التفاتا وقد أدى تعارض المواقف الى سلسلة من التداعيات التي انتهت بقتل بريدكاس نفسه.

أول صور المقاومة لأوامر برديكاس حدثت من ليوناتوس حاكم فريجيا وانتيجونس حاكم الهلسبوننت عندما طلب اليهما برديكاس التوجة بقواتهما ضد أرياراتيس Ariarathes حاكم كابادوكيا منذ أيام الاسكندر. وكان هذا الحاكم المحلي قد أخذ يوطد سلطانه ويوسع أملاكه (١) وكان لابد من إيقاف اطماعه فوجه برديكاس أمره الى الحاكمين السابق الإشارة اليهما ولكنهما لم ينفذاه. فقد فضل ليوناتوس الاستجابة الى طلب نجده أرسل به اليه انتيباتروس الذى كان مايزال يحارب الاغريق فى الحرب اللامية. اما انتيجونس فلم يكلف نفسه مجرد البحث عن عذر لعدم تحركه واهماله أوامر برديكاس رئيس الوزراء.

لم يجد برديكاس بدا من أن يتحرك بشخصه ضد Ariarathes حتى لايتحرك لحاكم كابادوكيا الفرصة للتطاول على امبراطورية الاسكندر. وبعد أن نجحت حملته على كابادوكيا وأسر أرياراتيس ومعه أربعة آلاف من جنوده، بدا يفكر فى عقاب المتنعين عن تنفيذ أوامره فطلب الى انتيجونس ضرورة المثل أمامه فى بلاط الملك فى بابل لتبرير فعلته ولكن انتيجونس الذى كان يعلم معنى أن يذهب لبرديكاس فضل الهرب من ولايته واللجوء عند انتيباتروس فى مقدونيا.

(١) يبدو محتملا أن أرياراتيس قد فرض سيطرته على المستوطنة اليونانية سينوب، حيث ظهر اسمه على عملة هذه المدينة، أما إستيلانه على ترابيزوس فأمر غير مؤكد.

ثانى صور المقاومة لمكانة برديكاس جاءت هذه المرة من بطلميوس الذى كان أحصف رجال الاسكندر واكثرهم معرفة بالنفس البشرية كان بطلميوس قد فضل أن يذهب الى مصر بعيدا عن مركز الاهتمام والصراع فى بابل ومقدونيا ورأى أن الفرصة مواتية هناك لبناء حكم قوى بعيد عن صراع القمة. وكان من البداية عازفا عن الدخول فى المنافسات. رأى بطلميوس أن مما يدعم مركزه ويقويه أن يستولى على جثة الاسكندر تلك الاسطورة الباهرة التى استقطبت اهتمام العالم كله وخلبت لب كل المقدونيين ومعاصريهم فى مختلف البلاد. تلك الشخصية المولدة التى كانت ماتزال مؤثرة فى الاحداث حتى بعد موتها. مهد بطلميوس لهدفه بأن نشر وصية على لسان الاسكندر تطلب أن يدفن فى معبد أبيه آمون فى سيوة. ولكن مؤتمر بابل كان قد اتخذ قرارا بأن تدفن الجثة فى الجبانة الملكية فى Agae بمقدونيا وكلف ارهيدايرس - وهو غير الملك - باتمام بناء العربة واعداد موكب الملك المتوفى. وفى نهاية عام ٢٢٢ خرج الموكب من بابل عبر دمشق فى طريقه الى مقدونيا ولكن بطلميوس نجح فى اقناع ارهيدايرس بصحة وصية الاسكندر وحمله وزر عدم الاستجابة لرغبة الملك الميت ولعله اغراه أو رشاه : اللهم أن الموكب غير اتجاه مسيرته وبدلا من الاستمرار غربا نحو مقدونيا تحول جنوبا نحو مصر، حيث وصلت الجثة الى ممفيس ودفنت هناك الى أن نقلت الى الضريح الضخم الذى اقامه بطلميوس فى

الاسكندريه : صحيح أن بطلميوس نجح بذلك في الاستحواذ على اثرذى
أهمية هائلة لدى المقدونيين ولكنه فى نفس الوقت أثار غضب برديكاس
الذى رأى فيما صنعه بطلميوس نوعاً من التمرد على سلطته يوجب
العقاب.

ثالث صور المقاومة لبرديكاس جاءت من الغرب من أنتيباتروس
وكراتيروس أعظم المقدونيين مكانة فى عصرهما . صحيح أن أنتيباتروس
وكراتيروس انشغلا أولاً بحرب الاغريق عن الاشتراك فى اقتسام الغنيمة فى
بابل. وصحيح أيضاً أنهما لم يفكرا فى يوم من الايام أن يطيعا أوامر
برديكاس الذى ظلا يعتبرانه أقل منهما مقاماً، ولكنهما مع ذلك لم يسمعا
فى البداية لمقاومته . حتى أن أنتيباتروس استجاب لرغبة برديكاس بالزواج
من ابنته نيكايا Nicaea وهنا بدا الخلاف يجد طريقه الى علاقه الرجلين
فقد تلقى برديكاس فى نفس الوقت عروسا أخرى أعظم نسباً وهى
كليوباترة شقيقة الاسكندر الأكبر والتي أرسلتها أمها اليه نكاحاً فى
أنتيباتروس وفضل برديكاس شقيقة الملك العظيم على ابنة أنتيباتروس مما
أوغر صدر الأخير ضده خاصة بعد جهود أنتيجونس اللاجئ فى بلاط
أنتيباتروس لتشويه صورة برديكاس عنده وبيان أن القصد من هذا الزواج
هو محاولة إيجاد طريق شرعى لاغتصاب الملك ونقل قاعدته الى مقدونيا.
ورغم أنه لا تقوم أى أدلة قوية على صحة هذا الاتهام فالواضح أن أنتيباتروس
وكراتيروس فضلاً عن التحوط للامر والاستعداد لمواجهة التحرك المنتظر

لبرديكاس ضدهما فسحبا قواتهما من المدن اليونانية في نهاية عام ٢٢٢ ودخل عدد من القادة المعنيين بأمر مقاومة سلطة برديكاس في مصاهرات مع أنتيباتروس، حيث تزوج كراتيروس ابنته فيلا Phila وزوجت يورديكي Eurydice لبطلميوس ونيكيا ليسماخوس حاكم تراكيا.

وهكذا وجد برديكاس نفسه محاطا بجهتين معاديتين أنتيباتروس وكراتيروس ومهما أنتيجونس في مقدونيا وبطلميوس في مصر بينما وقف ليسماخوس على الحياد.

اتجه برديكاس لضرب الجبهتين في وقت واحد وكانت خطته تقوم على أن يقود بقايا جيش الاسكندر بنفسه ضد بطلميوس وأن يرسل ضد أنتيباتروس وكراتيروس جيشا آخر يقوده يومنيس حاكم كبادوكيا الجديد، وكان يومنيس هو الاغريقي الوحيد بين القادة المتصارعين بينما كان الباقيون مقدونيين . ورغم أن يومنيس لم يشغل وظيفة عسكرية أثناء حياة الاسكندر الا أنه أثبت في ميدان القتال صلابته وقدرته على أن يكون ندا لاعظم قواد جيش الاسكندر. بدأت المعركة بعبور أنتيباتروس وكراتيروس لمضيق الدردنيل دون أن يراجها باية تحركات معادية مما أقنعهما بأن يوجها نصف الجيش وعلى رأسه أنتيباتروس لمعاونة بطلميوس في حين يبقى كراتيروس للقاء يومنيس ، وعندما التقى الجيشان عند الدردنيل فان كل الاحتمالات كانت لصالح كراتيروس- وان تساوى الجيشان في عددهما. وذلك لان جيش يومنيس لا يضم الا عددا قليلا من

المقدونيين، كما كان بعض المقدونيين في جيشه يرفضون أن يكونوا رؤسيين لاغريقى وفضل آخرون أن يتواطأوا مع الاعداء. ومع ذلك فقد نجح يومنيس اعتماد على الخيالة الكبادوكية فى الضغط على جيش كراتيروس حتى قرر الانسحاب من المعركة والانضمام الى اثيباترس من جديد خاصة وقد سقط كراتيروس نفسه قتيلًا فى الميدان، والجدير بالذكر أن موت كراتيروس كان له وقع الكارثة على جنوده.

أما على الجبهة المصرية فقد أراد برديكاس أن يبدأ معركته باقناع جنوده بمدالة قصده واستحقاق بطلميوس للعقاب فدخل فى جدل مع بطلميوس ولكنه خسر هذا الجدل، فبدأ الحملة العسكرية وتقدم فى اتجاه الدلتا ولكنه فشل فى عبور الفرع البيلوزى للنيل فقرر أن يسير بمحاذاة حتى ممفيس وهناك تعرض لكارثة عند عبور جيشه فى النيل فرغم حسن اختياره لوقت العبور فى يونيو سنة ٢٢١ أى قبل حلول موعد الفيضان إلا أنه أساء اختيار موقع العبور فقد أدى ثقل الأحمال الى انهيارات فى قاع النهر ومن ثم عظمت خسائر الجيش وقد أدى هذا بثلاثة من ضباط برديكاس الى اغتياله فى خيمته احتجاجا على سوء قيادة للجيش هؤلاء الضباط هم بيثون لقائد معركة بكتريا ضد الاغريق (٢٢٢) وانتجنيس وسليوكس. وضع موت برديكاس الامبراطورية أمام واقع جديد فرغم وجود ملكين لها إلا أنها كانت بغير حكومة.

انتيباتروس يمسك الفسارغ:

أدى موت برديكاس الى اختفاء ممثلى السلطة العليا فى الدولة برديكاس وكراتيروس وتبع ذلك محاولة يوريدكى زوجة فيليب ارهيدايروس للاستحواذ على الوصاية. عندئذ عقد الجيش مؤتمرا فى شمالى سوريا فى Triparadeisos عام ٢٢١ ق م بدعوة من أنتيباتروس الذى كان قد وصل الى سوريا على رأس قواته لمحاربة برديكاس . وقرر المؤتمر تعيين انتيباتروس اكبر القواد سنا ومكانة اداريا متمتعا بكل السلطات على الدولة، قبل انتيباتروس التعيين وأعاد تنظيم الدولة، وأعيد توزيع الولايات وعين أنتيجونس قائدا على جزء من جيش برديكاس ووصيا على الملوك، وكلفه أن يتخلص من بقايا أنصار برديكاس الذين بقوا تحت سيطرة يومنيس وشقيق برديكاس المدعو Alcetas كما عين كاسندر شليارخا تحت رئاسة أنتيجونس (١) لقد كان هذا التنظيم قصير العمر أولا : لان أنتيجونس انفرد بالسلطة دون كاسندر وأبدى ولاء قليلا للملكين، مما حدا بانتيباتروس الى نقله الملوك معه الى مقدونيا وكذلك نقل مركز

(١) سمي أنتيباتروس الى تهدئة الأوضاع، فأتجه لارضاء كل المشاركين من أنصاره. كما سمي الى تمكين الأقوياء من الولاة حتى يامن شرهم. ثم رزع الولايات فأقر بعض التنظيمات السابقة وعدل البعض الآخر المكافأة من قام بدور متميز للتخلص من برديكاس مثل أنتيجونيس Antigones . ومن دراسة هذه التنظيمات يلاحظ عزوف أنتيباتروس عن ادعاء أى امتدادات فى الشرق أكثر مما حققه الاسكندر حيث أقر أنتيباتروس حق يودوس على ما فى يده و Taxiles - وهو حاكم هندي آخر - على أملاكه. إنظر قائمة ولاة كافة الأقاليم حسب هذا المؤتمر.

الامبراطورية الى هناك.

على كل حال أدى ذهاب أنتيباتروس الى مقدونيا الى انفراد أنتيجونس بالسلطة على الشرق، والمفروض أنه كان يمارس سلطته هناك باسم الامبراطورية؛ ومن المؤكد أن أنتيباتروس عين أنتيجونس في هذه الوظيفة الهامة اعترافا بخطورته لاحبا فيه، اذ كان المتوقع أن يبدأ أنتيجونس حربا جديدة للحصول على مكاسب اقليمية بمجرد عودة أنتيباتروس الى مقدونيا اذا لم يكن قد عين حاكما اسمى على اسيا، ولعل نفس الاعتبار هو الذى حدى بانتيباتروس الى الاعتراف بمطالب بطلميوس في أن تطلق يده في مصر دون رقيب، فقد كان أنتيباتروس بذلك يمنع حربا يشنها بطلميوس للوصول الى مطالبه.

وهكذا وضع أن وحدة الامبراطورية لم تعد أكثر من شعار أكثر منها حقيقة ، وحتى لو عاش أنتيباتروس لمدة أطول لما كان في مقدوره الابقاء على هذه الوحدة الشكلية.

بعد تنظيمات Triparadeisos نعمت بلاد الاغريق بفترة من الهدوء بعد الكوارث التى عانتها البلاد أثناء الحرب اللامية. واستمرت لحروب فى اسيا الصغرى حيث نجح أنتيجونس فى التخلص من بقايا أنصار برديكاس اذ تقدم فى ربيع ٢٢٠ ق م حيث هاجم يومنيس واضطره بعد الهزيمة والهرب الى أن يحبس نفسه فى قلعه جبلية على حافة جبال سرروس فى كبادوكيا وبات أمر استسلامه لقوات أنتيجونس مسألة وقت .

ثم نجح مطاردة جيش Alcetas لمسافة تقرب من ثلاثمائة ميلا خلال اسبوع واحد نجح في تدمير جيش Alcetas بقواده.

نهاية اسيرة الاسكندر الملكية :

مات انتيباتروس بعد مؤتمر Triparadeisos بعامين (٢١٩ ق م) وعين الجيش طبقا لرغبته Polyperchon الذى كان واحدا من قدامى ضباط الاسكندر كخليفة له. ومن المعروف أن - بوليبرخون لم يكن رجلا ذو قدرات بارزة، بل كان أدنى مقدرة من أى من الولاة الرئيسيين فى امبراطورية الاسكندر فهو أدنى من انتيجونس وپطلميوس وليسيماخوس وسليوكس. وعندما اقترحه انتيباتروس فانه فضله على ابنه هو (كاسندر) (١). ومما لاشك فيه أن هذا الاختيار كان اتقاءا لرجل ليس عبقري ولكنه امين وواقعى ومخلص لقضية الملكية ويمكن الوثوق فيه واذا قدر لبوليبرخون أن ينجح فى مهمته فان هذا النجاح لن يكون بسبب

(١) عين انتيباتروس ابنه كاسندر شليارخا وبذلك يكون الرجل الثانى فى الامبراطورية من حيث السلطة، ويبدو أنه أراد بذلك أن يستبعد شبهة الربط بين القرابة والوراثة تأكيدا للولاء لاسرة الاسكندر. ولكن كاسندر لم يقتنع أن تذهب سلطه اليه لغيره خاصة وأنه كان كفيه لها. ولذلك قام باتصالات مع اصدقائه فى أنحاء البلاد دعاهم فيها الى الوقوف بجانبهم بالخبر الوفير على يديه. كان من بين من تراسل معهم بطليموس فى مصر حيث طلب منه أن يكون حليفه وأن يؤيده بأسطوله. كما راسل عددا من قادة المدن اليونانية لنفس الغرض. وفى نفس الوقت رتب لرحلة صيد لكى يبعد عن ذهن بوليبرخون فكرة تمرده على السلطة.

كفاءته وقدراته الشخصية، وإنما يعتمد على المعاونة المخلصة التي توقع انتيباتروس أن يقدمها له الجيش من خلال ولاءه للبيت المالك ولكنه كان مخطئاً في توقعه إذ أن الجيش المقدوني أصبح أكثر ولاء لنفسه مستعداً لخدمة من يمكنه الوثوق به أكثر رغم أنه كان مائزاً العامل الأكثر حسماً في التاريخ السياسي للعصر.

عنى موت انتيباتروس نشوب الحرب من جديد في شرق الامبراطورية وغربها فقد واجه تعيين بوليبرخون انكاراً من القادة الرئيسيين في الاجزاء المختلفة من امبراطورية الاسكندر، والواضح أنهم لم يكونوا ليمترفوا بأي سلطة مركزية اذا لم تكن سلطتهم هم : فنجد انتيجونس في الشرق يبدأ سلسلة من الحملات على الولايات التي لم يخضع ولايتها له خضوعاً كاملاً (١). واندفع بطلميوس لاحتلال سوريا . وفي الغرب فان كاسندر الذي كان رئيساً للوزراء تحت اشراف بوليبرخون رفض أن يعمل كمؤسس لهذا الرجل وهرب الى انتيجونس حيث قدم له فرقة جنود

(١) عندما وصلت اخبار موت انتيباتروس الى انتيجونس في الشرق كان قد هزم يونيس في كبادوكيا والكتياس وأتالوس في Pisidia. فضلاً عن أن انتيباتروس عين قائداً عاماً على آسيا بسلطات مطلقة. وكان قائداً لجيش كبير ضم ٦٠ ألف من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان وثلاثون من أفيال. كل ذلك جعل انتيجونس يقرر حسم الأمر لصالحه خاصة ولديه إمدادات لاحتلالها من الولايات الشرقية. فجمع مجلساً من أصدقائه وأقنعهم بالولاء له. ثم بدأ بعزل الولاة الموجودين وعين بدلاً منهم أصدقاءه.

مساعدة له في حربه ضد بوليبرخون وقد تلقى كاسندر كذلك دعما من بطليموس وليسيماخوس فيما بعد.

أراد بوليبرخون أن يواجه موجة انكار سلطته بكسب الحلفاء والأصدقاء فاعلن باسم الملك حق الاغريق في ممارسة حريتهم واستقلالهم الذاتي. وقد أدى هذا القرار الى اضطرابات شديدة في بلاد الاغريق اذ أدى الى ثورات الشعب ضد الاوليجاركية المتحكمة في السلطة منذ تنظيمات أنتيباتروس وكذلك أدى الى اندلاع حروب صغيرة بين المدن والحاميات المقدونية.

وعندما أراد بوليبرخون أن يكسب اوليمبياس أم الاسكندر الأكبر الى صفه ضد كاسندر ويورديكي فتح بابا للحرب الاهلية في مقدونيا اذ دعا اوليمبياس أن تعود الى مقدونيا (١) وصية على حفيدها الاسكندر . وكان هذا يعنى حدوث صدع عميق بين الملكين او بالتدقيق بين المراتين اللتين كانتا تديران المسائل باسميهما خاصة والمعلوم أن اوليمبياس كانت تكره يورديكي كراهية مميتة. فقد كانت زوجة ومرشدا لفيليب ارهيداوس.

وفي الشرق عين بوليبرخون وأوليمبياس يومنيس الذي كان قد نجح بدبلوماسية محنكة في الخروج من قلعة نورا- كقائد عام على جيش (١) كانت اوليمبياس تقيم في ايروس حر باسم أنتيباتروس عندما دعاها بوليبرخون للعودة الى مقدونيا وصية على حفيدها.

الملك في اسيا مع تعليمات بالتخلص من أنتيجوس، وتجدر الإشارة هنا الى أن يومنيس سبق اتخاذ قراره ضده في Triparadeisos بأنه خارج على القانون يجب عقابه ولم يعدل الجيش عن هذا القرار حتى تاريخه.

كانت الحروب التي نشبت قاسية ودامية ومبررة، ففي الشرق نجح أنتيجونس في هزيمة يومنيس وأولئك الولاة الشرقيين الذي حاولوا عدم الخضوع الكامل له وقد أعدم يومنيس في عام (٢١٦) في معسكر أنتيجونس(١)، ومع ذلك قتل من قيمة انتصارات أنتيجونس نجاح سليوكس والى بابل في الهروب الى مصر حيث لجأ عند بطليموس وبين له أن نجاح أنتيجوس في بلوغ مراميه يعني تدمير بطليموس .

وفي بلاد اليونان وفي مقدونيا نجد أثينا بعد محاولة قصيرة العمر لاهياء دستورها الديموقراطي اجبرت على يد كاسندر على الخضوع وقام بها نظام الطغاة من جديد كان على رأسه ديمتريوس الفاليري وقد حل في عام ٢١٧ ق م محل فوكيون الذي كان قد أعدم في عام (٢١٨ ق م) وفي مقدونيا نجح بوليبرخون الذي كان قد طرده كاسندر نجح في اعادة

(١) يومنيس كان الاغريق الوحيد بين الحلفاء المقدونيين لاسكندر وقد حارب جيش كراتيروس وهزمه لصالح بيرديكاس (٢٢١ ق م) وهزمه أنتيجونس بعد تنظيمات تريباراديسوس فلجأ الى قلعة نورا، وبعد وفاة أنتيباتروس عرض عليه أنتجونس أن ينسى ما كان بينهما من صراع وأن ينضم اليه ومنه بالكثير من المكاسب ولكنه رفض، ثم استجاب لطلب أعداء أنتجونس (بوليبيرخون وأوليبياس) فتولى قيادة جيش باسمهما، وهزم أنتجونس سنة ٢١٦، ولكنه تعرض لخيانة من فرقة الدروع الغضبية، قبض عليه أنتجونس وأعدمه.

أوليمبياس الى مقدونيا وجعلها مسنولة عن الاسكندر وروكسانا (٢١٧) حدث هذا بينما كان كاسندر موجودا فى حملة فى شبه جزيرة البيلوبونيز. وجدت اوليمبياس التأييد فى البداية رغم معارضتها لكل من فيليب ارهيداىوس ويورديكى، ولكن اقدامها على اعدام ارهيداىوس ودفع يورديكى لالتحار وقتل كل من ساعدهما ادى هذا الى تحول ولاء الجيش والشعب لصالح كاسندر . وعاد كاسندر من اليونان بقوة كبيرة وحاصر اوليمبياس فى بيدنا، وفرض عليها الجوع الى ان تستسلم والاستسلام كان يعنى الموت. وأخيرا قتلت بأمر من كاسندر على ايدى اقارب ضحاياها الكثيرين عام ٢١٥ ق م .

أصبح كاسندر سيد مقدونيا بعد مقتل ارهيداىوس ويورديكى وأوليمبياس. وسقط الاسكندر وروكسانا أسيرين لديه وهرب بوليبرخون من تساليا الى ايتوليا . وقد أبقي كاسندر على حياة الملك وأمه لاستخدامهما ورقة رابحة فى مستقبل الايام.

اختفت الحكومة المركزية واختفت اسرة فيليب المقدونى ولم يعد هناك من ينادى بحق هذه الاسرة فى حكم امبراطورية الاسكندر . وبعد كل هذه الاحداث أصبح السؤال المطروح عما اذا كان هناك من بين الحكام فى الولايات من يرغب ويقوى على التقدم كمرشح لخلافة الاسكندر وأن يعيد توحيد امبراطورته العالمية. كان واضحا للجميع أن هناك رجلا واحدا تنطبق عليه هذه المواصفات. هَذَا الرجل هو انتيجونس الاعور بمعاونة ابنه

ديمتريوس، فلقد ادعى مركز الحاكم الاعلى لآسيا بعد انتصاراته الكبيرة على يومنيس وهدف الى ابقاء هذه الوظيفة بعد عودته الى آسيا الصغرى. رأى باقى الولاة فى اطماع انتيجونس خطرا عليهم فتحالفوا وأرسلوا رسالهم الى انتيجونس لكي يشعره بانهم لا ينظرون لانفسهم أبدا كولاة من قبل حكومة مركزية وإنما هم يعتبرون انفسهم شركاء نصره على يومنيس ويطالبون بانصبتهم فى غنائم الحرب. وهكذا دخل خلفاء الاسكندر فى حرب جديدة من أجل القضاء على محاولة احدهم خلافة الاسكندر (١).

بدأت الحرب فى عام ٢١٥ حارب انتيجونس على أكثر من جبهة (٢)؛ فى اليونان نجح انتيجونس فى استقطاب بوليبرخون وابنه الاسكندر للعمل لصالحه وفى آسيا نجح فى طرد بطلميوس من سوريا. وبعد هذه النجاحات الاولى بنى اسطولا قويا فى فينيقيا قواه فيما بعد بتحالفه مع رودس، وبذلك أصبح سيد شرق البحر المتوسط، وفى اليونان فتح دعاية ضد كاسندر حيث اعلنه عدوا عاما بسبب سوء معاملته للاسكندر وروكسانا وأعلن نفسه وصيا ونائبا للملك فى مكان بوليبرخون الذى أصبح فى ذلك الوقت أحد اتباعه. ولكي يحصل على تأييد الاغريق أعلن منشورا حول حرية الاغريق،

(١) Appian , Syrian Wars . 53.

(٢) عند بداية الصراع كان انتيجونس يملك ٥٢ ألف ثالث فضلا عن دخل سنوى يقارب ١١ ألف ثالث، وهذه الاموال كانت تمكنه من تجنيد جيش أضخم عددا وأكثر إستعدادا من جيش أى قائد من منافسه.
M. Cary , O.P. Cit . P . 27 .

وقد ضم بعض المدن في آسيا الصغرى ومدن الكوكلاديس في عصابات حرة واتخذها حلفاء له (١). حاول بطلميوس ان يقاوم ذلك بالاستعانة بنفس الخدعة السياسية، ولكن حركته السياسية لم تكن مدعومة بقوة عسكرية مما جعلها ذات تأثير قليل في بلاد اليونان . كان صراع انتيجونس في بلاد الاغريق صراعا صعبا ومعقدا ، ولم يحرز انتيجونس هناك اى انتصار حاسم، وبقي كاسندر فى كامل قوته. وفى عام ٢١٤/٢١٢ خطط انتيجونس للوصول بالحرب فى اليونان الى نهايتها فقرر الهجوم على مقدونيا وفى نفس الوقت تهاجم قواته بقيادة بوليميايوس اليونان وعندها أراد الهجوم على مقدونيا من طريق عبور الدردنيل منه ليسماخوس من عبور المضيق وقد أدى ذلك الى أن أصبحت انجازات بوليميايوس فى بلاد اليونان عديمة القيمة تقريبا.

تعاقت الأحداث فى الشرق بصورة أثرت تأثيرا حاسما على نتيجة الصراع ضد انتيجونس. فقد تقدم بطلميوس لاستعادة سوريا التى كان

(١) استخدم انتيجونس نفس حيلة بوليبيرخون فأعلن عن حق الاغريق فى الحرية والاستقلال والتحرر من وجود حاميات أجنبية فى بلادهم. وأرسل رسائل متعددة لمختلف المدن بهذا المضمون. كما أرسل الاسكندر بن بوليبيرخون والذي كان فى خدمته فى ذلك الوقت معه ٥٠٠ تألفت وقوات لدعم دعوت. وكان انتيجونس يرى بأنه يستطيع بذلك أن يضمن وقوف الاغريق الى جانبه برغبتهم فى الصراع الجديد. ولم يقف بطلميوس بعيدا بل حاول القيام بنفس الدعاية السياسية وأعلن نفس الكلمات مثل المقدونيين وانتيجونس عن حربه الاغريق .

Diod . XIX . 61-62 . 2.

قد طرد منها، وكان أنتيجونس قد ترك ابنه ديمتريوس في غزة وكان بذلك يسمى الى فتح جبهة جديدة ضد أنتيجونس لتخفيف الضغط عن حلفائه في اوريا فضلا عن ابعاد خطر الغزو عن مصر على يد ديمتريوس. استطاع بطلميوس ان يوقع بديمتريوس هزيمة ساحقة في غزة (٢١٢) ولكن انتصاره كان قصير العمر اذ سرعان ماتعرض لهجوم مضاد من ديمتريوس ادى الى نجاح جزئى ثم عاد أنتيجونس نفسه الى سوريا ولم يجد بطلميوس امامه من خيار سوى الانسحاب الى داخل مصر.

أدت حملة بطلميوس القصيرة على سوريا الى بعض النتائج منها نجاح سليوكس السذى كان لاجئا عند بطلميوس -فى استعادة ولايته السابقة فى بابل. ثم بذل سليوكس جهودا جبارة لتوسيع حدوده شرقا(١). أزعج هذا التطور الجديد أنتيجونس الذى اعتبر عودة سليوكس الى بابل عنصر هدم يمكن أن يعصف بخططه. ولذلك وجه ابنه ديمتريوس على وجه السرعة الى بابل لضرب سليوكس الذى كان مشغولا عند وصول قوات

.....
(١) كان سليوكس قد عين ولياً على بابل فى عام ٢٢٠ ق.م ولكنه وقع فى خلاف مع أنتيجونس فهرب الى مصر محتفياً بطلميوس . وقد استطاع سليوكس أن ينفذى شكوك بطلميوس وباقى الحلفاء ضد اطماع أنتيجونس وتكون حلف من بطلميوس وليسيماخوس وكاسندر وأسندوا أمور هذا الحلف لسليوكس. استطاع سليوكس استغلال فرصة هزيمة بطلميوس لديمتريوس فى غزة عام ٢١٢ وذهب مباشرة الى بابل لاستعادة حكمه وكانت معه قوة من ألف جندي من المشاة و ٢٠٠ من الفرسان . واستطاع هذا الرجل أن يوسع امبراطوريته فى فترة قصيرة.

Appian , Syrian Wars . 53-54 .

ديميتريوس بتوسيع حدوده الشرقية. ومع ذلك لم يحقق ديميتريوس النجاح المطلوب، وفي نفس الوقت تعرض انتيجونس لخيانة أحد قواده في الغرب، أدت هذه الأحداث الى اقناع انتيجونس بارجاء العمليات العسكرية في الغرب والجنوب الى أن يعيد سلطته على الشرق بطرد سليوكس من هناك. وبعدها يستأنف الصراع ضد كاسندر وليسيماخوس وبطلميوس، حيث كان وجود سليوكس كعدو على حدوده الشرقية أمر يعمق انطلاقه غربا أو جنوبا تاركا قلب دولته تحت رحمة سليوكس، فضلا عن أن أستيلاء سليوكس على بابل والولايات الشرقية كان يحرم انتيجونس من امدادات الرجال والخيول والاقبال والنقود التي كانت تأتيه من الشرق البعيد ويبدو أن رغبة انتيجونس في عقد هدنة مع اعدائه الآخرين صادقت هوى في نفوسهم ولعلهم كانوا هم الآخرين يحتاجون لفترة يلتقطون فيها الانفاس، ومن ثم حدثت اتصالات انتهت بعقد اتفاق بين انتيجونس وكاسندر وليسيماخوس وبطلميوس وقد عرفنا مضمون هذا الاتفاق من خطاب ارسله انتيجونس بعد اتمامه الى مدينة Scepis (١). ويرجح هذا التفسير أن المتعاقدين استبعدوا سليوكس من الاتفاق وتخلوا عن زميلهم عند الاتفاق، بل وأنكروا وجوده في بابل وانتصارته على الولايات الشرقية فجاء الاتفاق

(١) مضمون نفس الاتفاق ورد عند ديودور الذي ذكر أن كاسندر وبطلميوس وليسيماخوس وضموا جدا للحرب ضد انتيجونس خلال عام أرخونية Simonides في أثينا (٢١٠/٢١١) وعقدوا معاهدة ذكر تفاصيلها وهي لا تختلف عما جاء في خطاب انتيجونس لمدينة Scepis. Diod. XIX . 105 . 1-4 .

معتزفا بكاسندر حاكما على مقدونيا الى أن يصل الاسكندر الرابع سن
الرشد، اما ليسيماخوس فقد اعترفوا له بما تحت يده من اراضي وفقد
بطلميوس بموجب هذا الاتفاق سوريا وان استعاد قبرص اما انتيجونس فقد
اعترفوا به حاكما على كل الشرق بما فيه سوريا وولايات سليوكس (١).
وتم اعلان حق المدن الاغريقية في الحرية. ويعتبر عقد هذا الاتفاق انتصارا
دبلوماسيا هائلا لانتيجونس. وكما كان متوقعا استغل انتيجونس فترة
الهدوء التي هيئتها الاتفاقية لكي يحاول اعادة اخضاع الولايات الشرقية
لسلطته بينما استغل اعداؤه هذه الهدنة لتجديد قواهم العسكرية.

اتجه انتيجونس الى الشرق املا أن يهزم سليوكس وقضى الفترة
من ٢١٠ الى ٢٠٨ في معارك متصلة ضده دون أن يتنجح في هزيمته. وقد
أدى غياب انتيجونس الطويل عن الساحة في الغرب الى استفلال اعدائه
لهذا الغياب، فقد نجح كاسندر أن يتخلص من الاسكندر الرابع في عام
(٢١٠) بقتله، كما نجح في اجتذاب بوليبرخون (الذي كان وصيا على
الملكة بعد موت انتيباتروس ثم دخل في خدمة انتيجونس) للعمل في
خدمته وترك انتيجونس.

اما بطلميوس فقد استغل غياب انتيجونس في الشرق للسيطرة

(١) إن عدم مشاركة سليوكس في الاتفاق يبدو أنه تم بتدبير من انتيجونس حيث كان
يرغب في التخلص منه بعد الاتفاق مع حلفائه السابقين ، ولكن بغير شك أن قهرل الحلفاء
التخلي عن حليفهم كان سببا في اضطراب علاقتهم بسليوكس فيما بعد .

على مدن كثيرة من بلاد الاغريق بحجة تحريرها ثم وضع فيها حاميات لحماية هذه الحرية وبذلك احتل مكانة انتيجونس في بلاد الاغريق. أدى هذا بانتيجونس الى أن يسرع الى الغرب ولكنه وجد بلاد الاغريق في ايدي بطلميوس وكاسندر والجزر تحت حماية بطلميوس، ومع ذلك اضطر انتيجونس الى بدء عمليات حرية في الغرب رغم أن حكمه في آسيا كان مازال عرضة للخطر نظرا لوجود سليوكس شوكة في ظهره. حقق انتيجونس نجاحين باهرين ولكنهما لم يستمرا طويلا، فقد استعاد ديمتريوس ابنه حرية أثينا في عام ٢٠٧ ق.م (١) وكذلك جزء كبير من بلاد الاغريق كما استطاع ديمتريوس أن يهزم اسطول بطلميوس امام قبرص في معركة كبيرة في عام (٢٠٦) (٢) .

.....
(١) وصل ديمتريوس امام بيرايوس في ٢٦ ثارجيليون (٢٠٧ ق.م) واعتقد المدافعون أن الاسطول يخص بطلميوس ولذلك لم يرفع أحد السلاح في وجه القادمين . ووجد ديمتريوس بوابات الميناء مفتوحة فأبحر داخله. وعندما اكتشف المدافعون الحقيقة كان الوقت قد فات . طلب ديمتريوس الهدوء والسكوت . وأعلن من خلال منادى أن أباه قد أرسله لكي يحرر الاثينيين . ولكي يطرد الحامية المقدونية ولكي يعيد لهم قوانين أسلافهم. وقد فرح الاثينيون بهذا الاعلان كثيرا، ردعوا ديمتريوس للنزول وأطلقوا عليه القلب للحرر والمنتقذ . بل أنشأوا فيما بعد في موقع نزوله مذبحا يقدمون عليه القرابين على شرفه وأنشأوا قبيلتين إضافيتين الى العشرة قبائل القائمة باسم كل من انتيجونس و ديمتريوس ، وجعلوا مجلس الخمسة ستمة لكي يضموا خمسين ممثلا لكل قبيلة.

Plutarch , Demetrius 8-10 .

(٢) هناك اختلافات في تقدير عدد سفن اسطول كل من بطلميوس وديمتريوس في معركة سلاميس (٢٠٦) وإن كان المرجح أن اسطول الأول ضم حوالي ١٥٠ سفينة واسطول الثاني أكثر من مئة بقليل. ويبدو أن هزيمة بطلميوس كانت ضخمة فقد تراوحت حول أعداد سفنه الناجية من الكارثة بين ٨ و ٢٠ سفينة.

M . Cary , op . Cit Appendix NO . 4 .

وقد رأى أنتيجونس ان نتيجة المعارك ضد كاسندر وبطلميوس تعطيه الحق في أن يعلن نفسه ملكا على الامبراطورية وأن يتصرف طبقا لذلك. ولكن هذا الادعاء من جانب أنتيجونس ووجه باعتراض من جانب بطلميوس الذى اعلن هو الآخر نفسه ملكا على مصر (٢٠٥) لكن يعلم أنتيجونس انه غير مستعد لقبول ادعائه بالملك، وقد وجه أنتيجونس حملة ضد مصر لتأديب بطلميوس ولكنها فشلت، شجعت خطوة بطلميوس كل حكام الهلينستيين الرئيسيين على اتخاذ القاب الملك فعل ذلك ليسيماخوس وكاسندر ومن بعدهما سليوكس.

وبينما كان أنتيجونس يحاول دون فائدة أن يهزم بطلميوس كان عدوه الآخر كاسندر يزداد قوة، وكان يكسب أرضا في بلاد الاغريق بانتظام وهدد حرية أثينا التي تحققت في حماية ديمتريوس بن أنتيجونس عاد ديمتريوس بأسطوله الكبير الى بلاد الاغريق وأنقذ أثينا وسيكيون وكورنثا وأغلب مدن البيلوبونيز من أيدي كاسندر، كما أعاد تكوين العصبة الهلينية تحت قيادة أبيه في عام (٢٠٢ ق م) عندئذ اضطر كاسندر الى عقد صلح منفرد مع أنتيجونس (١).

(١) خطط أنتيجونس لإنشاء هذه العصبة في عام ٢٠٧ ولكن لم تصبح الظروف مواتية لإقامتها الا بعد إنتصار ديمتريوس على كاسندر والأشارة الوحيدة خلال عامي ٢٠٢ و ٢٠١ عن الموضوع في الأعمال الأدبية وردت عند بلوتارخ حيث ذكر "وعندما اجتمع الاغريق في مؤتمر عام عند خليج كورنثا وتجمع عدد كبير منهم. تم إعلان ديمتريوس قائدا للاغريق "

أما أقوى أعداء أنتيجونس وهما ليسسيماخوس وسليوكس فلم يقلوا كلمتهما في الصراع حتى ذلك الوقت، ورغم أن كاسندر خرج من الصراع إلا أنه نجح في اقناع ليسسيماخوس ومن بعده بطلميوس وسليوكس أن يبدأ عمليات عسكرية عنيفة ضد أنتيجونس وكان من الواضح أن قوات الحلفاء، حتى بدون اشتراك بطلميوس كانت ندا لقوات أنتيجونس وقد تم التغلب على مشكلة توحيد جهد الحلفاء في المعركة بفضل الكفاءة غير العادية لليسسيماخوس. وكانت النتيجة هي معركة ابسوس الحاسمة التي أدت إلى نهاية إمبراطورية أنتيجونس (٢٠١).

مات أنتيجونس في ابسوس وانتهت أطماعه ولكن ابسوس فتحت شهية باقي الملوك - فيما عدا بطلميوس - لتبني خطط أنتيجونس في إنشاء إمبراطورية لكل منهم. فليسسيماخوس الذي كان قد ضم إلى مملكته بعد ابسوس جزءا كبيرا من آسيا الصغرى بما فيها كبادوكيا (ولكن بدون بونتس وبشنييا) كان يخطط لضم مقدونيا وبلاد اليونان إن عاجلا أو آجلا. وسليوكس كان يرجو توسيع مملكته الشرقية القوية والغنية. أما بطلميوس

.....
* مثلما كان الحال مع فيليب والإسكندر* وقد بقيت شذرات من ميثاق هذه المعصية يبدو منها أن الهدف من وجود هذه المعصية كان ضمان بقاء تأييد الأفريقي لأنتيجونس وإتة طالما بقي الصراع قائما مع خلفاء الإسكندر الآخرين. وقد أدت الوفاة غير المتوقعة (٢٠١) لأنتيجونس إلى تفكك المعصية وإنهائها.

لمى . Plutarch , Dmetrius 25
Staatsv . III . 446

فلم تكن له مثل هذه الخطط وإنما حصر سياسته في تقوية مملكته على أن يلحق بها بعض اقاليم أخرى لسبب موقعها الاستراتيجي أو غناها في المواد الأولية وهيمنتها على طرق التجارة الدولية : هذه الاقاليم مثل الساحل السوري الذي غزاه فور انتهاء الحلفاء من انتيجونس وقبرص وبعض سواحل آسيا الصغرى الجنوبية، أما كاسندر فنظرا لظروف اجهاد مملكته في مقدونيا كان راضيا بسيطرة قلقة في مقدونيا واليونان.

يبقى بعد ذلك ديمتريوس بن انتيجونس ورغم أن أباه سقط في معركة ايسوس ورغم فقدانه لأغلب املاك أبيه فقد كان هناك بعض نقاط البداية فلدية اسطول ضخم يسيطر على مياه بحر ايجه ويتخذ من قبرص قاعدة له (١). وكان مايزال رئيسا للعصبة الهلينية ومسيطرأ على عصبة الجزر وكان مالكا لكثير من المدن الاغريقية في اليونان خصوصا اثينا وفي آسيا الصغرى كاريا وايونيا وعلى الساحل الفينيقي، وبذلك كان مايزال منافسا خطيرا للمنتصرين في ايسوس انحصرت سياسة ديمتريوس في محاولة استعادة امبراطورية ابيه أو بعض اجزائها، ولكنه ووجه بنكران في اثينا وانحلت العصبة الهلينية، ووجد أن فرض سيطرته بالقوة على بلاد الاغريق يعني، أن يدخل حربا طويلة ضد كاسندر مع احتمال ضئيل للنجاح، ولذلك فضل ان يبدأ محاولته لاستعادة الامبراطورية المفقودة من

(١) ديمتريوس بوليبركيتس (فاتح المدن) ولد حوالي ٢٢٧ ومات ٢٧٢ ق م .

آسيا خصوصا في ظل وجود اسطوله القوي في قبرص، كما استغل ديمتريوس تفكك المنتصرين وتباعد مواقفهم للبحث عن حلفاء. فقد كان سليوكس وبطلميوس قد دخلا مرحلة خصام بسبب استيلاء بطلميوس على سوريا التي يراها سليوكس جزءا من مملكته وليسسيماخوس كان قد أصبح جارا لسليوكس في آسيا الصغرى وكان يشعر بقلق وخوف من خطط سليوكس التوسعية. وهكذا وجد ديمتريوس الفرصة في عام ٢٩٩ ق م للتحالف مع سليوكس المعزول عن حلفائه تقريبا كما دخل في علاقات دبلوماسية مع بطلميوس، وحتى في بلاد الاغريق ومقدونيا فان موت كاسندر في عام ٢٩٧ قد انعش آمال ديمتريوس ونظرا الى ان موقفه في آسيا الصغرى لم يكن مبشرا ونظرا لانه رأى ان فرص النجاح في اليونان كبيرة حيث مصادر الرجال والسفن والمال واسعة وقدر أنه لن يصادف منافسين خطرين في اليونان. عندئذ تخلى عن املاكه في آسيا الصغرى لاعدائه وأبحر الى اليونان وقدر أنه اذا سيطر على بلاد اليونان، فانه قادر على هزيمة مقدونيا ثم الثار من اعدائه. وقد فهم أعداؤه هذا وعملوا في الحال على ضرب خطته. لم يستطع المتحالفون ضد ديمتريوس ان يوقفوا تنفيذ خطته في اليونان فنجح في استعادة السلطة في أثينا بعد بعض المقاومة وذلك في عام ٢٩٤ ومن أثينا تقدم لاستعادة باقي بلاد اليونان وأثناء حربه مع اسبرطه تصارع ابنا كاسندر على السلطة في مقدونيا فاستعان أحدهما بديمتريوس وبيرموس على أخيه وسبق بيرموس الى

معاونته وعندما وصل ديمتريوس الى مقدونيا وجد ان الامر قد استقر لصالحه (الاسكندر بن كاسندر) فتأمر عليه واغتاله وانتخبه الجيش المقدوني ملكا عليها، وهكذا أصبح ديمتريوس منذ عام ٢٩٢ أقوى حكام العالم الهلينستي حتى ان أعداءه لم يقدروا على التصريح بعدانهم له، خصوصا وهم جميعا كانوا يعانون من مشاكل في ممالكهم . وهكذا كانت لدى ديمتريوس الفرصة للسيطرة على باقى المدن اليونانية التى بقيت خارج سيطرته حتى ذلك الوقت وكان أعداؤه فى بلاد اليونان يضمون ابيروس وأيتوليا واسبرطه وثارث بيوتيا ضده عدة مرات كما ان الحالة فى أثينا لم تكن مستقرة تماما، اما اضعف النقاط فى الولاء لديمتريوس كانت مقدونيا حيث كان الجيش يرفض كثيرا من تصرفات قائده اذ كان يتصرف فى مقدونيا كما كان يتصرف فى الشرق واعتبر الجيش المقدوني هذا نوعا من الإهانة والاعتداء عليه، وبذلك كان الجيش مستعدا لان يتخلى عن قائده اذا ما لاحت له أية فرصة وقد واثته هذه الفرصة عند خريج ديمتريوس لكى يستعيد املاكه المفقودة فى اسيا (٢٨٩).

اعتبر ليسيمافوس (١) فى ظروف ديمتريوس فرصته الأخيرة لمنع

من تنفيذ خططه فتقد كان على اتصال باعداء ديمتريوس فى اليونان

(١) ليسيمافوس ولد حوالى ٢٥٥ من أصل مقدوني صار واليا على تساليا بعد موت الاسكندر الأكبر كما أصبح سيد غرب اسيا بعد موت انتيجونس ٢٠١ ق م قتل فى معركة ضد سليركس فى ليديا عام ٢٨١، وقد انتهت مملكته بموته.

بيرهوس والايولييين) وكان يعلم بصعوبة موقعة اذ أن المدن اليونانية كانت ترضخ له تحت وطأة القوة، كما كان يعلم أن المقدونيين غير راغبين في استمرار قيادة ديمتريوس لهم، رأى ليسسيماخوس أيضا أن نجاح ديمتريوس في العبور الى آسيا وتحقيقه انتصارات هناك ربما يؤدي الى تقوية مركزه ويقلب حسابات اعدائه رأسا على عقسب.

لذلك اشترك ليسسيماخوس وبيرهوس (١) في شن حملات مشتركة على مقدونيا في ربيع عام ٢٨٨ ق.م وعند مواجهة ديمتريوس لاعدائه قرب Beroea هجره أغلب جنوده المقدونيين وذهبوا الى بيرهوس، وانهارت سلطة ديمتريوس في مقدونيا مما اضطره الى الهروب الى كاسندريا (بوتيدايا القديمة) . ومن هناك هرع الى بلاد اليونان لكي ينقذ على الاقل املاكه هناك. وقد نجح في هذا اذ ان بطلميوس لم يكن مستعدا لحربه كما أن ليسسيماخوس لم يتدخل ضده هناك. الا أن وضعه في بلاد اليونان كان وضعاً قلقاً، ولذلك وضع كل الرجاء على غزو آسيا واستعادة املاكه هناك اذا ما نجح في أخذ ليسسيماخوس على حين غرة (٢٨٧) ولكن خاب هذا

(١) بيرهوس ملك إيروس كان أحد المشبهين بالاسكندر الأكبر. دخل في مغامرات وتحالفات من أجل السيطرة على مقدونيا وبلاد اليونان. وعندما لم تحقق طموحه سعى نحو الغرب حيث استجاب لدعوة تارتشوم في عام ٢٨٠ ق.م وعبر رومة عشرين ألفا من جنوده الى إيطاليا حيث حارب روما! ثم انتقل دون حسم للمعركة معها الى صقلية حيث حارب قرطاج. ضاق به السيراكوزيين حتى ترك بلادهم ثم هزم الرومان في Beneventum واضطر للعودة الى بلاده دون أن يحقق شيئا من أماله. وقد مات ٢٧٢ ق.م.

الرجاء عندما فشل جيشه ٢٨٦ في مواجهة جيش ليسسيماخوس واضطر
للتقهقر أمامه، عندئذ أراد أن يعبر طوروس وأن يحاول تجربة حظه المناطق
في الشرقيه البعيدة الا أن من تبقى من قواته رفض ان يتبعه في خطه.
عندئذ اتصل بسلوكس لكي يحالفه على ضرب ليسسيماخوس ولكن
سلوكس خيب رجاءه، فصمم ديمتريوس على محاربة سلوكس نفسه
ولكنه وقع مريضا واضطرت امور جيشه اثناء مرضه فاستسلم لسلوكس في
عام (٢٨٥) وقع ديمتريوس اسيرا عنده، وقضى باقى عمره ضيفا غير
مرغوب فيه في مدينة اباميا، ومات سكيرا.

أدى سقوط ديمتريوس من على المسرح السياسى الى تغيير كبير
في الخريطة السياسية للعالم الهلينستى، وكان أكثر المستفيدين من هذا هو
ليسسيماخوس، اذ أن ليسسيماخوس استولى على نصف مقدونيا بعد طرد
ديمتريوس منها بمقتضى اتفاقه مع بيرهوس، ثم استولى على النصف
الاخر فى عام (٢٨٦ ق م) بعد أن أدى تحالفهما المؤقت غرضه فى التضييق
على أنتيجونس (جوناثاس) بن ديمتريوس الذى كان يسيطر على أثينا (١).

(١) عاش بين ٢٢٠ و ٢٢٩ ق م هو ابن ديمتريوس فاتح المدن وحفيد أنتيجونس (الأعور)، هزم
الجلاتيين فى تراكيا واستولى على مقدونيا ٢٧٦. وقع صراع بينه وبين بيرهوس الذى غزا
مقدونيا وبينه وبين بطليموس الذى حرض المدن الأغريقية، وقامت حرب خرمونيدس ولكن
جوناثاس خرج من هذه الحرب سيدا لبلاد الأفريق. كما صار سيدا لجزر إيجه بعد
هزيمته للبطالة فى معركة بحرية قرب كوس (٢٥٨-٢٥٦). ولكن البطالة سرعان ما إستعادوا
مافقدوه بل وألبوا عليه العصبية الآقية. كان جافا فى طباعة ولكنه كان محبا للثقافة وقد
استضاف فى بلاد عددا من الشعراء والفلاسفة والمؤرخين ويعزى اليه إعادة بناء مقدونيا.
الموسوعة العربية المسيرة ط ١٩٧٥.

وهكذا تراجع بيرهوس وسيطر ليسيماخوس على مقدونيا وأغلب بلاد اليونان بينما لم يبق لانتيجونس سوى السيطرة على عاصمته ديمترياس. ولكن اتساع املاك ليسيماخوس اشعلت جذوة الشك والغيرة في نفوس اصدقائه القدامى بطلميوس وسليوكس.

وبطلميوس ورث جزءا ضخما من اسطول ديمتريوس ولاء اغلب جزر بحر ايجيه بالرشوة وهكذا أصبح بطلميوس سيدا على كل من البحر الايجي والساحل الفينيقي، ممتلكا لاقوى القرى البحرية في العالم الهلينستي، ومنافسا خطيرا لكل من ليسيماخوس وسليوكس.

وسليوكس ايضا لم يكن مستعدا لان يذعن للموقف الذى خلقه موت ديمتريوس فقد اعتبر سيطرة ليسيماخوس على آسيا الصغرى وسيطرة بطلميوس على معظم المناطق الاستراتيجية اشواك مفروسة في جسده. ولكن سليوكس مع ذلك بقى ساكنا طالما بطلميوس المجوز صاحب الافضال عليه على قيد الحياة، وطالما بقى ليسيماخوس قابضا بقوة على ناصية الامور فى مملكته.

مات بطلميوس الاول فى عام ٢٨٢ وكذلك مات ديمتريوس فى نفس العام وانتقل الحكم من بعده لابنه بطلميوس الثانى الذى عرف بالمحب لاخته فيلادلفوس وقد ادى هذا الى حرمان اخيه الاكبر غير الشقيق بطلميوس

العاصفة Ceraunus من العرش (١) ، فترك مصر لاجئا عند سليوكس ثم عند ليسيماخوس ، واستطاع بطلميوس العاصفة واخته غير الشقيقة أرسينوى وكانت زوجة ثالثة لليسيماخوس أن يثيرا الشكوك في قلب الرجل ضد ابنه اجاثوكليس مما أدى الى قتل الابن ومزيديه، وهربت زوجته وأطفاله لاجئين عند سليوكس أدى قتل اجاثوكليس الى هياج الرأي العام ضد ليسيماخوس واستغل سليوكس الموقف وسار ضده ومعه الأرملة (٢) وأولادها واسقبلتهم مدن آسيا الصغرى استقبلا ودودا الى أن التقى

(١) بطلميوس كيراونوس ابن بطلميوس الأول من يورديكي ابنة أنتياتروس. وقد استطاعت زوجة ليبيد بريشكي ١ أن تؤمن العرش لابنها بطلميوس (فيلادلفوس) حيث أشركه أبوه في الحكم منذ عام ٢٨٥ ق.م. غادر كيراونوس مصر بحثا عن فرصته، ونجح في إستيلاء سليوكس الى صفه ولكن الرجل كان عازف عن دخول صراعات مع مصر في حياة بطلميوس الأول. فذهب كيراونوس الى ليسيماخوس ولم يكن حماس الثاني له الأفضل من حماس الأول؛ فقد كان حريصا على تدعيم علاقاته مع مصر، إلا أن ليسيماخوس سمح لكيراونوس بالإقامة في بلاده، اشترك مع سليوكس في هجومه على مقدونيا ولثناء عبود سليوكس للدردنيل قتله بيده واستولى على مقدونيا. كان المراهلون للنزاع معه ثلاثة ولكن ظروفهم جميعا لم تسمح بمواجهته فانطيوخس كان مشغولا في سوريا وبيروهوس كان مشغولا بحملته على إيطاليا وجوناثاس كان أضعف من أن يواجهه. وبقيت أرملة ليسيماخوس وهي اخته غير شقيقة لكيراونوس (أرسينوى الثانية) استطاع كيراونوس أن يزيل مخلوقها بالزواج منها مع وعد بأن يكون ابنها الأكبر وريثه على مقدونيا. ولكن الرجل نقض هذا العهد بعد قليل وقتل ولدين وهربت هي ومعها الثالث الى مصر حيث تزوجت فيلادلفوس لما كيراونوس فبعد أن قضى على أعدائه الخطيرين في العالم الهلينستي أو أمن شرهم جاءه الخطر من قبائل الجلايين التي هاجمته وقتلته في معركة Allia في عام ٢٧١ ق.م.

(٢) لوساندرا ابنة بطلميوس الأول يورديكي ولذلك فقد كانت شقيقة كيراونوس وكانت اختا غير شقيقة لأرسينوى زوجة ليسيماخوس (٢٠٠ ق.م) بطلميوس كيراونوس ثم بطلميوس الثاني.

جيش سليوكس بجيش ليسيماخوس فى Corupedion ليديا (٢٨١).
والجدير بالذكر أن الرجلين كانا القائدين الوحيديين من قواد الاسكندر
الباقيين على قيد الحياة، وفى المعركة التى قامت هناك هزم ليسيماخوس
وقتل وسقطت مملكته فى يد سليوكس الذى وحد مرة أخرى تحت حكمه
الجزء الأكبر من امبراطورية الاسكندر. انضم بطلميوس العاصفة
Ceraunus الى سليوكس، وفى اثناء عبور الاخير لمضيق الدردنيل قتل
بطلميوس العاصفة سليوكس وانتخبه الجيش المقدونى ملكا على مقدونيا فى
عام ٢٨٠ ق م.

ويمثل هذا العام ٢٨٠ ق م نهاية فترة خلفاء الاسكندر وحروب
الخلافة التى لم تهدأ ابدا وكانت السنوات الثلاث والاربعون التالية لموت
الاسكندر سنوات حرب مستمرة تقريبا، شملت كل نقطة من امبراطورية
الاسكندر، ولم يشعر خلالها أى حاكم من الحكام أيا كانت قوته بالامان
خلالها على نفسه وعرشه . فكل منهم كان له منافسون واعداء يعملون على
توسيع رقعة ممالكهم على حساب ممالك جيرانهم. هناك ظاهرة أخرى ميزت
تلك الفترة (٢٢٣ الى ٢٨٠) وهى استمرار وجود احد القادة الذى يعتبر
نفسه خليفة لاسكندر وكان هذا التطلع لخلافة الاسكندر يجر على صاحبه
عداء القادة الاخرين.

وهكذا نلاحظ أن برديكاس وانتيباتروس حاولا أن يعيدا توحيد
الامبراطورية لصالح البيت المالك ولكن انتيجونس وديمتريوس وحتى

ليسيسماخوس وسليوكس حاولوا إعادة توحيد الامبراطورية كل لحسابه الخاص . وكل من تصدى لهذا المهمة واجهته تحالفات بين من اعتبرهم هؤلاء ولاة عصاة لأوامرهم. ونجحت دائما هذه التحالفات فى قتل محاولة التوحيد. وكان لابد من انتظار الجيل الثانى من الاسر الحاكمة الكبرى فى العصر الهلينستى حتى تستقر فكرة وجود ممالك هلينستية متعددة ومنفصلة ومستقلة . وأن يصل العالم الى نوع من توازن القوة بين هذه الممالك لقد كان بطلميوس الاول هو الذى غرس هذه الفكرة ورعاها وسار على دربها ابنه بطلميوس الثانى، ثم قبلها ملك سوريا انطيوخس بن سليوكس وملك اليونان انتيجونس بن ديمتريوس.

٢- فترة توازن القوى في العالم الهلينستي

بقى بطليموس Ceraunus ملكا على مقدونيا وتلقى اعتراف انطيوخس الاول به بعد موت سليوكس كما نجح في هزيمة منافسه الرئيسي في بلاد اليونان أنتيجونس جوناتاس في معركة بحرية مشهورة وبذلك أصبحت الطريق مفتوحة امامه لترسيخ أقدامه في مقدونيا وتوسيع مملكته خاصة وأن منافسه الأخير بيرهوس ملك ابيروس كان غائبا في حملته على ايطاليا وصقلية. ولكن كل هذه الاحتمالات انتهت بمقتل بطليموس كيراونوس في معركة ضد الجلايين في مقدونيا وبذلك انتهى حكم البطالمة في مقدونيا عام (٢٧٩).

وقد ساعد اختفاء بطلمبوس كيراونوس على فتح الطريق من جديد امام أنتيجونس جوناتاس، الذي نجح بمعونة الايتوليين في هزيمة الجلايين وكانوا قد تقدموا نحو دلفي (٢٧٩) . كما ساعد على ذلك أيضا الانسحاب غير المنتظم لهذه القبائل عبر مقدونيا وتدمير أنتيجونس جوناتاس لجانب من جنودهم (٢٧٧) قرب ليزماخيا (١). كل هذا فتح الباب نحو عرش

(١) أدى هجوم الجلايين الى إشاعة الفوضى في مقدونيا وبقيت تلك البلاد بلا حكومة لمدة عامين. وأن كان هناك ملكا أحدهما يدعى Maleager وهو شقيق كيراونوس الثاني يدعى أنتيباتروس ابن شقيق كاسندر. وقد أدت هذه الهجمات الجلاية الى فصل مقدونيا على تركيا وقطعها عن البحر الأسود . كما أدت هذه الهجمات الى قيام أسرة ملكية جديدة في مقدونيا رأسها أنتيجونس جوناتاس.

مقدونيا امام انتيجونس وسرعان ما أعلنه الجيش المقدوني ملكا البلاد .
 سعى انتيجونس الى تدعيم مركزه في بلاد اليونان ايضا الى ان عاد
 بيرهوس ونجح في طرد انتيجونس مؤقتا من مقدونيا في عام (٢٧٤) ولكن
 بيرهوس مات اثناء محاوله فاشله لضم مدن اليونان الى أملاكه الاخرى
 (٢٧٢) أصبح انتيجونس بلا منافس في مقدونيا واليونان بعد موت
 بيرهوس، وسعى بالعمل الجاد والسياسة الماهرة الى تدعيم مركزه بقوة في
 مقدونيا ومدن البرزنان .

اما آسيا فقد خلف انطيوخس الاول (١) أباه واستطاع أن يحكم
 كل الولايات الشرقية وكل آسيا الصغرى بما فيها الجزء الشمالي ومع ذلك
 كان انطيوخس يواجه باطماع بطلميوس الثاني في مصر والملوك الصغار
 المحليين في بونتس وبثينيا، فضلا عن انتيجونس جوناتاس قبل اتفاقه معه.
 تخلص انطيوخس من عداء انتيجونس بأن اعترف له بأحقية في
 مقدونيا مقابل تنازله عن اطماعه الاسيوية. وبينما كان مشغولا بالقضاء على
 المتمردين المحليين في سوريا وحرب ضد فيلادلفوس (٢٨٠-٢٧٩) دعى الملك
 نيكوميديس من بثينيا ومثريداتيس من بونتس قبائل الجلايين ودفعهم
 الى الاملاك السلوقية في اسيا الصغرى حيث تعرضت لنهبهم ولم يكن
 (١) كان إينا سليوكس من أباما الفارسية . وقد أعلنه أبوه في عام ٢٦٢ شريكا له في
 الحكم ، ولذلك عندما مات سليوكس لم تحدث اضطرابات داخل البلاط السلوكي.

أنطيوخس قادرا على مواجهة هذا الخطر أو طرد الجلاطيّين في الحال من آسيا الصغرى. واستوطن الجلاطيّون في فريجيا ومثل وجودهم حماية لتلك الممالك الصغيرة، ولكنهم سببوا دمارا عظيما في شبه جزيرة آسيا الصغرى الى ان هزمهم أنطيوخس في معركة الافيال الشهيرة في عام ٢٧٥ ق م (١)، كانت الخريطة السياسية للعالم الهلينستي في اعقاب القضاء على الاضطراب الجلاطي كما يلي:

كانت اقوى الممالك الهلينستية هي مملكة البطالمة في مصر، التي استطاعت اسرة البطالمة ان تثبت اقدامها فيها بقوة (٢)، تليها المملكة السلوقية، التي ضمت ولايات الاسكندر في ميزوبوتاميا وسوريا (باستثناء

(١) موجات الجلاطيّين التي افارت على آسيا الصغرى هي امتداد تلك الافارات التي تمت على مقدونيا وبلاد اليونان قبل ذلك بسنوات قليلة. وقد عادت الجلاطيّون تخريبا في كل آسيا الصغرى ونهبوا ما استطاعوا وان كانت المدن اليونانية لم تسقط في ايديهم بسبب جهلهم بأدوات حصار المدن. وقد حاول أنطيوخس الأول خربهم في عام ٢٧٦ ولكنه اضطر للعودة السريعة الى سوريا لمواجهة حرب قامت هناك. ولكنه عاد في العام التالي ٢٧٥ حيث واجههم في موقعة غير معروفة المكان، استطاعت افيال فيها ان تثير الرعب في الخيول وراكبيها وحقق النصر عليهم بفضل هذه الا فيال. وبعد هذه المعركة استقر الجلاطيّون على هضبة فريجيا وقتل اثرهم المدمر.

(٢) حكم الملوك البطالمة مصر منذ وفاة الاسكندر حتى عام ٢٠ ق م وملوك البطالمة هم:

بطليموس الأول (سوتر) ٢٢٢-٢٠٥	كحاكم ر ٢٠٥-٢٨٢ ملك	بطليموس الخامس (إيفانوس) ٢٠-١٨٠
بطليموس الثاني (فيلادفوس) ٢٨٢-٢٤٦		بطليموس السادس (فيلوماتر) ١٨٠-١٤٥
بطليموس الثالث (يورجيتيس) ٢٤٦-٢٢٢		بطليموس السابع (نيوس فيلوماتر) ١٤٥-١٤٤
بطليموس الرابع (فيلوماتر) ٢٢٢-٢٠٤		

وبشينا، وكانت هناك المدن الحرة في شمال آسيا الصغرى مثل هيراقلية وبيزنطة وتيوس وكيزكوس، فضلا عن قبائل الجلاتيين ومدن أخرى افريقية في آسيا الصغرى وفي الجزر خصوصا في رودس. كما كانت هناك بعض المدن ودويلات الطغاة في آسيا الصغرى والتي كانت مستقلة بدرجات متفاوتة.

كان لكل من هذه الممالك احتياجاتها الخاصة واحلامها الخاصة وخططها الخاصة التي كانت تحاول تنفيذها.

الملكة البطلمية في مصر مثلاً خرجت من اتون حروب الخلافة كأقوى وأغنى دول العصر وكذلك أكثرها تنظيماً. وكانت احلام بطلمیوس الأول سوتر وبتلمیوس الثاني فيلادلفوس بعيدة عن محاولة إعادة توحيد امبراطورية الاسكندر وإنما كان الهدف الرئيسي للملكين هو تأمين الاستقلال التام لمملكتهم في مصر وأن يضمن لها دوراً رائداً في الحياة السياسية والاقتصادية في العالم الهلينستي. وكانت أفضل الطرق لاتمام ذلك هو الاستيلاء على تركة ديمتريوس، ومن ثم فرض السيطرة على بحر ايجه ومن ثم السيطرة على طرق التجارة الرئيسية في العالم الهلينستي. وقد عني ذلك خلق امبراطورية بحرية تقارن بامبراطورية أثينا البحرية في العصر الكلاسيكي، والسيطرة سياسياً واقتصادياً على جزء مما يحدث في عالم ايجه. ولكي تكون السيطرة على بحر ايجه أكثر تأثيراً سعى دلفوس الى فرض حمايته على السواحل الجنوبية والغربية لآسيا

الصغرى وفرض نفوذه على المدن التجارية الكبرى الواقعة على مضائق بحر مرمرية.

وبالتداعي فان انشاء مثل هذه الامبراطورية البحرية لايبقى آمنا اذا بقيت الموانئ الفينيقية والفلسطينية بمصادرها البحرية فى ايد اجنبية اخرى، وهكذا اقام البطالة حكمهم على فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا بمجرد ان استطاعوا وتمسكوا به ما وسعتهم قوتهم، وقد فرض عليهم وجودهم فى بحر ايجة ان يؤمنوا هذا الوجود بمحالة تدعيم وجودهم فى اكثر الموانئ الافريقية اهمية وذلك لكى يمنعوا الحكام المقدونيين من منافستهم فى هذا البحر.

ان منافسة البطالة على تبوأ مكانة عالية فى عالم بحر ايجة كانت تنطلق من حقيقة انتماهم الى هذا العالم، ولذلك فان جهود البطالة لم تكن تخضع للاعتبارات الاقتصادية فقط، فانهم حتى لو كانت لديهم كل عناصر قوتهم فانهم كانوا سيقعون معزولين فى مصر ولن يكونوا منافسين لسوريا او لمقدونيا والاولى كانت تملك السيطرة على مدن اليونان فى آسيا الصغرى والثانية كانت تسيطر على مدن اليونان فى بلاد اليونان. بينما كان تحقيق سيطرة البطالة على الطرق التجارية الايجية والسورية توفر لهم مصادر للرجال وللمال وحرية للحركة، وهكذا كانت سيطرة البطالة التجارية وسيلة لتحقيق هدف سياسى.

ومن الواضح ان سياسة البطالة كانت تتعارض بل تتناقض مع مصالح مقدونيا وسوريا كما كانت تمنى السيطرة على المدن والجزر في بلاد الاغريق وفي آسيا الصغرى وبالتالي كان البطالة في حاجة دائمة الى قوات قوية وقادرة لفرض اهدافهم وحمايتهم.

وبالنسبة للسليوقيين فلا يعقل عقلا أنهم نزلوا طائعين عن سيطرتهم على فينيقيا وفلسطين وجزء من سوريا لان حدوث ذلك كان يجرهم من وجود واجهة بحرية لهم في المنطقة ويجعل وصولهم الى البحر المتوسط رهنا بارادة البطالة.

ولذلك كان الصراع من اجل السيطرة على هذه المناطق ضرورة ملحة بالنسبة للسليوقيين. وما ينطبق على الساحل الفينيقي انطبق ايضا على ساحل جنوب آسيا الصغرى وكان السليوقيون لايتوقفون عن المطالبة والنضال من اجل امتلكهم المفقودة الا في فترات ضعف دولتهم .

كانت دولة السليوقيين دولة مترامية الاطراف وكانت تضم سوريا وآسيا الصغرى كما كانت تضم ايضا الولايات الشرقية من امبراطورية الاسكندر وكذلك القبائل العربية في الصحراء . وبينما لم تتسبب الأخيرة الا في قليل من الاضطراب فان الولايات الشرقية كانت مصدرا لقوة الدولة او ضعفها حيث جيران الدولة دائمو القتال معها وبذلك اصبحت المراكز الهلينستية المتقدمة شرقا في حاجة دائمة للحماية ولذلك كان السليوقيون دائمو الحرب في الشرق وكانوا مضطرين دائما الى تقسيم قواتهم العسكرية

بين الجبهة الغربية والشرقية (١).

وكذلك كان حكام مقدونيا ، أنتيجونس جوناتاس وحلفاؤه ديمتريوس الثانى وأنتيجونس دوسون غير مستعدين - مثلهم فى ذلك مثل السلوقيين للاعتراف بسيادة البطالمة على بحر ايجيه، وكذلك كان البطالمة يرون ان وجود مقدونيا قوية يعنى احياء لامبراطورية يمتريوس ويعنى بالتالى تعرض سيادتهم على بحر ايجيه للخطر. ووجود مقدونيا قوية يعنى ان تمر الامدادات للمدن الاغريقية من خلال ايد مقدونية أى ايدى قوة معادية محتملة ، وهكذا حاول البطالمة ان يدعموا بالمال او بوسائل أخرى المنافسين لمقدونيا والمعادين لها من المدن الاغريقية خصوصا أثينا والعصبة الآخيه واسبرطة. وبالنسبة لمقدونيا فلم تكن لتدخر جهدا دون ان تحاول طرد البطالمة من بحر ايجيه حيث كان وجودهم يهدد ارتباطاتها مع

(١) المعروف ان الحدود الشرقية لامبراطورية الاسكندر كانت تقع عند نهر الإندوس ورافده هيفاسس (Beas). وقد حكم هذا الأقليم بعد وفاة الاسكندر ضابط يدعى سيبيرتيوس Sibyntius. أما وادى كابول والمرات الهند وكوشية فكانت تحت سيطرة أوكسيارتيس Oxyartes والد روكسانا لملكة الاسكندر. وفي البنجاب فإن الشريط المحصور بين الإندوس وهيداسبس (Jhelum) Hydaspes كان تحت الحكم المشترك لمقدوني يدعى إيوداموس Eudamus وراجا وطنى يدعى تاكسيلاس. وأخيراً بقى الأقليم الواقع بين هيداسبس وهيفاسس فى يدى حاكمه السابق الملك بورس. ويلاحظ أن هذا التقسيم للحكم فى الأقاليم الشرقية بين ضابط الاسكندر والحكام الوطنيين إنما يدل على عدم توفر قوات اغريقية كافية لفرض سيطرتهم وكذلك يدل على قوة الحكام المحليين وشراسة دفاعهم عن استقلال بلادهم. وقد دخل السلوقيين فى علاقات مع الحكام المحليين واستفاد كل طرف من إمكانات الآخر ولكن لم يصل عام ٢٥٠ ق م الا وكانت المناطق الشرقية تستقلت بعيداً عن دولة السلوقيين أو وقعت تحت حكم قوى أخرى غيرهم.

بلاد اليونان. وبالطبع كانت مقدونيا تتلقى الدعم السلوقي في محاولتها ضد البطالمة وكان على ملوك مقدونيا ان يختاروا وقتا مناسباً لتفجير الصراع يكون البطالمة فيه يعانون الانكسار امام السليوقيين في سوريا. وإذا كان البطالمة قد نجحوا في فرض هيمنتهم على الجبهتين فإن ذلك كان راجعاً لضعف منافسيهم.

لقد رأينا فيما سبق نقاط الضعف في الموقف السليوقي. أما بالنسبة لمقدونيا : ان اهم نقاط الضعف فيها كانت تكمن في شكل علاقتها بجيرانها، فالمدن اليونانية لم تتقبل برضى مطلقاً فرض مقدونيا لحمايتها عليها مهما كان الشكل الذى اتخذته هذه الحماية، وبالطبع كانت المدن اليونانية دائمة الترقب لآية فرصة لتأكيد حريتها الكاملة وقد قاد هذه الجهود في البداية مدينة اسبرطة تحت حكم Areus ثم قادتها من بعد اثينا خلال الحرب الخريمونيديّة Chremonidean War (١) وأخيراً قادت هذا النضال العصبة الاخوية. وبالنسبة للعصبة الايتولية فقد اختلفت مواقفها تجاه مقدونيا فاتخذت مواقف صداقة منها أو مواقف عدااء حسب الحالة السياسية ولكنها بصفة دائمة كانت حريصة على التوسع والسيطرة على

(١) جذور وأسباب الحرب الخريمونيديّة غير واضحة. وقد كان أطرافها المدن الاغريقية وبطلميوس الثانى ملك مصر من ناحية وأنتيجورنس جوناثانس ملك مقدونيا من ناحية أخرى. وقد سميت بالحريمونية نسبة الى خريمونيديس ابن Eteocles وهو اثيني كان تلميذاً لزيونون واستمرت من ٢٦٨ الى ٢٦١ ق.م.

أكبر جزء من بلاد اليونان حسب امكاناتها (١). ولذلك كانت السيطرة المقدونية على بلاد اليونان تبدو قوية وفي أوقات أخرى كانت تختفى مؤشرات هذه السيطرة كما كان الحال بعد موت أنتيجونس جوناكس وقبل تولي دوسون للعرش. ولكن على وجه العموم كانت سنوات الهدوء في علاقات المدن اليونانية بمقدونية قليلة فداوماً هناك حروب بينها أو اضطرابات في داخل المدن اليونانية أو في علاقات هذه المدن بعضها ببعض الآخر ولم تكن الاصابع المقدونية بعيدة عن تحريك هذه الاضطرابات.

نقطة الضعف الهامة الأخرى في الموقف المقدوني كان في علاقاتها بالقبائل التي تقيم في شمال وغرب مقدونيا مثل الاليرييين والتراكيين والكلت والاسكوذيين وكانت هذه القبائل تسيطر على طرق التجارة مع عالم الأغريق، ومن ثم كانوا ذوي خطر شديد على العالم المتمددين الذي كانت حدوده الشمالية تقف عند شمال مقدونيا، وكثيراً ما كانت هذه القبائل تغير على مقدونيا مما جعل الملوك المقدونيين يتابعون كل تطورات أحوال هذه القبائل بعيون يقظة وكثيراً ما تدخلوا لايقاف غاراتهم أو كانوا يلجأون

(١) قامت العصبة الايتولية في شمال غرب بلاد اليونان من العصر الكلاسيكي ولكنها صارت قوة لا يستهان بها خلال العصر الهلينستي شارك الايتوليون في الحرب ضد مقدونيا في لاميا ولكنهم نجوا من عقاب أنتيباتروس. وخلال سنوات الاضطراب في بداية القرن الثالث نشروا سلطتهم على منطقة وسط بلاد الأغريق وسيطروا على دلفي. وقد ساعد درهم في رد الغارات الكلتية عن دلفي في الحصول على مقعد دائم في مجلس الامفكتيونى ، بل لقد مارسوا نفوذاً على البحر الايجي بتبادلهم العلاقات وحقوق المواطنة مع بعض الجزر مثل خيوس التي سجلت ذلك في مرسوم يؤرخ من عام ٤٧ ق م تقريباً.

لهجمات عليهم لاجهاض غاراتهم المحتملة.

فيما سبق تابعنا وضعية الدول الهلينستية الكبرى ولكن قامت الى جانب هذه الدول الكبرى عدد من الممالك الصغيرة في بونتس وبشينا كما قامت مملكة صغيرة اخرى في كبادوكيا اعتبار من عام ٢٦٠ او ٢٥٠ ق.م. وهذه الدويلات كانت تخشى بصورة دائمة خطر السليوقيين ومن ثم سعوا الى توطين مجموعة من القبائل الكلتيية «الجالاثيون» كدولة حاجزة بين دولهم والدولة السلوقية، وسمحوا لهذه القبائل أن تغير على مدن غرب وجنوب آسيا الصغرى بشرط ألايعاملوا حدودهم بنفس الطريقة. وبذلك يحققون هدفهم الرئيسى فى الاحتفاظ باستقلالهم ضد أى محاولات للسليوقيين لانتقاص من هذا الاستقلال (١) . وقد واجهت كل من بونتس وبشينا - بالاضافة الى مشكلة الحفاظ على الاستقلال - مشكلة شكل العلاقات مع المدن الاغريقية المستقلة الواقعة فى داخل اقاليمهم أو فى جيرانهم.

(١) عندما وصل الجالاثيون الى بيزنطة نهجوا الجزء الأكبر منها، وأضموا المدينة بالحرب . فأرسل أهلها مبعوثين الى حلفائهم طالبيين المعونة . فقدم كل منهم ما يستطيع . وقد حاول الجالاثيون العبور الى آسيا الصغرى بعد ذلك ولكنهم فشلوا فى كل مرة بسبب مقاومة البيزنطيين الى أن عقد معهم نكوميديس المطالب بعرش بشينا معاهدة تنص على أن يكونوا خاضعين له ولحلفائه من بعده والا يعقدوا تحالفاً مع أحد بدون موافقته وإن يكونوا دائماً أصدقاء لاصدقائه وأعداء لأعدائه . وقد إستخدمهم نكوميدس فى الوصول لعرش بشينا. وأستقر الجالاثيون فى المنطقة التى عرفت فيما بعد باسم جلاتيا حيث إنقسموا الى ثلاث مجموعات هى تريجمى Trogmii وأقاموا مدينة أشرة و Tolostobogii وأقاموا تابيا Tabia و Tectosages وأقاموا Pisinus.

هناك مملكة أخرى قامت من خلال الاوضاع التي تورتبت على وجود الجلاتيين في الغرب آسيا الصغرى والاضطراب الذى احدثوه بالنسبة للوجود السليوقي في الغرب اذ استطاع حاكم قلعة برجاموم ان يقوى من شأن زعامت للمدينة خصوصا بعد نجاح Philetaeus حاكم المدينة وابنة الذى خلفه في حكمها يومنيس Eumenes في الدفاع بنجاح عن اقليم برجاموم والمدن الاخرى في وادى Caicus ضد الغارات الجلاتية. ولقد ادت التطورات التي تلت ذلك الى زيادة مصادر المدينة العسكرية والاقتصادية ومارس الحكام استقلالا اكبر وفي عام ٢٦٢ ق م رأى يومنيس نفسه قويا بما يكفي لان يتحدى الملك السليوقي انطونيوخس وان يدعم تحديه هذا بعمليات عسكرية ناجحة من ذلك الوقت أصبحت برجاموم دولة مستقلة مثل بشرينا وبوتس وكبادوكيا مهمتها الرئيسية ان تعزل الجلاتيين في مراعيهم في فريجيا وبذلك تحمي اقليمها من غاراتهم وبالتبعية باقى آسيا الصغرى. ولقد ادى نجاح ملوك برجاموم في ايقاف خطر الجلاتيين الى تمتعهم بأهمية خاصة بين الاغريق في آسيا الصغرى، وقد ادى هذا الى تزايد طموح هؤلاء الملوك في أن يصبحوا حكاما على كل آسيا الصغرى محل السليوقيين، وقد سعوا بصبر واثابة لتحقيق هذا الهدف متبعين سياسة حاذقة ساعيين للاستفادة من توازنات القوة في عالم ذلك الزمان مؤيدين الجانب الأقوى باستمرار وان كانت عدائتهم متجهة باستمرار

للجلاتيين والسلوقيين بالطبع لتناقض مصالحهم (١).

واخيرا نلقى نظرة على احوال المدن اليونانية في اسيا الصغرى والجزر هناك والمعروف ان بعض هذه المدن كانت تتمتع باستقلال دائم بينما كان استقلال المدن الاخرى متقطعا رغم ان المدن التي كانت تفقد استقلالها لم تتوقف لحظة عن محاولة بذل الجهد لنيل الاستقلال. كانت علاقات هذه المدن مع الدول الهلينستية علاقات صداقة او ولاء ولكنها صداقة غير حقيقية وخضوع ينتظر الفرصة للاطاحة بهذا الولاء ومن المثير حقا ان تتبع تطور انتماءات بعض المدن الاغريقية في اسيا الصغرى ذات الالهية للممالك الهلينستية مثل مدن ملطية وافسوس وسميرنا فقد تقلبت هذه المدن من ايدي البطالة الى السلوقيين والعكس عدة مرات، وصادفت هذه المدن كثيرا من المواقف الصعبة اثناء حصار واستيلاء كل من الطرفين عليها، ومع ذلك فقد سعى اهل هذه المدن الى الاستفادة من حقيقة رغبة كل طرف في بقائهم تحت سيطرته لكي يحصلوا على اكبر قدر من الاستقلال الذاتي والمنح والهدايا التي يقدمها الحكام لهم كل في عهده، وبالنسبة للمدن الاغريقية في شمال غرب ساحل اسيا الصغرى فقد حكمتها مع ملوك برجاموم علاقات مشابهة كذلك التي حكمت مدن الجنوب مع

(١) حكم برجاموم :

١٢٩-١٦٠	أنتالوس الثاني	٢٦٢-٢٦٣	فيليتار يوس الأول
١٢٢-١٢٩	أنتالوس الثالث	٢٤١-٢٦٢	يومنيس الأول
١٢٩-١٢٢	يومنيس الثالث	١٩٧-٢٤١	أنتالوس الأول (سوتر)
		١٦٠-١٩٧	يومنيس الثاني (سوتر)

والمعروف ان الأول والثاني لم يتخذا لقب ملك كما ان أنتالوس الثالث لورث المملكة للرومان.

البطالة وغيرهم من الملوك الهلينستيين^(١)، ولكن المدن الكبيرة الواقعة على بحر مرمرة والبسفور والدردنيل والساحل الجنوبي للبحر الاسود فقد تمتعت بوضعية افضل فى مواجهه ملوك الدويلات الصغيرة المجاورة لهم واهم هذه المدن هي cyzicus و Chalcedon و Byzantium وهيراقليا وسينوب وقد تمتعت بالاستقلال خلال الفترة التى تتحدث عنها.

وبالنسبة لجزر بحر ايجه فانها تقلبت فى ايدي البطالة وملوك مقدونيا الانتيجونييين وكانت اقرب فى وضعها لمدن كمليتوس وافسوس. وان استطاعت بعض الجزر ان تحافظ على اتحاد فيدرالى يجمعها عرف بمصبة الجزر وقد جاهدت هذه الجزر لحماية اوطانها من النهب والسرقة على ايدي جيوش المتحاربين وحلفائهم^(٢).

اما الوضع فى بلاد اليونان نفسها فقد كان اكثر تعقيدا حيث لم يتوقف ابدا الصراع المسلح، جزء من هذا الصراع كان موجها نحو مقدونيا لاسباب تاريخية موروثة والجزء الاخر كان تصادما بين مؤيدي

(١) بالنسبة للتقديس الذى اظهرته المدن الاغريقية تجاه السليوقيين انظر:

OGIS 219.

(٢) عمصة الجزر ضمت الجزر الصغيرة فى وسط البحر الايجي انشانا انتيجونس الامور فى عام ٢١٥ وسيطر عليها فيما بعد ديمتريوس ابنه قبل ان تذهب الى ايدي البطالة حوالى عام ٢٨٦ حيث بقيت تحت سيطرتهم لمدة ثلاثين عاما. وككل المصبات التى انشئت تحت رعاية ملكية استخدمت كاداة لفرض النفوذ الملكى.

«الايديولوجيات» السياسية التي سادت مدن الاغريق في ذلك الوقت، تصادما بين من آمنوا بحرية كل المدن الاغريقية في الاستقلال الكامل وبين من آمنوا بوحدة الاغريق وحتى بالنسبة لفكرة الوحدة كان هناك صراع بين نوعيات مختلفة مطروحة في الساحة السياسية، فهناك فكرة اتحادات المدن التي كانت تقف وراءها العصبة الايتولية والعصبة الاخيه وقد رغبتا في أن تدخل كل مدن اليونان في دولة اتحادية كبيرة وهناك اسبرطة التي سعت من اجل فرض سيطرتها القديمة على كل اليونان، واخيرا مقدونيا وقد دعت الى تشكيل اتحاد قائم على التحالف بين مختلف الاتحادات والمدن اليونانية ومقدونيا تحت رئاسة ملك مقدونيا.

وهكذا نشاهد ان الوضع السياسى في العالم الهلينستى كان معقدا وهذا الوضع المعقد حكم توازن القوى بين دول ذلك العالم وأى اختلال فى هذا التوازن كان يؤدي الى اندلاع الصراعات العسكرية، وهكذا نلاحظ ان حروبا متصلة تقريبا قامت في اجزاء العالم الهلينستى المختلفة وتتركز اكثر في المناطق ذات الاهمية بالنسبة لاطراف التوازن في بلاد اليونان الاصلية والجزر اليونانية في بحر ايجه، والجزء المتهيلنة في آسيا الصغرى، ويمكننا ان نقدم هنا حصرا باهم الاحداث السياسية والعسكرية التي سادت العالم الهلينستى من موت بطليموس الاول في مصر (٢٨٢ ق م) واعتلاء فيليب الخامس عرش مقدونيا في ٢٢١.

فقد قام صراع حاد بين انطيوخس الاول وبطليموس الثانى

فيلادلفوس للسيطرة على المدن الساحلية في اسيا الصغرى وسوريا عرف هذا الصراع (بالحرب السورية الاولى) وقد بدأ في عام ٢٨٠ ق م ثم تجدد في عام ٢٧٦ ق م أو ٢٧٤ ق م واستمر الى عام ٢٧١ ق م (١). وفي نفس الوقت قام انطيوخس الاول بمحاولة ضرب الجلايين في آسيا الصغرى (في عام ٢٧٥). وخلال نفس المدة سعى انتيجونس جوناتاس الى تدعيم مركزه في مقدونيا واليونان الى يواجه تحالف اثينا واسبرطة مع بطلميوس فيلادلفوس ضده وقد تم هذا التحالف بين ٢٧٠ و ٢٦٧ ق م وتخصض عن اندلاع الحرب الخريموينية.

وكانت حرب طويلة مدمرة استمرت الى عام ٢٦١ ق م تقريباً وانتهت بنصر كامل لانتيجونس وهزيمة كاملة لاثينا فقدت على اثرها دورها القيادي في السياسة اليونانية وأصبح انتيجونس نتيجة لهذا الانتصار سيداً لاينازع في بلاد اليونان ويسيطر على كثير من النقاط الحصينة خصوصاً كورنشا واثينا وارثريا وخالكيس. وخلال هذه الحرب ايضاً (الحرب الخريموينية) نجح انتيجونس في الانتصار البحري على بطلميوس عند جزيرة كوس Cos وقد أدى هذا الى تدخل انتيجونس في بحر ايجه بعد ان كان مقصوراً على النفوذ البطلمي.

(١) حول تقسيم الحرب السورية الاولى الى مرحلتين انظر Appendix 5 عند

Cary M . OP . Cit .

في حوالي ذلك الوقت قامت ثورة في برجاموم قادها يومنيس في عام ٢٦٢ ق م بتأييد من بطلميوس الثاني، وقد ادى هذا العمل الى تفجير الصراع من جديد بين السليوقيين والبطالمة فهاجم انطيوخس الثاني الذي خلف ابيه في ٢٦١ بطلميوس فيلادلفوس، وربما كان انطيوخس مدعما بمساندة انتيجونس وشملت هذه الحرب معارك في سوريا واحداثا في اسيا الصغرى وعرفت باسم الحرب السورية الثانية واستمرت من ٢٦٠ الى ٢٥٢ تقريبا وتجب الاشارة حقا الى ان نتائج هذه الحرب السورية الثانية لم تكن لصالح بطلميوس بصورة عامة وسرعان ما انقلبت الامور الى نقيضها بالنسبة لانتيجونس جوناتاس وكذلك بالنسبة للسليوقيين، فقد واجهت انتيجونس موجة من حروب التحرير في بلاد اليونان. فهذا الاتحاد الايتولى يسمى لتوسيع حدوده وانتيجونس غير قادر على منعه من تحقيق ذلك. وكذلك مدينة كورنثا تمردت على سلطة مقدونيا بقيادة الاسكندر بن كراتيروس وكان حاكما عليها من قبل انتيجونس ملك مقدونيا نفسه. سعى الاسكندر الى تقوية مركزه وتوسيع حدوده وعلان نفسه ملكا، ولم يستطع انتيجونس الوقوف في وجه اطماعه، وبقيت كورنثا وما خضع لها من مدن ايوية مستقلة عن مقدونيا الى موت الاسكندر هذا، وفي شبه جزيرة البيلوبونيز كان الوضع اكثر حرجا بالنسبة لانتيجونس فقد نجحت مدينة سيكيون بقيادة اراتوس Aratus ان تتخلص من طاعتها الموالي لانتيجونس في عام (٢٥١) ثم انضمت هذه المدينة الى العصبة الاخية الصغيرة وبدأ الاتحاد

الذى كان غير ذات خطر منذ عام ٢٨٠ ق م (تاريخ انشائه) ينمو تحت قيادة مدينة سيكيون فتزايد عدد الاعضاء وتزايدت أهمية الاتحاد السياسية.

وهكذا نلاحظ ان انتيجونس قد فقد تقريبا كل سيطرة على بلاد اليونان بل انه على ما يبدو فقد ايضا تلك السيطرة البحرية على جزيرة كوس Cos ومالدى اليه ذلك من خروج انتيجونس من ميدان التنافس في بحر ايجه.

ويبدو ان بطلميوس فيلادلفوس قد سعى في اواخر حياته الى استعادة سيادته على بحر ايجه ويبدو ان هذا السعى قد حقق نجاحا اذ نلاحظ ان بطلميوس كان مالكا لاسطول قوى وله كلمة مسموعة في ديلوس، ولكنه هزم مرة اخرى في معركة بحرية عند اندروس Andrus في عام ٢٤٧.

مات انطيوخس الثانى ملك سوريا في عام ٢٤٧ ومات فيلادلفوس (بطلميوس الثانى) في عام ٢٤٦. وتولى العرش فى مصر ابنه بطلميوس الثالث يورجيتيس. وقد حفلت سنوات حكمه الاولى بالعديد من الاحداث المشيرة. اذ تدخل بطلميوس الثالث فى سوريا بعيد توليه السلطة فى مصر تدعيما لمطالب اخته برنيكى ارملة ملك سوريا المتوفى وابنها ضد لارديكى الزوجة الاولى لانطيوخس وابنها سليوكس (الثانى). وبسبب هذه الحادثة قامت الحرب السورية الثالثة التى استمرت من ٢٤٦ الى ٢٤١ ق م وقد

حقق بطلميوس خلال السنة الاولى للحرب انتصارات باهرة حقق خلالها الاستيلاء على كل سوريا وميزوبوتاميا ولكن بعد ذلك توقف تقدمه بسبب الإغتيال المضادة التي قام بها سليوكس الثاني، وأخيرا اضطر بطلميوس الثالث ان يخلى كل هذه الاملاك وان بقيت مدينة سليوقيا في يديه (١).

يرتبط نجاح بطلميوس الثالث في آسيا بنجاح اخر حققه في بحر ايجه، ويبدو ان مقدونيا استغلت الاحداث السورية لكي تتقدم بقواتها في جزر بحر ايجه.

ولكن يبدو أيضا ان بطلميوس الثالث نجح هنا أيضا في ايقافهم، وصحيح ان المقدونيين سيطروا على جزيرة ديلوس مما يوحى بتقدم نفوذهم بعض الشيء في بحر ايجه ولكن الصحيح أيضا أن بطلميوس الثالث

(١) بمقتضى المعاهدة التي أنهت الحرب السورية الثانية طلق أنطيوخس الثاني زوجته لاديكى التي سبق أن أنجبت له ولدان وتزوج برنيكى ابنة بطلميوس الثاني فيلادلفوس وأخت بطلميوس الثالث يورجيس حيث أنجب منها ولدا. وعند موت أنطيوخس الثاني قامت الحرب بين أولاد الزوجتين. وقد استجدت برنيكى بأخيها بطلميوس الثالث، وكانت هذه نقطة إنطلاق الحرب السورية الثالثة وقد عثر على عدد من الوثائق تتحدث عن تلك الحرب منها نص ورد على البردي (FGrh 160) ونص نسخة رحلة في القرن السادس الميلادى في عدول Adulis في أرتيريا على البحر الأحمر. وقد جاء في النص الأخير بعد الديباجة "حيث أنه بطلميوس الثالث ورث عن أبيه ملك مصر وليبيا وسوريا وفينيقييا وقبرص وكيليكييا وكاريا وجزر الكوكلايس. فقد سار في آسيا بقوة من المشاة والخيالة وأسطول والأفبال وبعد أن أمن المنطقة (من) الفرات (الى) كيليكييا وبامفيليا وأيونيا وإهلسبوت وتراكيا، (واستولى) على كل القراء في تلك الأماكن (وكذلك) الأفبال الهندية وبعد أن أخضع كل حكام الأقاليم عبر نهر الفرات (حيث) أخضع ميزوبوتاميا وبابل وسوسيانا و Persis وميديا وكل الأقاليم حتى بكتيريا وبعد أن بحث عن كل الأشياء المقدسة التي نزلها الفرس من مصر أعادها مرة أخرى الى مصر بالإضافة الى باقى كنوز تلك الأقاليم."

كان أقوى الملوك الهلينستيين نفوذاً في ذلك البحر وسيطر على كثير من الجزر والساحل التراكي. ونحن نعلم علو مكانته في ذلك الوقت في جميع أنحاء اليونان خصوصاً في شبه جزيرة البيلوبونيز وفي ايتوليا ومناطق نفوذ العصبة الايتولية، ويمكننا ان نلمس كلمة مسموعة لمبعوثيه وتأثيراً قوياً لامواله في كل الاحداث الهامة خلال فترة حياته.

وفي مقدونيا مات انتيجونس جوناتاس في عام ٢٢٩ ق م وخلفه على العرش ديمتريوس الثاني، وكانت الامور في بلاد اليونان قد مالت لصالح العصبتين الايتولية والآخيه وتضاءل دور مقدونيا القيادي في بلاد اليونان، بل واتحدت العصبتان لبعض الوقت ضد مقدونيا. فاضطر ديمتريوس الثاني خليفة جوناتاس على مقدونيا الى خوض حرب ضد العصبتين كادت تميل لصالحه ولكن تمرض بلاده لمقدونيا الى هجوم من قبائل الدردانيين Dardanians ادى الى توقف تقدمه في بلاد الاغريق بل واضطره للانسحاب منها مابقى له في الحياة وكانت النتيجة هي اختفاء الدور المقدوني كلية من كل بلاد اليونان الوسطى وشبه جزيرة البيلوبونيز.

ادى تضائل الدور القيادي لمقدونيا في بلاد اليونان ثم اختفائه الى تزايد قوة العصبة الايتولية التي كانت تتدعم باستمرار منذ عام ٢٠٠ ق م (زادت هيبة هذه العصبة بعد دورها في طرد الجلايين، وتدعم نفوذها في دلني التي اعتبرتها عاصمة ثقافية للعصبة) ولم تكف هذه العصبة بالبر بل لجأت الى درس نفوذها في بحر ايجة والبحر الايوني عن طريق الفرص،

ومدت نفوذها فيما وراء البحر بتقديم الحماية لعمالها من قراصنتها وأخيرا ساعد تزايد مكانة العصبة الايتولية الدبلوماسية الماهرة التي استخدمتها، ومن ثم أصبحت هذه العصبة تعامل كقوة قوية من طرف الدول القائدة في ذلك الزمان لبرجاموم ومصر وروما).

أما العصبة الاخوية فقد بدأت في تنظيم اتحادها في شبه جزيرة البيلوبونيز ولكن نجاح هذه العصبة لم يصل الى غايته بسبب التطورات التي حدثت في اسبرطة وحرمت العصبة الاخوية من قطف ثمار النجاح. اذ بدأت اسبرطة تحت قيادة اجيس Agis (٢٤٥-٢٤١ ق م في اصلاح تقاليدھا الاجتماعية والاقتصادية ثم اكملت مسيرتها الاصلاحية لدستور ليكورجوس في عام ٢٢٥ ق م تحت قيادة كليومنيس وقد أدت هذه الاصلاحات الى تزايد القوة العسكرية الاسبرطية، واستطاع كليومنيس باستخدامه لهذه القوة العسكرية ان يمارس دورا اكثر نشاطا واكثر تأثيرا على الحياة السياسية في شبه جزيرة البيلوبونيز كان جهد كليومنيس موجهة ضد مقدونيا بصورة رئيسية. وقد استغل بطلميوس الثالث نشاط اسبرطة اكثر من نشاط العصبة الاخوية فنقل مساعداته من الأخيرة الى الأولى وقد أدت هذه المساعدات فضلا عن الموقف الواضح لبطلميوس الثالث الى جانب اسبرطة الى انعاش الامل لديها في ضرب العصبة الاخوية. أصبحت العصبة الاخوية في موقف دقيق خاصة والعصبة الايتولية لم تمد لها يد العون بل كانوا يغبطون نجاحها، كما كان عدد من اعضاء العصبة الاخوية نفسها راغبون في

الاعتراف بملك اسبرطه رئيسا دائما لهم واستطاع اراتوس زعيم العصابة الاخوية بتحركات سياسية ماهرة ان يمنع اسبرطه من تنفيذ خططها، ولكنه دفع ثمننا باهظا لاثمام ذلك اذ استبدل احتمال التحالف مع اسبرطه وتحت رياستها تحالفا مع مقدونيا وتحت رئاسة الملك المقدوني، وكان هذا يعني من الناحية العملية اعادة للحماية المقدونية على اليونان، بل لقد اضطر اراتوس ان يوافق على عودة كورنثا لمقدونيا، وهكذا عادت بلاد اليونان كما كانت على ايام فيليب الثاني والاسكندر الاكبر وديمتريوس (الاول) موحدة من الناحية النظرية ولكنها كانت من الناحية العملية تحت حماية الملك المقدوني انتيجونس دوسون Antigonus خاصة بعد هزيمة اسبرطه في معركة سيلسيا Sellasia عام ٢٢٢ ق.م.

وبما كانت بلاد اليونان تحارب معاركها من اجل الاتحاد، كانت المملكة السلوقية في الشرق تتمزق بسرعة ففي حوالى عام ٢٤٩-٢٤٨ ق.م بدأ يظهر الكيان السياسى لبارثيا Parthia وفقد السلوقيون فى فترة قصيرة جدا اجزاء هامة من ولاياتهم الشرقية لمصالح البارثيين (١).

وفى نفس الوقت نجحت ولاية باكتريا فى الاستقلال تدريجيا تحت قيادة ديودوتوس Diodotus ، ورفضت كبادوكيا وارمينيا الخضوع للامبراطورية السلوقية ولم يستطع السلوقيون ايقاف هذا التمرد بسبب ضغط الحرب السورية الثالثة ٢٤٦-٢٤١ ق.م، ثم بعد ذلك بسبب النزاع الذى

نشب بين امراء البيت السليوقي الذى اندلع بعد الحرب السوري الثالثة مباشرة فى عام ٢٢٥ واستمر لسنوات تالية كثيرة. فقد قام صراع بين سليوكس الثانى واخيه انطيوخس هيراكس HIRAX فى آسيا الصغرى (١)، والنتيجة الحقيقية لهذا الصراع كان نجاح اثالوس الاول ملك برجاموم فى توسيع مملكته بطرد الجلايين بعد هزيمتهم فى معركة كايكوس Caicus فى عام ٢٢٠ ق م وبعد انتصاراته المتتالية التى حققها على الملك السليوقي سليوكس الثالث خليفة سليوكس الثانى - فى عام ٢٢٦ ق م نجح الحاكم السليوقي فى عام ٢٢٢ لاسيا الصغرى فى استعادة جزء كبير من الاراضى التى فقدوها سلفه امام ملوك برجاموم. ولكن اثالوس وخلفاءه احتفظوا باستقلال مملكتهم ولقبهم الملكى، ولم يبذل السليوقيون اية محاولة لاستعادة الاملاك التى فقدوها فى هذا الجزء من آسيا الصغرى.

وتنتهى الفترة التى حددناها لهذا الفصل بموت سليوكس الثالث فى عام ٢٢٢ واتيجونس دوسون وبطلميوس الثالث فى عام ٢٢١ ق م اذ دخل العالم الهلينستى منذ ذلك الوقت فى مرحلة جديدة كان المحركون للاحداث خلالها هم فيليب الخامس ملك مقدونيا وانطيوخس الثالث ملك سوريا والرومان الذين كانوا قد تزايد دورهم فى الشرق وتدخلهم فى

(١) "حرب الاخوة" التى قامت بين سليوكس الثانى وانطيوخس هيراكس استمرت من ٢٢٦-٢٢١ ق م اضعفت الامبراطورية السليوقية وتركها مقسمة بينهما هيراكس فى آسيا الصغرى وسليوكس فى باقى الامبراطورية حتى عام ٢٢٦.

شئونه ابتداء من عام ٢٢٠.

ونلاحظ ان هذه الفترة التي درسناها في هذا الفصل من ٢٨٣-٢٢١ كانت كفترة خلفاء الاسكندر الاكبر فترة مملوءة بالحروب المتصلة وان اختلفت عنها في استقرار فكرة وجود دول وممالك هيلنستية مستقلة.

٤- تصدحور الممالك الهلينستية

أن توازن القوة الذى استقر خلال القرن الثالث لبعض الوقت بين الممالك الهلينستية شهد اختلالا كبيرا ابتداء من الربع الأخير من نفس القرن. أدى الى هذا الاختلال عدد من العوامل أولها تولي كل من فيليب الخامس لعرش مقدونيا وانطيوخس الثالث لعرش سوريا وكلا الرجلين كان طموحا يسمى الى التوسع والسيطره ومد نفوذ مملكته. ثانى هذه العوامل كان بداية التدخل الرومانى فى شئون الشرق الهلينستى، اذ تحركت روما ضد الدولة الليرية التي قامت فى جوار مقدونيا على الساحل الشرقى للبحر الادرياتي وكانت هذه الدولة تمارس القرصنة المنظمة وتهدد علاقات ايطاليا التجارية مع العالم الاغريقى.

وقد أدى تدخل روما المسكرى ضد الليريا فى عام ٢٢٩ ق م الى قيام سيطرة رومانية على بعض المدن الاغريقية الواقعة على الساحل الليرى من اهم هذه المدن هي: Oricus, Aelon, Dyrrhachium و Apollonia وكذلك سيطرت روما على الاقليم الساحلى الواقع فى ظهير هذه المدن (١).

(١) صارت روما مسئولة عن حماية مصالح تلوكتوم بعد سقوط هذه المدينة فى يديها. ومن ثم كان عليها أن تقضى على عوامل الاضطراب فى مياه البحر الادرياتي. فأرسل السناتو جيشا واسطولا من أجل هذا الهدف فى عام ٢٢٩، كما أرسل جيشا آخر فى عام ٢١٩ لنفس الغرض. وقد أدى وجود النفوذ الرومانى فى المنطقة الى تدهور العلاقات بين الرومان ومقدونيا بمجرد إعتلاء فيليب الخامس للعرش.

وهكذا بدأ التدخل الروماني يجد طريقه الى قلب العالم الهلينستي. العامل الثالث: التدهور الذي شهده الحكم البطلمي في مصر نتيجة لاستهتار بطلميرس الرابع وضعف خلفائه، فضلا عن بعض العوامل الأخرى.

ففي مقدونيا رأى فيليب الخامس أن ما حدث من روما في الليريا تعد على حقوق مقدونيا وخطر شديد على بلاده إذ كانت المدن الأفريقية الواقعة على الساحل الليري تابعة فيما سبق لمقدونيا، كما أن روما أصبحت جارا لبلاده وأصبح من السهل عليها التقدم نحو حدودها عبر مجموعة من لودية الأنهار. فضلا عن هذا فإن روما كانت قد سبقت بالدخول في علاقات سياسية مع بعض المدن والاتحادات الأفريقية مثل ايتوليا وآخايا وآثينا (٢٢٨) دون أن تراعى الوضعية الخاصة لمقدونيا تجاه هذه المدن والاتحادات (١)، وكانت كل هذه مؤشرات لتناقض مصالح روما ومقدونيا.

بدأ فيليب الخامس حكمه (٢٢٠ ق.م) بالدفاع عن مكانة مقدونيا في بلاد الإغريق وكانت العصبة الأيتولية قد سعت إلى توسيع اتحادهم على حساب العصبة الهلينية مستغلة في ذلك شباب وعدم خبرة الملك الجديد في مقدونيا. ولكن هذا الشاب نجح في هزيمة الأيتوليين في معركة كبيرة اضطرتهم على إثرها أن يدخلوا معه في معاهدة سلام شروطها لصالحه

(١) كانت روما قد أرسلت مبعوثيها إلى هذه المدن وغيرها وقد أسفرت الاتصالات الرومانية مع كورنثا إلى دعوة الرومان للمشاركة في ألعاب الخليج وقد كانت هذه الدعوة أول اعتراف من الإغريق بتحضر الرومان.

وتعرف باسم سلام ناوباكْتوس Naupactus عام (٢١٧) ق م (١) .

اتجه فيليب بعد استقرار أموره في بلاد الاغريق لتصفية حساباته مع روما وقد بدأ هذا الجهد بمقد معاهدة صداقة وتحالف مع هانيبال القائد القرطاجي العظيم في عام ٢١٥ ق م، وكان هانيبال في إيطاليا يذيق الرومان سوء العذاب (٢). وقد أدى هذا الموقف المقدوني الى تفاهم بين روما واعداء فيليب في العالم الهلينستي مثل الأيتوليين في بلاد اليونان (٣) والملك أثالوس ملك برجاموم في عام ٢١٢ ق م. وقد نتج عن ذلك اندلاع حرب طويلة بين الأيتوليين متحالفين مع روما ضد مقدونيا . وقد أبدت روما في البداية نشاطها في مساعدة حلفائها ولكنها وبسبب انغماسها في الحرب

(١) أهم مايلفت النظر في شروط صلح ناوباكْتوس أن الاغريق كان يعقدون هذا الصلح وأنظارهم متجة الى المعارك الدائرة في إيطاليا بين الرومان والقرطاجيين. وكانوا يريدون أن إلتصاف أي طرف من الطرفين لايعني بالضرورة السلامة للاغريق. ولذا كان الصلح للتفرغ لمتابعة الصراع الدائر على الأرض الإيطالية Polyb . IV . 25-26 . 2

(٢) عقد مبعوث فيليب الخامس معاهدة باسمه مع هانيبال القائد القرطاجي العظيم (٢١٥ ق م) كانت هذه المعاهدة تقدم عمقا إستراتيجيا لها نيل في حرب الرومان، حيث أعقبها مباشرة قيام الحرب المقدونية الأولى (٢١٥-٢٠٥ ق م) بما تعنيه من أعباء حربية إضافية على الرومان. وكانت المعاهدة تقدم زادا عسكريا هائلا لفيليب الثاني في مطالبة ضد الرومان الذين إستولوا على أجزاء من الليريا. وقد نصت المعاهدة على تبادل المساعدات بين الطرفين وقت الحاجة والإيدخل القرطاجيون سلاما مع الرومان دون أن يجعلوا ضمن أطرافه مقدونيا وحلفائها. " وإذا شن الرومان عليكم أو علينا حربا فإننا سوف تقدم المساعدة كل للأخر طبقا لحاجة أي طرف " وقد أقسم هانيبال ومجموعة من قواده على إحترام شروط المعاهدة كما أقسم إكسينوفانيس مبعوث الملك فيليب على ذلك نيابة عن الملك وكل المقدونيين وحلفائهم. إنظر نص الصلح . Polyb . VII. 9, & Livy XXIII . 33

(٣) عقدت روما إتفاقية مع العصبة الأيتولية في عام ٢١٢ أو ٢١١ لكي تشغل فيليب الخامس عن مساعدة حليفه هانيبال في إيطاليا، وتعتبر هذه المعاهدة أول معاهدة بين إحدى دول بلاد الاغريق وروما. وقد عرفنا خبرها من تقرير مختصر لليفيوس Livy . XXVI . 24 . 7-15 .

البونيقية الثانية أصبحت ذات دور هامشى قبل أن يختفى هذا الدور كلية. وقد اضطر الايتوليون الذين أرمقتهم الحرب وأصابهم موقف روما بالإحباط اضطروا الى عقد سلام منفصل مع فيليب ٢٠٦ ق م سرعان ماعقبه سلام منفصل بين فيليب وروما فى عام ٢٠٥ ق م (١) يجب أن نربط بين احداث هذه الحرب وتطورات الحرب البونيقية الثانية التى استمرت الى ٢٠١ ق م.

وفى نفس الوقت تقريبا كان الملك الطموح انطيوخس الثالث ملك سوريا يسعى لاعادة مجد الامبراطورية السلوقية. ورغم أنه واجه سنوات صعبة فى بداية حكمه عام ٢٢٢ ق م وكان مايزال شابا فى الثامنة عشر. كان ابن عمه اخايوس Achaeus يستأثر بأسيا الصغرى دونه، وكان واليه على الشرق مولون Molon قد بدأ ثورة ناجحة ضده فى عام ٢٢١ ق م (٢).

(١) يذكر ليفيوس (Livy XXIX.12.15-16) أن الصلح يطلق عليه صلح Phoenice نسبة الى مدينة فى ابيروس. . . وأضاف: أوضح سبيرونيوس شروط السلام بأن تكون Parthini, Bargullum, Eugenium, تابعة للرومان، بينما تتبع Atintania لـ"قدونيا". . . وعندما تمت الموافقة على هذه الشروط ضم الملك الى المعاهدة بروسياس ملك بثنيا والآخرين والبيوتيين والتساليين والاكارنانيين وأهل ابيروس، وضم الرومان اليوم Ilium والملك أثالوس وPleuratus و نايس طاغية إسبرطة والإبيين والمسينيين والأثينيين. . . وأعلنت هذه لمدة شهرين حتى يصل رد روما بالموافقة على المعاهدة من عدمه. وقد وافق الرومان عليها لكي يحرروا أنفسهم من كافة الارتباطات والعداوات إستعداداً للمرحلة الأخيرة من الحرب البونيقية الثانية التى كانت على وشك الاندلاع على الأرض الاغريقية.

(٢) كان مولون واليا على مبديا وأخوه الاسكندر واليا على فارس. وقد نجح تمرداه وأخذ لقب ملك كما يظهر على قطع العملة، ولكنه هزم فى عام ٢٢٠ فيما بيدر وأعدم.

كما كانت علاقات بلاده بمصر بعيدة كل البعد عن الاستقرار. لقد واجه انطيوخس هذه الظروف بمقدرة فائقة فأعاد سلطته على الولايات الشرقية، كما وصل الى تفاهم مقبول مع ابن عمه اخايوس في آسيا الصغرى (١)، وأخيرا فرغ لمصر وحاول أن يبعد الخطر المصري بنزوح مصر. وبدأ حملته ضد مصر عام ٢١٩ حيث استولى على بعض القلاع السورية التي كانت تحت الحكم المصري منذ عصر بطليميوس الثالث كسليوقيا . ولكن حملته هذا رغم النجاحات المبكرة الا انها عند اللقاء الحاسم في رفح ٢١٧ فشلت فشلا ذريعا أمام جنود قلب الجيش البطلمي المكون حديثا من الفلاحين المصريين. على كل حال لم تكن عزيمة انطيوخس أمام هذه الهزيمة بل لعله تابع عن قرب التطورات الداخلية في مصر بعد النصر، وكيف ثار الجنود المصريون بعد عودتهم من رفح، عاد بطليميوس الرابع الى لهوه مما جعل هذا النصر مجرد مصادفة في طريق دولة البطلمة التي لم تتوقف منذ ذلك الوقت عن التدهور (٢). ولعل انطيوخس فهم هذه الحقيقة ومن ثم استمر في

(١) تولى اخايوس قيادة الجيش السليوقي في آسيا الصغرى بعد مقتل الملك سلبوكس الثالث. وحارب أعداء السليوقيين هناك فحجم برجاموم واستعاد كل الأراضي التي كان السليوقيون قد فقدوها هناك. ولكن الانتصار أنعش آماله وفعل ان يحتفظ بهذه البلاد لنفسه واتخذ لقب الملك حوالي عام ٢٢٠. ورغم اعتلاء انطيوخس الثالث للمرش السليوقي الا أنه لم يكن قادرا على التحرك ضد اخايوس المتمرد الا بعد انتهاء الحرب السورية الرابعة عام ٢١٧ ق.م. وقد استغرقت عملية طرد اخايوس من آسيا الصغرى الفترة من ٢١٦ الى ٢١٢. انظر Polyb . IV . 48 .

(٢) Polyb . V . 63, 65 , 67 , 79 .

3-4 . XIV . 12 . & 107 .

جهوده لاعادة ايجاد الدولة السليوقية. اتجه انطيوخس الى آسيا الصغرى حيث استطاع فى حرب ضد اخايوس استمرت ثلاث سنين تحالف انطيوخس خلالها مع برجاموم اقرب استطاع القضاء على نفوذ اخايوس تماما واعاد سيطرته المباشرة على الاناضول.

اتجه انطيوخس بعد ذلك نحو الشرق لى يعيد سلطة بلاده هناك وكانت قد تدهورت نتيجة تمرد ملوك بارثيا وملوك بكتريا الاغريق وسميهم الى توسيع حدودهم. وقد ادى نجاح هذين التمردين الى تشجيع باقى ولاه السليوقيين فى الشرق على التمرد.

وعلى الرغم من أن حملة انطيوخس لم تؤد الى القضاء على مملكتى بارثيا وبكتيريا ولكنها ادت الى الحد من طموحهما وطمعهما فى الاملاك السليوقية كما أدت تلك الحملة الى تقوية قبضة الملك انطيوخس على باقى الولايات. حتى اكتسب انطيوخس شهرة فى العالم الاغريق جعلت الاغريق يحاولون المقارنة بين غنائم الملك فى تلك الحملة وغنائم الاسكندر من حملته الشرقية ، بل ويعتبرونه الاسكندر (الثانى) (١).

(١) لم يستطع سليوكس الثانى إعادة بارثيا وغيرها الى حظيرة الدولة السليوقية، بل ولم تستطع سليوكس الثالث ذلك أيضا . ورغم أن انطيوخس الثالث تولى الحكم فى عام ٢٢٢ إلا أنه لم يكن قادرا على ترجيح جهده لاستعادة أملاك وهيبة المملكة فى الشرق قبل عام ٢١٢. نعتمد فى معرفتنا بأحداث حملة انطيوخس الثالث على بوليبيوس الذى أشار فى كتابه الثامن 23 . VIII أن أرمينيا أجبرت فى عام ٢١٢ على الاعتراف بسيادة السليوقيين ودفعت للضرائب للدولة وذكر فى كتابه العاشر (X.27) أنه فى عام ٢١١-٢١٠ استطاع انطيوخس غزو ميديا وكذلك اكتبانا حيث دمر معبد Anailis ونهب ثروته. وأدت حملته فى عام ٢٠٩ الى تحجيم قوة الدولة (X.28-31) أما بكتريا فقد نجح ملكها الاغريقى -

وهكذا نلاحظ أن نتائج تلك الصراعات المبكرة بين فيليب الخامس و روما وانجازات انطيوخس الكبرى فى الشرق أدبا الى خلق واقع جديد فى العالم الهلينستى، فى وقت خرجت فيه مصر البطلمية من المنافسة على الزعامة فى ذلك العالم بل وكانت تعاني فى الداخل من استمرار التدهور بعد أن اعتلى عرش مصر بطلميوس الخامس تحت الوصاية وكان طفلاً، وبسبب استمرار الثورة العنيدة للوطنيين المصريين التى كان قد مضى على اندلاعها حوالى خمسة عشر عاماً. سعى كل من فيليب وانطيوخس الى اقتسام النفوذ فى العالم الهلينستى، ووصلا الى اتفاقية سرية فى عام ٢٠٢ أقتسما بموجبها كل الاملاك الخارجية للبطلمية دون معرفة مصر أو إعلان الحرب عليها، وهى التى كانت صديقة لفيليب أحد طرفى الاتفاقية. كان انطيوخس يهدف من الاتفاقية الى استعادة ما تبقى خارج نفوذه من املاك خضعت لابانه من الملوك السليوقيين فيما سبق، وكان فيليب يرغب فى تقوية موارده استعدادا لصراع مرتقب ضد روما التى كانت قد ظهرت

= Euthydermus فى الصور للحصار ومن ثم صار الملك أنطيوخس على استعداد للتوصل لتسوية مع على أساس الاعتراف بالأمر الواقع وذلك لتوجيه جهد الملكين المشترك لمواجهة القبائل المضطربة على الحدود. وقد نال الملك أنطيوخس من حروبه واتفاقاته غنائم هائلة أهمها أعداد من الألبال المدربة وصلت الى ١٥٠ فيلاً كما أقام مقراً شتوياً له فى Carmania (٢٠٥/٢٠٦) وقد حققت هذه الحملة مجداً عظيماً لأنطيوخس الثالث بين سكان آسيا وسكان أوروبا أيضاً.

Polyb . XI . 34 .

بوادر انتصارها في الحرب البونيقية الثانية (١).

وقد أدت الممارك العسكرية التي تلت اتمام الاتفاق السري بين أنطيوخس وفيليب أقول أدت الى انتصارات هائلة لأنطيوخس استولى على اثرها على فلسطين وفينيقيا وجزء من سوريا الجنوبية وضماها بصورة دائمة الى أملاك السليوقيين بعد أن كان يتبادلها البطالمة والسليوقيين طوال أكثر من قرن (٢). ولكن الممارك أدت الى كارثة بالنسبة لفيليب حيث كان أعداء فيليب أكثر قوة من خصوم أنطيوخس ولذلك فبعد أن حقق النجاحات الأولية أوقفت رودس وبرجاموم تقدمه ثم نجحا في حصاره في كاريا في عام ٢٠١-٢٠٠ ق م وطلبا مساعدة روما لهما في صراعهما ضد فيليب. ورغم أن روما كانت منهكة من الحرب البونيقية الثانية التي انتهت بانتصار ساحق لها وكانت في حاجة الى فترة هدوء تعيد فيها تنظيم أمورها ولكنها نظرا للعداء السابق بينها وبين فيليب وتحت ضغط الروديسيين أعلنت روما الحرب على فيليب، مما اضطره الى اخلاء كل أملاكه خارج مقدونيا تقريبا. ومنذ ذلك الوقت بدأت سلسلة من الحروب استطاع الرومان خلالها

(١) هناك شك في مصداقية وجود هذه المعاهدة السرية وبوليبيوس الذي أورد خبرها لا علم له بمحتوياتها. ويرى كثيرون من الباحثين أنها مجرد إدعاء روماني لتبرير تدخلها في شئون العالم الهلينستي في شرق البحر المتوسط يقول بوليبيوس " ليس غريبا أنه أثناء حياة بطلميوس (الرابع) وعدم حاجته لمساعدتهما (أنطيوخس الثالث وفيليب الخامس) كانا مستعدين لمساعدته، ولكن عندما مات تاركاً ابناً صغيراً، زار الحفاظ على مملكته مسئوليتهم بحكم الروابط الطبيعية، عولا على تقسيم مملكة الطفل وتدمير البيت...".

Polyb . XV . 20

(٢) استولى أنطيوخس الثالث على جوف سوريا خلال الحرب السورية الخامسة (٢٠٢-١٩٠).

القضاء على قوة المملكتين القائدتين في العالم الهلينستي (مقدونيا وسوريا) والقضاء على دوريهما القائد في العالم الهلينستي .
لقد ساعد الرومان أن جزءا كبيرا من العالم الاغريق خصوصا في رودس واثينا وبرجاموم كانوا الى جانبهم خوفا من اطماع فيليب او انطيوخس .

وهكذا قامت الحرب المقدونية الثانية بين فيليب الخامس المقدوني والرومان وقد كسبها الرومان بسهولة في معركة كينوس كيفلاي Cynoscephalae في عام ١٩٧ ق م وقد ادت هذه الحرب الى علو مكانة روما في العالم الهلينستي . اما فيليب فقد أصبح منذ تلك المعركة غير مسموح له ان يتصرف بعيدا عن موافقة روما . وقد راقب الرومان حركته ولم يسمحوا له بالتدخل في بلاد الاغريق من جديد والميدان الوحيد الذي سمحوا له ان يتدخل فيه هو ميدان الصراع ضد القبائل الكلتية والاليرية والتراكية في شمال بلاده . اما بلاد الاغريق فقد اعلنتها روما حرة في عام ١٩٦ ق م وان كانت هذه الحرية معنوية في الواقع اذ لم يكن لها من سند مادي سوى الوجود الروماني نفسه (١) .

(١) نعت شروط الطلع على ان يصبح كل اغريق اسيا لوريا احرارا وان يطبقوا قوانينهم الخاصة . وعلى فيليب (الخامس) ان ينزل للرومان قبل الالعاب الخليجية القادمة من كل المدن التي استولى عليها خلال حملته من ٢٠٢ و ٢٠٠ . وان يكتب فلانتيوس القائد الروماني حول حرية Cius الى بروسياس طبقا لقرار مجلس الشيوخ . وعلى فيليب ان يدفع غرامة حربية قدرها ألف ثلاث نصفها فوراً والنصف الآخر على عشر سنوات .

وبعد أن تخلص الرومان من خطر فيليب تفرغوا لأنطيوخس ورغم أن أنطيوخس تحاشى الصدام مع روما في عام (١٩٢) إلا أن الرومان كانوا يدفعون الأمور باصرار إلى نقطة الصدام. وقد خسر أنطيوخس الحرب بعد فشله في جمع الأغريق حوله وانسحابه إلى آسيا الصغرى بعد معركة ثيرموپولاي (١٩١ ق م) وهناك خسر معركة مجينيريا في عام ١٨٩ ق م الذي كان واحدا من أسهل الانتصارات التي حققها الرومان. أدت نتيجة معركة مجينيزيا إلى عقد معاهدة أباميا Apamea في عام ١٨٨ ق م التي استطاعت روما بموجبها إبعاد الدولة السلوقية عن العالم الإغريقي، كما اكتسبت تعاطف بعض المدن الإغريقية في آسيا الصغرى وإن لم تصدر اعلانا بحريتهم مماثلاً لذلك الاعلان الذي صدر عن حرية اغريق أوروبا بعد معركة كينوس كيفلاي وأقامت سيادتها الرومانية الدائمة على أغلب آسيا الصغرى بالتدريج بما في ذلك جلاتيا ثم فرضت نفوذها على بيثينيا وبونتس وكابادوكيا ثم أرمينيا وقد قدر لهذه المناطق جميعا أن تسقط واحدة تلو الأخرى في برائن الاستعمار الروماني إن عاجلا أم آجلا (١).

(١) أدت هزيمة أنطيوخس الثالث في مجينيزيا إلى عقد إتفاقية أباميا (١٨٨) وقد نصت هذه الإتفاقية حسبما ذكر بوليبيوس على ١٩ بنداً يلاحظ فيه أن اليد العليا لروما. وأن أنطيوخس والسلوقيين قد استبعدوا تماماً من غرب آسيا الصغرى. كما يلاحظ حرص روما أن تحقق مكاسباً لحلفائها في الحرب كيومنييس ملك برجاموم الذي أضفت له أراض بل وجعلت أنطيوخس يدفع له غرامة حرية على أقساط سنوية لمدة خمس سنوات. وكذلك لأهالي رودس الذين ضمنّت لهم الإتفاقية ممتلكاتهم في الأراضي الخاضعة للملك أنطيوخس الثالث وحرية تجارتهم دون جمارك. أما بالنسبة لروما نفسها فقد كانت أنطيوخس بالقيود.

وهكذا ظهرت روما كقوة عظمى نشطة وحاسمة في العالم الهلينى
وهو الامر الذى غير هذا العالم تغييرا كاملا.

كان تدخل روما فى شئون العالم الهلينى وتزايد هذا التدخل
إيذانا ببداية فترة جديدة من تاريخ هذا العالم، تميزت بتفتت العالم
الهلينى وتباعد اهتماماته على عكس الامر خلال القرن الثالث، حيث
سادت العالم الهلينى حركة سياسية واحدة وتفاعل حضارى فى بوتقة
واحدة. نعم كانت هناك حروب دائمة ولكنها كانت حروب بسبب الاهتمامات
الواحدة ولكن التدخل الرومانى وضع حدا لهذه الوحدة. نعم كانت هناك
علاقات دبلوماسية بين الممالك والمدن وكانت الزيجات السياسية مازال
تحدث أثرها على العلاقات بين الممالك، ولعل زواج برسيوس ملك مقدونيا
من لاوديكي ابنة سليوكس الرابع فى عام ١٧٨ ق م لحالة مشهورة، إلا ان هذه
العلاقات أصبحت قليلة الامر فى ظل المراقبة اللصيقة للرومان التى لم يكونوا
يسمحوا بقيام أى تقارب حقيقى بين القوى الهلينى الهامة، والمعروف أن

« فيما يخص الأرض والأسرى والمهاجرين، وفرضت عليه غرامة حرية ضخمة قدرها عشرة
آلاف تالنت وحددت وزن التالنت الواحد ونوع الفضة على أن تكون على أقطار سنوية
متساوية لمدة عشر سنوات، كما فرضت على الملك تقديم كمية ضخمة من القمح سنويا
لرومان. وفرضت عليه الوجهة السياسية التى عليه أن يتوجه إليها فحرمت عليه التدخل فى
شئون الغرب فعليه ألا يعبر إلى هناك إلا لغرض من ثلاثة دفع جزية أو تقديم رهائن أو
إرسال سفراء. كما حرمت عليه أن يكون له أسطول فى المستقبل أو فرق أفيال قتال بمد
أن إستولت بمقتضى الاتفاقية على كل ما لديه منهما تقريبا. ولم يفت روما أن تفرض على
أنطيوخس ضرورة تسليم أمدائها إن وقعوا فى يده وعلى رأسهم هانيبال الذى كان قد
هرب من قرطاج. »
Polyb . XXI . 43 .

روما كانت تقوم بهذه المراقبة من خلال عملاتها في الشرق الهلينستي خاصة ملوك بروجاموم.

وفي الواقع فان العالم الهلينستي كان قد انقسم في ذلك الوقت الى ثلاثة مجموعات، لم يكن بينها اتصال مباشر. المجموعة الاولى ضمت مقدونيا واليونان والمجموعة الثانية في آسيا الصغرى والمجموعة الثالثة كانت تضم مصر وسوريا.

وبالنسبة للمجموعة الاولى فقد أجبرت مقدونيا على الانقلاع من آمالها في أن تحكم اليونان وتسيطر على البحر الايجي وأصبحت هذه الآمال مجرد أحلام غير قابلة للتحقيق. والحقيقة الوحيدة في حياة مقدونيا السياسية كانت علاقتها بروما وكان الشاغل الأكبر للملوك المقدونيين هو إيجاد طريق للتخلص من القبضة الرومانية القوية. وبالطبع أدت محاولات مقدونيا الى اشتعال الحرب مع روما مرة ثالثة (١).

اما بلاد اليونان فقد سعدت لفترة باعلان الرومان «اعلان فلانيوس» عن حريتهم، وقد سعت القوى الكبرى في داخل بلاد اليونان - الايتوليون والأكخيون واسبرطة - الى محاولة توسيع نطاق حلف كل منهم بهدف ضم

(١) تم ذلك في عهد الملك برسيوس خليفة فيليب الخامس الذي كان قد استمر بعد هزيمته في الحرب المقدونية الثانية يحاول إعادة بناء رخاء مقدونيا. فاهتم بالانتاج الزراعي وخدمات الموانئ وتنشيط أعمال التمدين. وربما يكون قد أدخل إصلاحات على نظام العسكري.

أو السيطرة على كل بلاد اليونان ولكن المدن الصغرى استاءت من محاولات هذه القوى واسرعت دائما الشكوى الى روما ضد كل التجاوزات، واستجابت روما دائما للدعوة لفض النزاعات والحروب الصغيرة واستقبلت مبعوثين عن المدن المتضررة وأرسلت المبعوثين وأعطت النصائح التي كانت فى الواقع أوامر مستترة أدت فى النهاية الى تفريغ استقلال الاغريق من أى معنى حقيقى له، واصبح الاغريق خاضعين لحماية رومانية مستترة ولكنهم لم يكونوا قادرين على تغيير هذا الوضع بالقوة المسلحة.

أما آسيا الصغرى فقد ماثلت الاوضاع فيها بعد معركة مجنيزيا من بعض الوجوه اوضاع بلاد اليونان بعد معركة كينوس كيفلاى؛ فقد كانت تضم ممالك كبيرة وأخرى صغيرة ومدن مستقلة بدرجات متفاوتة . وكانت أقوى الممالك وأكبرها هى مملكة برجاموم، ولكن استقلال وقوة برجاموم كان رهنا بطاعة ملوكها للرومان طاعة عمياء .

وقد قابل مجلس الشيوخ الرومانى أى تصرف استقلالى أو محاولة لاتباع سياسة خاصة هناك باستياء شديد وقد تعرضت لهذه المعاملة كل الوحدات السياسية فى آسيا الصغرى بما فيها الدول القوية كبثينيا وبوتس وكبادوكيا والدول الجبلية القبلية. كانت هذه الدول تحس مدى ثقل اليد الرومانية القوية على حريتها ولم يكن لدى هذه الدول من طريق لتغيير هذا الوضع سوى الحرب .

❖ أما سوريا ومصر فقد بقيتا مستقلتين بعد منجنيزيا. وكان

استقلال مصر لا يسبب قلقاً لروما، إذ كان بطالمة القرن الثاني ضعافاً تاكل جهودهم صراعاتهم الداخلية وملذاتهم . أما الوضع في سوريا فقد كان مختلفاً، فطردت من آسيا الصغرى بمقتضى معاهدة أباميا Apamea، وأصبحت اتصالاتها مع بلاد اليونان صعبة وغير منتظمة، كما لم تعد تملك قوة بحرية قوية تحمى مصالحها في البحر المتوسط وبحر ايجة. وهكذا كانت سوريا تنمزل بقوة الظروف عن العالم الهليني والتهيلن. لقد اغضب روما محاولات بربسيوس خليفة فيليب في مقدونيا التقرب من اليونان وخلق حلف يضم الافريق جميعاً ورأت انه قد جاوز المدى المسموح له فقامت الحرب المقدونية الثالثة التي إنتهت بهزيمة ساحقة للمقدونيين في بدنا Pydna (١٦٨ ق م)، فقدت مقدونيا استقلالها على اثرها ثم تحولت بعد فترة قصيرة من الإستقلال الداخلي الى ولاية رومانية(١). كما عاقب الرومان

(١) أقر مجلس الشيوخ الروماني نظاماً فرضه على مقدونيا في عام ١٦٧ وقد نص على الاتي. . . . تحرير المقدونيين (المقصود إعلان إنتهاء الملكة المقدونية) وتبقى لهم السيادة على مدنتهم وأراضيهم، ويستخدون قوانينهم، ويعينون حكامهم سنوياً، وأن يدفعوا الى الرومان نصف الضرائب التي كانوا يدفعونها للملوك، ثم أن مقدونيا تقسم الى أربعة أقاليم ليوعد تحديد الأقسام الأربعة وحدودها) أمر بأن تتم الإدارة محلياً سواء بإختيار المجالس أو الموظفين أو الشئون المالية. كما قرر منع الزواج والبيع والشراء للأرض أو المنازل بين سكان إقليم وأخر. وأمر أيضاً بإغلاق مناجم الذهب والفضة وإيقاف العمل بها ولكنه سمح باستمرار العمل في مناجم الحديد والنحاس. على أن يدفع العاملون في التعدين نصف قيمة الرسوم التي كانت تدفع للملوك. وأمر بمنع إستخدام الملح المستورد. . . . كما وافق للأقاليم كلها فيما عدا الإقليم الثالث بأن يكون لهم حراس حدود مسلحون. . . . وقد أدت هذه التسوية الى تقطيع أواصل ملكة مقدونيا مما سبب اضطرابات وتدخلات رومانية في مقدونيا إنتهت بعد ثورة Andrisus بتحويل البلاد الى ولاية رومانية في عام ١٤٦ ق م.

Livy 32 . 1-7 . 3-30 . 29 . XLV . ٢٩

كل من اظهر من الاغريق تعاطفا مع برسيوس وقد أدى هذا الى القضاء على جمهورية رودس، وكانت صاحبة وجود بحرى فى بحر ايجه، ونتج عن اختفائها ازدياد نشاط القراصنة فى هذا البحر، كما حطمت روما قوة العصبيات الاغريقية واخضعت بلاد الاغريق بصورة نهائية، ودمرت مدينة كورنثا العتيقة فى عام ١٤٦ ق م (١) واصبحت مدن اليونان مجرد جزء من ولاية مقدونيا الرومانية (١٤٥ ق م) وهكذا انتهى الوجود السياسى المستقل لمقدونيا وبلاد اليونان.

بقيت بعض الدول فى آسيا الصغرى بعد اختفاء مقدونيا من الخريطة السياسية للدول المستقلة فى العالم الهلينستى. وكان شاغل هذه الدول أمور محلية كمحاولة دولة أن تمد حدودها على حساب جارة لها أو محاولة دولة أو أخرى أن تسيطر على مدينة أو أكثر من المدن الاغريقية

(١) نتيجة لهزيمة الاخيين امام الرومان ١٤٦ ق م عانت المدن الاغريقية المنضمة للعصبة أو الحليفة منها من التدمير ونهب التحف الفنية وقتل السكان الأحرار أو بيعهم وعبدهم فى أسواق الرقيق. ولعل أكثر أحداث هذه الفترة خطورة أقدام مبيوس القائد الرومانى على احراق مدينة كورنثا" . . . وقد قتل الرومان أغلبية السكان الذين وجدوا فى المدينة، بينما باع مبيوس Mummius النساء والأطفال مبيدا، بينما باع أيضا العبيد الذين كانوا قد أعتقوا وحاربوا فى صفوف الاخيين ولم يقتلوا فى الحرب، وحمل مبيوس كل ماله قيمة عظمى من الأعمال الفنية، وأعطى الأعمال الأقل أهمية لـ Philopoemen قائد القوات البرجامية المساندة للرومان. ويذكر بوزنياس أنه حتى أيامه (قرن الثانى الميلادى) كان مايزال هناك بعض ما سلب من أعمال فنية باق فى برجاموم. . . لقد كان ذلك هو الوقت الذى وصل فيه الاغريق الى أضعف فترات تاريخهم.

المستقلة في آسيا الصغرى، وغالبا ماكانت هذه الأطماع الصغيرة تؤدي الى نشوب حروب بين هذه الدول. هذه الحروب كانت عقيمة النتائج حيث أنها كانت لا تؤدي الى حل أي مشكلة حلا جذريا ، وإنما الحل في النهاية دائما تفرضه روما بما يتفق مع مصالحها؛ ومصالحها كانت تحتم عدم السماح لأي مملكة من هذه الممالك الموجودة في آسيا الصغرى بأن تتجاوز حدا معيناً من القوة يسمح لها بأن تكون بغير منافس من جيرانها لأن حدوث مثل هذا التجاوز كان يعني خطراً محتملاً على النفوذ الروماني نفسه. وكانت أهم الممالك القائمة في آسيا الصغرى في ذلك الوقت هي برجاموم وكانت كما نعلم قوية الى الحد الذي يسمح به الرومان في ظل ولاء دائم من ملوكها لروما. وبشينا التي استطاع ملوكها بروسياس الاول Prusias أن يجعلها مملكة قوية ومنظمة، وبوتس التي أصبحت تحت حكم فرناكيس الاول Pharnaces واحدة من أقوى ممالك آسيا الصغرى وكبادوكيا، فضلا عن الممالك القبلية للجلاتيين .

هذه الممالك فيما عدا برجاموم كانت مثيرة للمشاكل. وقد كانت مهمة برجاموم في السنوات القليلة التي تلت معركة مجنيزيا أن تسيطر على طموحاتهم وكانت برجاموم قادرة على اتمام هذه المهمة كعميل للرومان. فقمع يومنيس الثاني ملك برجاموم الجلاتيين من قطاع الطرق وكذلك منع بروسياس Prusias ملك بشينا من الاستفادة من هزيمة انطيوخس الثالث في مجنيزيا، وهو أيضا الذي استطاع بالتحالف مع قوى أخرى في آسيا

الصغرى أن يضرب خطط فرناكيس الأول الطمرحة بعد حرب استمرت أربع سنوات (١٨٢ - ١٧٩ ق.م.، ويلاحظ أن روما تدخلت لوضع حد للصراع قبل وصوله إلى نتيجة حاسمة حيث كانت روما تخشى استغلال سليوكس الرابع حليفة انطيوخس الثالث لهذا الظروف في وقت كان فيليب الخامس مايزال في موقف يسمح له بالتمرد على سلطتها. ولكن دور برجاموم كعصا رومانية لتأديب ملوك آسيا الصغرى سرعان ما انتهى. إذ بدأت روما تعامل حلفائها بقسوة بعد ما ظهر من تعاطفهم مع مقدونيا أثناء الحرب المقدونية الثالثة. وقد أدى هذا إلى احساس يومنيس الثاني بأحباط شديد بعد جهوده الكبيرة لخدمة الرومان، ومع ذلك فقد بقيت برجاموم تابعة لروما حتى أن اتالوس الثالث بن يومنيس الثاني وكان قد خلف أخاه اتالوس الثاني على عرش برجاموم أقدم على خطوة خطيرة غيرت كثيرا من الخريطة السياسية لآسيا الصغرى. إذ أوصى بملكته عام ١٢٢ ق.م للشعب الروماني (١). وهكذا فقدت برجاموم استقلالها وصارت ولاية رومانية. واتخذ

(١) أهم ما يذكر عن حكم اتالوس الثالث ملك برجاموم أنه أوصى بملكه للرومان والمعروف أن اتالوس لم ينجب أولاداً يرثونه ومع ذلك تبقى دوافعه لإصدار هذه الوصية غير واضحة. وربما كان يرغب في حرمان Aristonicus من وراثته العرش. وربما كان يرى تسليم البلاد لقوة تحميها من الاضطرابات الداخلية وربما كان يريد أن يضمن عدم تمرد الحلفاء بسبب الرغبة في الاستيلاء على العرش. وبالطبع لا يجب أن نتصور أن الوصية قد حققت أهداف اتالوس فموت بعد فترة حكم قصيرة نسبياً ربما كانت أيضاً ذات صلة بالوصية. على كل حال فقد أدت وصية هذا الملك للرومان بوراثة ملكه في عام ١٢٢ إلى بداية الحكم الروماني المباشر في آسيا.

مندوب مجلس الشيوخ برجاموم مقرا له ثم نقل هذا المقرر فيما بعد
انسوس.

أدى تواجد الحكم الروماني في آسيا الصغرى الى ظهور الوجه
القبيح للرومان هناك فقد أهملت حركة التقدم التي كان يرعاها ملوك
برجاموم ورودس وغيرهم وحل محلها رغبة رومانية محمومة في الحصول
على أقصى عائد مالي من هذه البلاد. وقد أدى هذا بالتالي الى ازدهار
الكراهية للرومان في داخل الكيانات السياسية الباقية في آسيا الصغرى،
مثل مدن الاغريق المستقلة وممالك بونتس وكبادوكيا وأرمينيا. ووصلت هذه
الكراهية الى حد سعى بونتس التي كانت القوة المؤهلة لقيادة هذه الحركة
لجمع بقية القوي حولها من أجل حرب روما.

وهكذا فان الحدث المحوري في آسيا الصغرى الهلينستية بعد
سقوط برجاموم كان حرب مثريداتيس السادس ملك بونطس (١) ضد روما
وفشل مثريداتيس في مواجهة روما لايمود في الواقع الى قوة الرومان أو

(١) مثريداتيس السادس (يوليوس قيصر ١٢١-٦١ ق. م) ملك بونطس عرف بالأكبر لقدرته وبطولته
في مواجهة روما حارب الرومان في ثلاث حروب عرفت باسمه. استمرت الأولى منها من ٨٨
الى ٨٤ ق. م واستولى خلالها على أغلب آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه - عدا رودس -
وجانب كبير من بلاد الاغريق. هزمه سلا وأرغمه على التخلي عن كل فتوحاته ٨٤. وفي
الحرب الثانية التي استمرت من ٨٢ الى ٦٢ ق. م هزم القادة الرومان لوكليوس ثم بومبي
وانسحب الى القرم. وهناك واجه تمرداً بقيادة ابنه فلرناكس. قتله أحد أتباعه كان داهية
في التنظيم وشجاعاً عند اللقاء وكان أخطر أعداء روما في الشرق.

لضعف شخصيته ولكنه يعود في أغلبه الى أن الاغريق تخلوا عن تأييده بعد فترة قصيرة من بداية الصراع، كما أن كبادوكيا كانت في البداية معادية له، ولم تؤيده سوى أرمينيا وكانت قوة نصف متمدنة. ولقد أدى فشل مثيرداتيس في هزيمة الرومان الى تحول آسيا الصغرى التدريجي الى عدد من الأقاليم والمحميات الرومانية. وكانت هذه المحميات مجموعة من الممالك التابعة لروما متهيلنة بدرجة أو بأخرى وبقت مستقلة ما رغبت روما في ذلك.

رغم الاهتمام الروماني الواضح بالسيطرة على العالم الاغريقي في بلاد اليونان ومقدونيا وبحر ايجه وآسيا الصغرى لكي تضمن أمنها كاملا فضلا عن مداخيل هائلة ... نجد روما تبدو غير مهتمة بمستقبل الملكيتين الهلينستيتين الشرقيتين في السنوات التي تلت معاهدة أباميا مباشرة، ويبدو أن روما في ذلك الوقت اكتفت بعزل كل من الملكيتين عن بحر ايجه وبلاد الاغريق وفرضت عليهما الاعتماد عن تقرير سياسة البحر المتوسط ومن ثم أصبحتا غير ذات ضرر عليهما. ولكن روما سرعان ما هجرت هذه السياسة واتبعت سياسة التدخل المتزايد في شئون كل من الدولتين بما يشجع الفوضى في العلاقات بينهما وعدم استقرار أمورهما فلقد أصبح التدخل المستمر لروما في المسائل الداخلية لكل الدول الهلينستية نوعا من الروتين المعتاد.

وبالنسبة لسوريا تمسكت باتفاق أباميا رغم خسائرها الشديدة بسببه

وذلك لأنها عقب معركة مجنزريا كانت ضعيفة بما لايسمح لها أن تسمى للانتقام . وقد استمر تمسك سوريا السليوقية باتفاقية أباميا خلال مابقي لانطيوخس الثالث من سنوات عمره والمعروف أنه مات في عام ١٨٧ ق م وحدث نفس الشئ أيام سليوكس الرابع وانطيوخس الرابع خليفته . ولقد كرس الملوك الثلاثة جهودهم لمحاولة استعادة قوة مملكة السليوقيين وكان الأمل دائما هو بالتوسع شرقا . ولذلك نلاحظ اهتماما قليلا بأمور الغرب لدى دولة السليوقيين في هذه الفترة بل أن أكثر الملوك اهتماما بالغرب وهو انطيوخس الرابع كان أقصى ما يطمح الوصول اليه هو أن يبقى خارج نطاق النفوذ الروماني.

لقد حاول انطيوخس الرابع أن يعيد قوة مملكته بما يسمح له بحرية الإرادة فسمى الى محاولة دمج الأجناس المختلفة في مملكة من أغريق مستشرقين وشرقيين متأخرين ويهود آملا أن تقوى مملكته من خلال اندماج عناصرها ولكن هذه المحاولة فشلت فشلا ذريعا وأدت الى ظهور الحركات القومية في داخل مملكته وبكفى أن نعلم أن اليهود بدأوا حربا ضد السلطة استمرت أكثر من قرن وتنتج عنها في النهاية استقلال مملكة يهودية (١). سمي انطيوخس الى استعادة أراضى و أقاليم فقدتها

(١) تمتعت يهودية بحق تسيير أمورها ذاتيا سواء خلال فترة تبعيتها لبطالمة أو للسليوقيين . ولكن بدأ صراع اليهود ضد السليوقيين ابتداء من عصر انطيوخس الرابع الذى أراد أن يفرض الأسلوب الأغريقى فى الحياة على اليهود فقاوموه.

الدولة في عصورها المختلفة ولكنه لم ينجح نجاحا كاملا وأن كان قد وصل بالاتفاق مع حاكم باكتيريا المستقل الى ايقاف زحف البارثيين وتجميع مكانة ارمينيا، واخيرا سمي انطيوخس ايضا الى محاولة توحيد الدولتين الهلينستيتين الباقيتين في سوريا ومصر تحت حكمه.

في ذلك الوقت كانت روما تعد لحرب بربسيوس (الحرب المقدونية الثالثة) وكانت تضع في حسابها احتمال تحالف انطيوخس ومصر مع بربسيوس في مقدونيا وكان المسيطر على الأمر في مصر وزيران هما Eulaeus و Lenaeus اذ كان الملك فيلوماتر مايزال طفلا، وفجأة وجدنا هذين الوزيرين يسعيان لجوف سوريا وهي تلك الأراضي التي فقدتها مصر لصالح السليوقيين قبل عدة عشرات من السنين، و رغم عدم وضوح الدور الروماني في تحريك الأطماع البطلمية القديمة رغم سوء أحوال البلاد في الداخل فمن الواضح أن روما كانت المستفيدة من شغل مصر بسوريا وسوريا بمصر اذ أن الملك انطيوخس استغل الموقف لمحاولة تحقيق حلمه في ضم مصر الى مملكته، وسار الى مصر حيث وصل ممفيس في ربيع ١٦٩ ق م ومنها اتجه الى اسكندرية ولكنه لم يدخلها مكتفيا بقبول بطليموس الثامن عودة أخيه الى جانبه على العرش (١) وأيا كان سبب

(١) بعد ضم انطيوخس الثالث لجوف سوريا والنسوية التي تمت مع بطليموس الخامس في عام ١٦٥، بقيت الأحوال بين الملكتين هادئة حتى عهد انطيوخس الرابع، وعلى عهد هذا الأخير ثارت المشاكل بين البلدين ولانعلم الأسباب الحقيقية لهذه المشاكل وإن كان المعتقد -

الانسحاب وسواء كان برغبة الملك السوري أو على غير رغبته . فانه عاد مرة أخرى الى مصر عام ١٦٨ ق م أملا أن ينجح في ضمها الى ملكه. وصلت قواته الى بيلوزيون وهناك استقبل سفراء الملك بطليموس السادس الذى شكره على مساعدته فى العام الماضى وأبلغه أنه وأخاه على وفاق وأنه ليس فى حاجه لمساعدة ولكن انطيوخس أصر على التقدم نحو ممفيس حيث أعلن نفسه ملكا على مصر (١)، ثم اتجه الى الفيوم وأخيراً توجه نحو العاصمة الاسكندرية التى عسكر على مشارفها، وهناك استقبل سفارة رومانية يرأسها القائد الرومانى بوبيليوس لايناس Popilius Laenas الذى قدم اليه قرار مجلس الشيوخ الرومانى بضرورة عودته الى بلاده وإقلاعه عن محاولة احتلال مصر ، وعندما طلب انطيوخس مهلة حتى يستشير رفاقه رسم السفير الرومانى دائرة بمصاه حول الملك على الأرض وطلب منه أن يبلغه رأيه قبل أن يبرح الدائرة ولم يجد انطيوخس بدا من أن يستجيب للأمر الرومانى (٢) أما السفير الرومانى فقد عاد الى الاسكندرية حيث اعطى

= أن المبادرة للعداء إتخذها الجانب البطلمي (الحرب السورية السادسة ١٧٠-١٦٨ ق. م) فزا أنطيوخس مصر للمرة الأولى فى عام ١٦٩ م دافعا عن حق بطليموس السادس فيلومثرايين اخذت أنطيوخس) ضد أخيه بطليموس الثامن.

(١) P . Tebt . III 698 .

(٢) "عندما تقدم أنطيوخس الرابع ضد بطليموس السادس لكي يسيطر على بيلوزيوم، قابله القائد الرومانى (c.) Popilius (Laenas) حياه الملك بصوته من بعد ومد له يده اليمنى، ولكن بوبيليوس قدم له لوحة كانت فى يده والتي تضمنت قرار مجلس الشيوخ، وطلب من أنطيوخس أن يقرأها أولا، وفى رأى، لم يكن يريد أن يقدم أى علامة على الصداقة قبل أن يجد إستجابته لما جاء به، سواء كان صديقا أم عدوا، وعندما قرأها الملك، قال أنه لى "

تعليماته للملكين ثم غادر مصر الى قبرص - وكانت تابعه لها لكى يطمئن على اخلاء انطيوخس لها بعد ان سبق الى احتلالها - عموما فشلت أيضا محاولة انطيوخس لضم مصر الى املاكه ويعود ذلك في الواقع الى اخطاء ارتكبها اثناء غزوه مصر وايضا الى حقيقة انتهاء روما من الحرب المقدونية الثالثة والقضاء على خطر برسيوس في فترة قصيرة وبصورة غير متوقعة، ومن ثم كانت روما قادرة على التدخل ضد اطماع انطيوخس لاحبا في مصر ولكن حرمانا لانطيوخس من مصدر القوة الذى يمكن أن يضمنه اذ هو ضم مصر اليه .

ومع هزيمة انطيوخس في مصر بسبب التدخل الرومانى فقد سار في طريقه في صراعه ضد اليهود وعلى الجبهة الشرقية حيث تدخل في باكتريا ضد ديمتريوس ثم الحملة التي قادها ضد بارثيا ورغم النجاحات الأولية لحملته إلا أن وفاة الملك انطيوخس الرابع المفاجئة ادت الى كارثة للامبراطورية السلوقية اذ كان آخر العظماء من ملوك السلوقيين، واعتلى

.....
 حاجة لاستشارة اصدقائه بالنسبة لهذه التطورات الجديدة، ولكن بوبليوس في إجابته صنع شيئا يبدو مهيئاً وفجأ بالنسبة لمقام الملك، حيث رسم بفرع من كرمه كان في يده دائرة حول انطيوخس وطلب منه أن يجيبه على الرسالة قبل أن يخطو خارج الدائرة. فوجئ الملك بهذا المفاجأة ولكنه بعد تردد للحظة قال أنه سوف يفعل كل ما يطلبه الرومان منه. بعد ذلك سلم بوبليوس ورفاقه عليه باليد وحمدوا له فضله، قرار مجلس الشيوخ طلب منه أن يضع نهاية فورا للحرب مع بطلميوس، وعليه ففي عدة ايام محدودة سحب انطيوخس جيشه الى سوريا، حزينا بسبب ما حدث ولكن متقبلاً الظروف الحالية. بوبليوس ورفاقه أقروا الامور في الاسكندرية ودعوا الملكين أن يتعاونوا في الحكم البلاداً [. . .] وبهذه الطريقة أنقذ الرومان مملكة البطالة من الانهيار.

العرش من بعده عدد من الملوك الخاملين، كان أفضل ما نجحوا فيه هو إيقاف تقدم البارثيين.

لقد خلص القدر روما من انطيوخس الرابع (ابيفانس) وقدرت روما أنه كان سينجح في محاولاته لولا سرعة انتهاء الحرب المقدونية الثالثة وموته المفاجئ ولذلك قرر الرومان أن يغرقوا مصر وسوريا في بحر من الفوضى بما لايسمح لأى منهما أن تقف على قدميها في المستقبل فكانوا دائما يغزون الخلاقات العائلية في الاسرتين الحاكمتين ويدعمون الحركة اليهودية المناوئة للسليوقيين. ولذلك لم يعارضوا قيام الحروب بين مصر وسوريا من أجل امتلاك جوف سوريا، كما وضعوا العراقيل أمام كل ملك يبدو مبشرا مثل ديمتريوس الثاني الذى قبض عليه البارثيون فى عام ١٤٠ ق م وانطيوخس السابع ١٢٩-١٢٠ ق م . ولقد انساق ملوك سوريا فى تيار من الخلاقات والمنافسات العائلية العقيمة كما فقدت المملكة السليوقية مصادر دخلها مما جعلها غير قادرة على استعادة جوف سوريا أو منع تقدم البارثيين.

لقد كان تاريخ سوريا فى تلك الفترة خليطا من الحروب الاهلية بين أفراد من البيت المالك وكذلك بعض المغامرين ومن المحاولات العقيمة المتكررة لاستعادة السلطة السليوقية على مناطق معينة كثيرة التمرد مثل فلسطين التى استقلت أخيرا كمملكة تحت حكم أسرة ملكية خاضعة (Hasmonaeans) ، ومن حروب ضد مصر مرتبطة بالحروب الاسرية التى سبق الإشارة إليها، ومن الجهود اليانسة لاستعادة ميزوبوتاميا من البارثيين

وايقاف نمو المملكة الارمنية . وقد انتهت هذه المملكة السليوقية بالتسليم
سلما لبومى فى عام ٦٤ ق.م.

اما مصر فان القرن الاخير من حياة مصر البطالة خال من الأحداث
الهامة وتاريخ مصر فى تلك الفترة كان من الناحية العملية هو تاريخ
صراعات أسرة البطالة، وجرائمهم وعلاقاتهم بجيشهم وعلاقاتهم مع عامة
السكندريين فى الاسكندرية وأخيرا شكاياتهم المستمرة ضد بعضهم البعض
لروما الذين كانوا جميعا خدما مطيعين لها. ولسوء الحظ فاننا لانعلم غير
القليل جدا عن صراع هؤلاء الملوك مع الوطنيين الذين كانوا فى ثورة دائمة
تقريبا .

ولكن الامر الغريب حقا أنه نرى أكثر الممالك الهلينستية سلبية
والدولة الأكثر خضوعا لمشيئة روما تبرز فى النهاية امرأة قوية قادرة وطموحة
كان هدفها إعادة الحياة الى العالم الهلينستى فى صورة جديدة وأن تكون
مصر مركز هذا العالم ويعتمد هذا العالم على قوات عسكرية تقدمها ايطاليا
والغرب.

لقد اعتلت كليوباترة العرش البطلمى فى عام ٥١ ق.م هى وأخوها
(بطليموس الثالث عشر) حسب وصية ابيهما الذى جعل الرومان ضامنين
لتنفيذها. ولكن دب الشقاق بين كليوباترة التى كانت تبلغ الثامنة عشرة
من العمر وبين مستشارى أخيها، فسمعوا حتى طردها من الاسكندرية
إلى بلوزيون حيث كونت جيشا لتمرد به الى الاسكندرية . فى

ذلك الوقت وصل قيصر الى مصر فى اعقاب غريمه بومبى ودخل الاسكندرية وتقول الرويات أن كليوباترة جاءت اليه فى قصره ملفوفة فى بساط، وعرضت عليه قضيتها ونجحت فى اكتسابه الى جانبها.

أمر قيصر الأخوين بأن يسرحا جيوشهما ويقبلا تحكيمه ولكن مستشارى بطلميوس ١٢ توجهوا شرا فحركوا قواتهم شرقا فى اتجاه الاسكندرية ورغم بعض النجاحات العسكرية المبكرة فقد خسر بطلميوس الحرب وفقد حياته غرقا فى النيل (١).

عندئذ أعلن قيصر كلا من كليوباترة وشقيقها بطلميوس الرابع عشر ملكين بالاشتراك وذلك فى عام ٤٧ ق م .

تركت كليوباترة مصر الى روما فى إثر قيصر حيث أقامت هناك ثلاث سنين الى جانبه تنتظر انتصاره النهائى فى معارك الصراع على السلطة وإعلان نفسه حاكما مطلقا لروما. والجدير بالذكر أن كليوباترة كانت قد انجبت من قيصر ولدا أسماه الاسكندريون قيصرين وأعلنت كليوباترة ذلك على جدران المعابد حيث صور على هيئة حورس الى جوار أمه إيزيس، كما ظهرت عملة فى قبرص وقد نقشت عليها صورة كليوباترة على

(١) قامت حرب الاسكندرية بين قيصر تمارونه كليوباترة و بطلميوس ١٢ عام ٤٨ ق م . وقد احترقت مكتبة الاسكندرية خلال تلك الحرب، وقد حاول أنطونيوس تمويض كليوباترة عن فقدانها لأغلب محتويات المكتبة بإهدائها كمية كبيرة (قيل ٢٠٠ ألف كتاب) من مكتبة برجاموم.

هيئة افروديتى - ايزيس وهى تقوم بارضاع قيصرين، وكانت كليوباترة فيما يبدو بذهابها الى روما قد فضلت أن تكون شريكة لقيصر فى حكم العالم الرومانى على أن تكون ملكة على مصر فقط.

ولكن مقتل يوليوس قيصر فى عام ٤٤ حطم كل مشاريعها فعدت الى مصر من جديد حاملة احزانها . ويبدو أنها فكرت فى الانفراد بالسلطة فى مصر فهى الشئ الوحيد الباقى ، ومن ثم قتلت اخاها فى ٢٦ يوليو سنة ٤٤ وعينت ولدها من قيصر شريكا لها (وكان عمره أربع سنوات)، قُبعت كليوباترة فى مصر تترقب نتائج الصراع على السلطة فى روما دون أن تدلى بدلوها لصالح أنصار قيصر ، ولذلك فما أن استقرت الأمور لصالح أنصار قيصر حتى أرسل اليها انطونيوس حاكم الأقاليم الشرقية وأحد أنصار قيصر لكى تنسر له موقفها المتخاذل من قيصر وقضيته اتجهت كليوباترة الى طرسوس فى عام ٤١ ق م ، حيث قبل انطونيوس تبريراتها بل وحضر الى مصر فى أعقابها حيث أمضى معها عام ٤١-٤٠، كما قضى معها مابقى من عمره اعتبارا من عام ٣٦ ق م .

ألقت كليوباترة بكل أوراقها لصالح انطونيوس فى الصراع على السلطة فى روما ففعل ما اعتبرته روما خيانة لها، تزوج كليوباترة وطلق أوكتافيا شقيقة أوكتافىوس ، واحتفل بانتصاراته فى الاسكندرية لا فى روما وأهدى الأقاليم التى فتحها فى أرمينيا وغيرها الى أبناء كليوباترة من قيصر ومنه.

وفي روما كان أكتافىوس يشير الناس ضد أنطونيوس وأعماله ،
وأكثر ما أثارهم به هو أخبار خضوعه للملكة المصرية . ثم خرج أكتافىوس
لحرب كليوباترة عدوة الشعب الرومانى ، ولم يشر إلى حرب أنطونيوس خوفا
من انقسام الأنصار فى روما ، وانتهى الصراع فى اكتوبر بهزيمة الملكة وزوجها
الرومانى وانسحبت إلى مصر وتبعها إلى هناك . ثم انتحر أنطونيوس يوم
أول اغسطس عام ٢٠ ق م ولحقت به كليوباترة فى العاشر من نفس
الشهر (١).

وهكذا سقطت آخر ممالك العالم الهلينستى فى أيدي الرومان
وتحولت إلى ولاية فى عام ٢٩ ق م (٢) .
وأصبح العالم الهلينستى جزءا من الامبراطورية الرومانية.

(١) زكى على ، كليوباترة القاهرة.

(٢) وضعية مصر فى الامبراطورية الرومانية محل خلاف بين الباحثين انظر
فوزى مكارى ، وآخرون ، مصر تحت حكم الرومان القاهرة ، ١٩٨٧.

٥ - حكومات العالم الهلينستي

١ - أشكال الوحدات السياسية التي سادت العالم الهلينستي:

عاش الاغريق في العصر الكلاسيكي مواطنًا في مدينة دولة محدودة المساحة والمكان، وتعود على الحركة في عالم من المجتمعات الصغيرة كانت أثينا واسبرطة تعتبران فية من العماليق على الرغم من أن كل منهما كانت بوجه عام تتبع النظام السياسي الذي يراه في مدينته (١)، ولكن مع حلول العصر الهلينستي انتهت سيادة نظام المدينة الدولة وحل محله عديد من الأشكال السياسية. أهم هذه الأشكال وأكثرها انتشارًا كان النظام الملكي. ولكن حتى هذا النظام الملكي كان يعرف اختلافات كبيرة في مملكة معينة عن أخرى بعينها . هناك مثلًا الممالك الضخمة مثل مملكتي البطالمة في مصر والسيلوقيين في آسيا بطابعهما الشرقي وهناك مملكة مقدونيا بتقاليدها الملكية المحافظة وتقف في المنتصف بين التقاليد الشرقية والتقاليد المقدونية مملكة بروجاموم الصغيرة. شكل آخر من أشكال الوحدات السياسية في العصر الهلينستي كان شكل المدينة الدولة وكانت على هذا العصر نوعان؛ المدن الاغريقية القديمة وكانت دائمًا تسمى للاستقلال بأمورها

(١) للمزيد من القراءة عن عالم المدن الاغريقية في العصر الكلاسيكي. فوزي مكاري ، تاريخ العالم الاغريقي وحضارته ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠م.

بل وتحارب أحيانا من أجل الفوز بهذا الاستقلال، كان هناك أيضا مئات المدن الجديدة التي قامت في أقاليم الممالك المختلفة وكانت هذه المدن تختلف في نشأتها وتطورها عن المدن الدول في بلاد الاغريق، اذ كانت المدن الجديدة تمارس تسيير أمورها في الداخل بالأسلوب الاغريقي ولكنها كانت خاضعة كلية للملوك التي تقع هذه المدن في ممالكهم. وشهد العصر الهلينستي ازدهار شكل من أشكال الحكومات هي الاتحادات الفيدرالية التي أصبحت قوى ذات أهمية خلال القرن الثالث ق م رغم أنها كانت قد بدأت في الظهور منذ القرن الرابع ق م ضمت هذه الاتحادات مدنا لها حكومات مستقلة وأقاليم ريفية. ولقد كانت هذه الاتحادات قادرة لوقت طويل على مقاومة محاولات الملوك الهلينستيين للسيطرة عليهما وفي الحقيقة لقد أثبتت هذه الاتحادات الفيدرالية أنها كانت الخلف العصري الناجع لنظام المدينة الدولة، لقد كانت هذه الاتحادات امتزاجا حقيقيا للمدن وكانت أيضا التطور الوحيد الذي شهدته الميدان السياسي في العصر الهلينستي (١).

لم تكن الممالك والاتحادات الفيدرالية والمدن الدول هي كل النظم السياسية القائمة خلال العصر الهلينستي. وأما عرف هذا العصر وجود مدن دينية كبيرة في آسيا الصغرى وسوريا كانت تحكمها أسر قوية من

(١) أشهر هذه الاتحادات في العصر الهلينستي هي العصبة الأيتولية والعصبة الأخية والعصبة الهلونية.

الكهنة وقد مارست هذه المدن قدرا كبيرا من الاستقلال الى حلول العصر الروماني والمعروف أنه كانت هناك مملكة يهودية في فلسطين تمتعت باستقلال تام من منتصف القرن الثاني وبقية، وكذلك لحيث ظهور الرومان في المنطقة بعد مائة عام من ذلك التاريخ.

هناك أيضا الدويلات القطاعية الصغيرة (الفيوداليات) التي وجدت في داخل الاقاليم السليوقية وقد تولي أمور الحكم فيها استقراطات محلية.

وبالإضافة الى ما سبق كانت هناك عواصم ومستعمرات عسكرية ومدن ذات نظم سياسية متنوعة تنتشر في كل مكان وعلى مواطن العالم الهلينستي أن يعيش حقيقة هذا التنوع الواسع.

٢- أنماط السكان :

تباينت شعوب العالم الهلينستي تبين نظم الحكم فيه وبينما كان الاغريق يعيش خلال العصر الكلاسيكي مع سكان عالم بحر ايجيه المتشابهين أصبح العالم الهلينستي يضم كل سكان الامبراطورية الفارسية القديمة بكل تنوعاتهم فكل شعب منهم تاريخه الوطني وشخصيته الخاصة. فمثلا كانت مصر هي أرض الفلاحين المصريين الذين يبلغ عددهم حوالي سبعة ملايين نسمة يقيم بينهم مجموعات غير معروفة المدد من الغريباء : الاغريق

والمقدونيين الذين جاءوا اليها مستعمرين ومستوطنين وكان محور التواجد الاغريقى المقدونى فى مصر يتركز فى مدينة الاسكندرية التى بلغ عدد سكانها عند ذروة ازدهارها حوالى مليوناً من السكان - هذا اذا أحصينا جميع القاطنين بها سواء كانوا من الوطنيين أو الاغريق^(١). وكان التنوع السكانى فى الامبراطورية السلوقية بغير حدود فهناك الرعاة الايرانيين الذين يتحركون للرعى فى الأقاليم شبة الصحراوية الواقعة الى الشرق من العاصمة الفارسية القديمة برسيبولس. أما بابل وسوريا فقد ضمت بعض المجتمعات الأكثر تقدماً. وقد قدر عدد سكان الامبراطورية السلوقية بحوالى ثلاثين مليوناً من السكان، يضاف اليهم عدد غير معروف من الاغريق والمقدونيين عاشوا فى المدن (الاغريقية) يفصل بين الواحدة والاخرى آلاف الأميال فمثلاً نجد الاسكندرية البعيدة التى تقع قرب كلكتا الحالية أسفل نهر الجانج كان يفصلها عن عاصمة الدولة أنطيوخ (نطاكية) ٢٢٠٠ ميل.

٢- علاقة المواطن الهلينستى بالدولة:

أن أهم ما يميز العصر الهلينستى هو انفصال الحكومة عن الشعب، فبينما كنا نلاحظ فى العصر الكلاسيكى أن المدينة الدولة لم تكن لها حكومة منفصلة عن الشعب بمعنى وجود رسميين دائمين بالحكومة سواء كانوا

مشرعين أو قضاء أو إداريين فإن الأمر قد اختلف تماما في العالم الجديد (الهينستى) إذ عرف هذا العالم الحكومات الدائمة بملوكها وبلاط كل ملك ومسندة الإدارة في كل دولة، وكانت هذه الحكومات تضم متخصصين في الحكم أو بمعنى آخر محترفين وبذلك كانوا شيئا آخر غير الناس منفصلين عنهم.

وكذلك صاحب ظاهرة احترام السياسة والإدارة اختفاء ظاهرة هامة ميزت العصر الكلاسيكى وهى الربط بين اكتساب مواطنة مدينة معينة والحصول على حقوق معينة، فكان الأمر يعنى الكثير عندما يكون المواطن اسبرطيا أو أثينيا أو طيبيا أو غير ذلك . إن اكتساب صفة المواطنة في مدينة معينة في العصر الكلاسيكى كان يعنى مشاركة في قوة الدولة ومغانم الحرب ومكاسب الامبراطورية. ولكن هذه الظاهرة اختفت مع بداية العصر الهينستى فان هذه المدن أصبحت بلا حول ولا طول فيما عدا تسييرها لشئونها المحلية، وهكذا صار أيضا حق المواطنة فيها فلم توجد خلال العصر الهينستى دولة مدينة من المدن القديمة كانت تقدر على حماية مواطنيها خارج حدودها أو حتى داخل هذه الحدود في مواجهة إرادة الملوك، كما لم تقدم أى دولة هينستية لمواطنيها أى نوع من أنواع الامتيازات بسبب اتساعها اليها كتلك الحقوق التى كانت تقدمها روما لرعاياها. لقد كان سكان كل مملكة هينستية رعايا للملك الحاكم الذى كان على الأقل من الناحية القانونية صاحب سلطة غير محدودة على رعاياه.

والطريف أن تحطيم قوة روابط المواطنة قد فتح الطريق لانتشار الحضارة الهلينستية. ففي ظل النظام القديم كان ضروريا على المدن أن تدقق بشده فيمن يمنح حقوق المواطنة فيها حيث أن زيادة عدد المواطنين كانت تعنى فاقداء فى القوة والعائد المادى يتناسب مع الزيادة فى عدد المواطنين . وكانت النتيجة هى بقاء الثقافة الاغريقية الى حد كبير - مرتبطة بالمدينة الدولة وأعيادها وصراعاتها وأشكال الحكم فيها، كما كانت الثقافة مسألة تخص أولئك الذين من حقهم أن يشاركوا فى هذه الاشياء بحكم مولدهم.

ولكن بمجرد اضمحلال الأهمية السياسية للمواطنة فى العصر الهلينستى، لم يعد من الضرورى أن يتم التدقيق أو وضع عراقيل أمام إضافة مواطنين جدد . وهكذا شهد العصر الهلينستى تبادل الحقوق السياسية بين المدن ، وهو الذى كان من المستحيل تصور حدوثه خلال القرنين الخامس والرابع ق.م.

وقد أصبح معيار التقدير فى العصر الهلينستى لالمولد أو النسبة الى مدينة ما وانما الثروة والموهبة والثقافة التى يتمتع بها المواطن. وفى أثينا خلال العصر الكلاسيكى لم يكن فى مقدور أى مواطن أن يختار موقفه فى الدولة فالحكومة والى حد أقل الجيش كان يحدد للشخص الذى ينتمى الى فئة معينة مكانا بعينه - بالطبع مع وجود عدد من الاستثناءات المعروفة - وهكذا يمكن أن نقول أنه لم يكن للموهبة أى

تقدير فيما عدا بعض الوظائف التي كان يتم شغلها بالانتخاب.
والمعروف أن الخدمة في المدينة في العصر الكلاسيكي كانت قائمة
على مبدأ التطوع ولكن الأمر اختلف في دول العصر الهلينستي الذي
أصبحت السيادة فيه لمبدأ الاحتراف ، ولم يكن أبناء مدينة معينة يحصلون
على مميزات خاصة في المملكة التي يفدون إليها وإنما كان يكفي المرء أن
يكون افريقيا أو حتى يدعى أنه افريقي.

وحتى في نشاطات كالتمثيل والموسيقى والرياضات كان العاملون
فيها من المحترفين الذين حلوا محل هواة العصر الكلاسيكي . كان هؤلاء
المحترفون يشتركون في المناسبات العامة ويمكن أن ينقلوا ولاءهم من مدينة
إلى أخرى ومن مملكة إلى مملكة ثانية.

ولقد كانت الحاجة كبيرة إلى المتميزين في فنونهم في كل العالم
الهلينستي كالأطباء والتكتنيين والمهندسين والعلماء وقواد الجيش وغيرهم
ولذلك تنقلوا وتحركوا أينما لاحت لهم الفرص المناسبة وعلى سبيل المثال
وجد عالم الرياضيات أبولونيوس من برجا Perga قد حقق أغلب نجاحاته
الرائدة في مجال المخطوطات في متحف الاسكندرية تحت رعاية البطلة ثم
انتقل إلى برجاموم حيث أهدى طبعة منقحة من عمله لسيدة الجديد الملك
Attalus ملك برجاموم (١).

(١) عاش أبولونيوس ما بين ٢٦٢-١٩٠ ق.م. وقد قضى فترة طويلة من حياته في
الاسكندرية كان عالما في الرياضيات والفلسفة أصدر عدة مؤلفات أشهرها كتاب من شأنه
أجزاء من المخطوطات لم يبق منها سوى أربعة بالأغريقية وثلاثة بالعربية.

وقد واجه العالم الجديد حاجة ملحة الى الاداريين المدربين والمكاسبين والمديرين والكتبة لكي ينظموا ويدبروا الاعمال الادارية المتشعبة في ممالك ذلك العالم . وكانت هذه الممالك تحتاج أيضا الى جنود مرتزقه لخدمة اهدافها الحربية.

ومع الفصل الواضح بين الحكومة والمجتمع والأهمية المتناقصة لقيمة المواطنة أصبح الثراء ذو أهمية أكثر من أى وقت سابق ، وهكذا نلاحظ خلال العصر الهلينستى أن التمييز بين الفنى والفقر كان دائما هو الخط الرئيسى الواضح للتمييز بين الطبقات ومع ذلك يجب أن نشير الى أن المثقفين الجدد كانوا المواطنين الجدد الوحيديين فى العالم الهلينستى ، أما الطبقات الأدنى فقد تزايد فقدانها لحرّياتها وتتضاءلت أهميتها بالتدريج.

٤ - مخاضة الملوك فى العالم الهلينستى :

كانت الملكية هى النظام السياسى الغالب فى العالم الهلينستى وهو نظام غير اغريقى وأن كان مألوفاً عند المقدونيين والبلاد الشرقية التى انتصر عليها الاسكندر الأكبر ، ومن المثير حقا أن نعلم أن الاغريق قد رضخوا لمقتضيات العصر وتأقلموا على النظام الجديد بل لقد تم هذا التأقلم بسرعة مذهلة رغم التنافر التاريخى بين الاغريق وتركز السلطة فى يد فرد واحد ورغم أنهم كانوا يصفون خلال العصر الكلاسيكى رعايا الملوك بالعبيد .

أنا نجد الاثينيين كمثال على هذا التأقلم لا يكتفون بقبول ديمتريوس ملكا ولكنهم يقدسونه كاله بل كما يقولون "الالهة الآخر بعيدون عنا ولا يمكنهم سماعنا ... ولا يهتمون بنا ولكننا قادرون على رؤيتك لاكتمثال من الخشب أو الحجر، وأما (نراك) وجهها لوجه ... لذلك نحن نصلي لك ..." وبما أن الاثينيين ألهو ديمتريوس فليس غريبا أنهم خصصوا مبنى معبد البارثنون كسكن له (١).

إن هذا التحول في نظرة الاغريق الى الملوك لم تحدث فجأة ولكنها كانت نتيجة تطور الفكر الاغريقي مما جعل نظرية تروج في العالم الهلينستي تقول بأن الالهة كانوا في الاصل ملوكا ثم ألهو فيما بعد.

وقد مهدت هذه النظريات الطريق أمام تأليه الملوك خاصة وأن ملوك العالم الهلينستي كانوا من الناحية العملية محور الفيض الروحي للبلاد الاغريقية المختلفة ومن ثم كانوا يقدسون كمنعمين ومنقذين يمكن الاعتماد عليهم في تدعيم مواطني المدن ضد أعدائهم فهذا ديمتريوس ينقذ أثينا من يدي كاسندر، وبطلميوس المنقذ (الاول) ينقذ رودس من يدي ديمتريوس وأنطيوخس ينقذ اغريق آسيا من قبائل الكلت.

وإذا كان الاغريق في حاجة في اقلية أنفسهم على قبول تقديس الملوك فإن هذا الامر لم يكن يمثل مشكلة في مصر . إذ أنها تعودت منذ

(١) Athenans , Deinprosophistae II . 253.

قرون سحيقة على تقديس فراعتها، وتتابع اعلان الملوك الهلينستيين آلهة وامتدت عبادتهم الرسمية في كل مكان في ممالكهم وأن كانت عبادة هؤلاء الملوك في العصر الهلينستي قد تميزت عن عبادة الممالك القديمة للملوكها بأن عبادة الملك وتقديسه في العصر الهلينستي استندت الى الانجازات الشخصية للملك سواء كانت انتصارات كبرى أو اعمال بطولية أو مكاسب أنعم بها الملك على رعاياه . ولقد رأى الاغريق هذه الانجازات مبررا للملك لتأليه.

٥ - الادارة في الممالك الهلينستية :

كان يحيط بالملك بلاط أرستقراطي وقد عرف عليه القوم في البلاط بأنهم قرابة الملك وأصدقائه. لكن الملك كان صاحب سلطة مطلقة لا تحددها مؤسسات دستورية ، وكان له الحق في نقل كبار الموظفين في مملكته أو اعفاءهم . وكانت إرادة الملك تصدر في صورة قرارات أو مراسم لها قوة القانون . باختصار كان الملك وبلاطه هم الدولة ولا يمكن النظر للمملكة التي يحكمها باعتبارها مجتمعا يتمتع افراده بحقوق المواطنة مثلما كان الحال في المدن الدول أو الاتحادات الفيدرالية أو الجمهوريات . لقد كان الناس ببساطة رعايا الملك وكان بيده تقرير حياتهم وموتهم .

وإن كانت هذه السلطة مطلقة فإن ذلك كان من الناحية النظرية

فقط ولكن من الناحية العملية فلم يكن الملك قادرا أن يدير مملكته الكبيرة الا من خلال نظام ادارى مركب وبالتالي كان الملوك الضعاف أو الكسالى يقومون تحت سيطرة المهيمنين على النظام الادارى فى المملكة كما كان الملك فى حاجة لتأييد الاغريق القاطنين فى تلك البلاد سواء عاشوا فى المدن أو المستوطنات أو فى الأقاليم الريفية. لقد كان هؤلاء الاغريق - بالإضافة الى جيش المرتزقة وموظفى الادارة - هم السند الرئيسى للملوك على الرغم من عدم ثقتهم فى ولاء الاغريق أو تقدمهم للمعون المادى والعسكرى عند الحاجة. لذلك فضل الملك أن يفرض على الاغريق بعض الضرائب ويستخدم الحصيلة فى ترتيب أموره دون أنتظار لمساعداتهم.

وبالنسبة للمواطنين فى الريف فقد اتخذوا موقف المقاومة فى كل الممالك وفى مصر مثلا كانت الاضرابات والثورات تجبر البطالة على تقديم امتيازات للمصريين وتمييز مصريين أكثر فى داخل الحكومة (١). وفى الامبراطورية السليوقية استطاع البارثيون واغريق اسيا أن يكسبوا استقلالهم ويدعموه على حساب الحكومة المركزية. ولقد عانى الملوك السليوقيين أكثر مما عانى البطالة بسبب وعورة تضاريس بلادهم والمسافات الشاسعة فى تلك البلاد (٢) وكثرة المدن الاغريقية فى امبراطوريتهم فضلا عن قوة

(١) للقراءة عن الثورات المصرية ضد البطالة والاضطرابات التى كانت تحدث بين الوطنيين والمهاجرين فى مصر راجع: - P. Col66, P. Tebt. 5&704 وOGIS 54&90, UPZ1.8
(٢) راجع Polyb. XI.34 ويتحدث فيها عن الجهود التى بذلها أنطيوخس الثالث لاستعادة مكانة دولته على الأقاليم الشرقية.

الارستقراطيات المحلية والدول الدينية. أما مصر فكانت بالنسبة للبطالة أفضل وضعاً بسبب عزلتها النسبية جغرافياً وانصهار عناصرها السكانية ولكن حتى في مصر فقد واجه البطالة اعداءاً شديدي المراس بين الكهنة المصريين وجماهير الفلاحين في الريف الذين لم يكفوا يوماً عن النظر اليهم كغزاة أجنبي. وحتى الاسكندرية العاصمة ذات السكان غير المتجانسين والتمرديين فقد عانى البطالة صعوبات كبرى. وهكذا واجه الحكام المؤلهون كلهم مشاكل انسانية شديدة التعقيد.

٦- الإدارة التي مقدونيا :

لقد كانت مقدونيا اقرب الممالك الهلينستية الى نظام المملكة الدستورية ولقد احيى انتيجونس جوناتاس التقاليد التي ارساها الاسكندر الاكبر وديمتريوس. صحيح أن انتصارات فيليب والاسكندر أدت الى تغييرات دائمة في البلاد. لقد دخل عنصر جديد الى السياسة المقدونية يضم فيليب لمدينه امفيبولس ومدن اغريقيه أخرى على ساحل البحر كما أنشأ كاسندر مدينتين جديدتين هما كاسندريا وثيرسالونيكى Thessalonice كما ضعفت الاستقراطية المقدونية لأن بعضها استقر في آسيا مع الفتوح هناك والبعض اشتركوا في مواجهة غزو الجلايين لقد كان يلاط جوناتاس مكانا لعمل مجموعة من النبلاء ولقد عاش المقدونيون حياة عائلية خالية من المنازعات التي شهدتها الاسرتين البطلمية والسليوقية.

ولقد كان الملك المقدوني يعتلى العرش بناء على قرار الشعب المقدوني ويمثله جيشه كما لم يسع الملوك المقدونيون الى تأليه أنفسهم على الرغم من أن بعض الملوك المقدونيين قد ألخوا في مدن يونانية هنا وهناك بينما لم يؤولوا أبدا بواسطة المقدونيين لا في حياتهم ولا بعد مماتهم كما أنهم نادرا ما ضربوا نقودا تحمل صورهم قبل عصر فيليب الخامس.

وبالنسبة للإدارة في مقدونيا تحت حكم أسرة اتيجونس فاننا لا نعلم إلا القليل جدا. ويبدو أن أغلبها سار على النظام القديم قبل العصر الهلينستي، وإذا قورنت هذه الإدارة بنظام الإدارة البطلمي فانها تبدو بدائية. ولقد ساعد صغر حجم المملكة على عدم وجود نظام مركب من أقاليم ومديريات إلا أنه من الممكن أن تقسيم الرومان لمقدونيا بعد استيلائهم عليها الى أربعة أقسام كان تقريرها لواقع سابق سارت عليه (١).

من الواضح أن المداخليل المقدونية كانت محدودة إذ أن مناجم الذهب في Pangaeum التي استغلها فيليب الثاني كانت قد توقفت عن الانتاج، كما أن ضرائب الأرض كانت لاتغل أكثر من مائتي تالنت وبما أن الفلاحين كانوا يتحملون الخدمة العسكرية فلا بد أنهم لم يطالبوا بالمزيد . وكانت عوائد الموانئ قليلة وحجم التجارة صغير. وحتى الاملاك الملكية لاتبدو أنها كانت متسعة.

Livy , XLV . 29 . 3-30 , 32 . 1-7 .

(١)

٧- برجاموم :

كان ملوك برجاموم لا يقدسون في حياتهم وإنما يزلهون بعد وفاتهم كما قدسوا بعيدا عن برجاموم في عدد من المدن الاغريقية التابعة لهم. ولذلك كانوا أقرب الملوك الهلينستين الى ملوك مقدونيا.

ولكن بالنسبة للإدارة فإن نظام الحكومة كان أقرب الى نظام أصدقائهم البطالمة أو منافسيهم السلوقيين أكثر منه الى نظام مقدونيا. فتحت حكم يومنيس الثاني اتخذوا نظام الإدارة السلوقى في الاقاليم التى اقتطعت من المملكة السلوقية فى آسيا الصغرى. ولكن روح حكمهم كان أقرب الى نظام البطالمة الذى كان ينظر الى مملكتهم باعتبارها بقرة حلب تدر لهم المداخيل . ولقد زادوا من ثرواتهم بزيادة الضرائب والتدخل المباشر للدولة فى الاقتصاد . ولقد أنفقوا بسخاء كالبطالمة أيضا لتحسين صورتهم فى نظر الاغريق وبينما كانوا يضيّقون على أنفسهم فقد أنفقوا بسخاء لجعل برجاموم رائحة الحسن ومركزا للتعليم. وليس هناك ملوك كانوا أكثر كرما من ملوك برجاموم فى هداياهم التى قدموها الى المعابد فى بلاد الاغريق الأصلية(١).

٨- الدولة السليوقية :

لقد كانت الدولة السليوقية بالنظر الى اتساع اقليمها وتنوع سكانها اقرب ماتكون خليفة للامبراطورية الفارسية . لقد بدأت المملكة السليوقية باقاليم شرقية عندما نجح سليوكس في اقامة حكمة على بابل وبعض الاقاليم الواقعة الى الشرق منها قبيل معركة ابسوس وانتهت المملكة ايضا بفقدانها لكل املاك خارج املاكها الشرقية وهكذا بدأت وانتهت مملكة شرقية. ولكن معركة ابسوس اعطت لسليوكس واجهة بحرية وجعلت منه الخليفة السياسى لانتيجونس الاول.

لقد ابقى سليوكس نظام الادارة الفارسى ، ولكن بنى فيه طرازاً متهيكاً للدولة (١).

لقد اخذ السليوقيون عن الاخمينيين النظام المركزي فى الادارة، التى كانت بالتاكيد افضل النظم مناسبة لمملكة لها هذا الاتساع وعدم التجانس البشرى. وفى الاقاليم التى كان من الصعب السيطرة عليها وفى الاراضى التى كان الشعور القومى فيها قوياً سمحوا لاسر محلية بأن يمارسوا حكماً ذاتياً فى مقابل ضريبة سنوية. ومنذ حكم انطيوخس الثالث فان معظم الهضبة الايرانية قد ذهبت الى ايدي ملوك مستقلين، اغريق

(١) OGIS 221-222 & 225 و IGLS VII . 4028

Sardis , Epigraphica III و Leyden , 1970 no 36 .

وشرقيين ولقد كان خلفاء انطيوخس الرابع غير قادرين على منع اسرة المكابيين من الاستقلال.

وبالنسبة للأراضي التي كانت تحت حكم السليوقيين المباشر فقد إتبعوا على العموم النظام الفارسي بتقسيمها الى حوالي عشرين اقليما كبيرا احتفظت بالاسم القديم (سترايبات)، ولقد اتبعوا للإشراف على هذه الولايات نظام الطرق الملكية، ونظام البريد الذي كان أهم أدوات السيطرة الإخمينية والذي استمر يستخدمه الأسكندر الأكبر ثم أنتيوجنس الأول.

وعلى الجانب الآخر أدخل السليوقيون نظاما جديدا بأن قسموا كل اقليم الى ثلاثة أو أربعة من الأقسام الصغيرة التي تسمى Eparchies (وكان المدد الاجمالي لهذه الأقسام الصغيرة في مملكة السليوقيين هو ٧٢ قسما) وكان كل ايبارخي ينقسم الى عدد من الهيبارخيات Hyparchies كما لم ينفذ السليوقيون نظام الاخمينيين بتجميع الأقاليم الواقعة شرق الفرات في إقليم واحد بعاصمة اقليمية، كما اختلفوا عن النظام المالي الفارسي بسحب الاختصاصات المالية من الولاة والموظفين المحليين الآخرين وركزوها في جهاز مركزي مستقل. ويبدو أن دخل دولتهم فاق حتى دخل البطالمة، لأن السليوقيين وأن كان عطاءهم محدودا بالنسبة للفنانين والعلماء إلا أنهم كانوا مضطرين للاتفاق باستمرار على أمور الدفاع بسبب مشاكل حماية الحدود الطويلة للمملكة ووباء النزاعات الاسرية فضلا عن تكاليف مقاومة

الحركات الوطنية. وقد أدى هذا بالسليوقيين الى ضرورة ابقاء قوات كبيرة باستمرار جاهزة للقتال مع مايعنيه هذا من تكاليف لاحدود لها. لم يلجأ السليوقيون من أجل زيادة دخل دولتهم الى نظام احتكار الانتاج الذي اعتمدته البطالمة. لقد كانوا يحصلون على دخلهم من مصادر ثلاثة رئيسية :
 الاول نسبة من الدخل مفروضة على اراضي الملك. ومن السيطرة على المناجم التي كانت أهمها يقع في آسيا الصغرى وجبال طوروس. فضلا عن مبالغ محدودة كانت تدفعها المدن . وقد أدى هذا النظام المالي بالسليوقيين الى عدم ضرورة وجود هيئة موظفين ضخمة لجمع دخول الملك.

لقد أدخل السليوقيون تغييرات أخرى أهم من هذه التفصيلات على الادارة. لقد كان الملوك الاخمينيين قد سمحوا بتزايد نفوذ الكهنة لدرجة أنهم أصبحوا يكونون دولا داخل الدولة. مثل مدينة اورشليم وهناك سلطات معابد أخرى في سوريا وآسيا الصغرى مارست نفس السلطة وقد حاول السليوقيون أن يحدوا من هذه السلطات.

ولكن السمة الخاصة للسليوقيين كانت أهمية البلديات في داخل أملاكهم. فتحت الحكم الإخميني تركت بعض المدن الدول قائمة في فينيقيا مثلا ولكن دون تشجيع من الدولة على وجود مثل هذه المدن. ولكن منذ عصر الاسكندر الأكبر فإن المنطقة السليوقية أصبحت الميدان الرئيسي للاستيطان الأغريقي. وبالنسبة لبناء المدن فإن السليوقيين أنفسهم كانوا

روادا في هذا . لقد أنشأ سليوكس الأول مستوطنات في شمال سوريا وعلى طول الفرات الأوسط، حيث ظهرت مدن تحمل أسماء مقدونية مثل Chalcis , Edessa. الخ كانت مستوطنات للجنود المسرحيين. ولقد أكمل أنطيوخس الأول جهد الاسكندر في الأقاليم الشرقية بأن أنشأ مجموعة من المدن الاغريقية على شكل حدود الحصان في أطراف الهضبة الفارسية الخصيبة. كما قام أنطيوخس الثاني بتشديد قبضته على خطوط الاتصال في آسيا الصغرى بإنشاء سلاسل من المستوطنات، كما أعاد أنطيوخس الرابع تنظيم كثير من المدن القديمة في سوريا وبابل. ولكن السليوقيين لم يكونوا مجرد كبار بناء المدن بين الملوك الاغريق، فلقد كانوا أيضا أكثر الملوك إقرارا بحرية هذه المدن في تسير شئونها بنفسها.

وبالنسبة لتأليه الملوك فلقد كان السليوقيون بعيدين في نظريتهم عن الاتيجوريين في مقدونيا والاتاليين في برجاموم . ولقد كان أنطيوخس الثالث أول الملوك السليوقيين الذين يقومون نظاما لتقديس الملوك في المملكة.

٩- مصر البطالمة: الإدارة العامة:

أن تاريخ مصر في العصر البطلمي يختلف من حيث مصادره عن تاريخ البلاد الأخرى في العصر الهلينستي . فبينما علينا لكي نتبع

تطورات الحياة في تلك البلاد أن تتسقط الأخبار عند هذا الكاتب أو ذاك وقد نجد سنوات طويلة من تاريخ تلك البلاد دون أن نعثر على خبر واحد عن أحوالها . ولكن الأمر مختلف بالنسبة لمصر إذ حفظت أرضها (١) كميات هائلة من أوراق البردى أغلبها وثائق رسمية أو شبه رسمية وبالتأكيد أن هذه الوثائق البردية لا تغطي بنفس الدرجة كل الأقسام الجغرافية لمصر ولا كل الفترات الزمنية أيضا . فأغلب هذه الوثائق تعود إلى عصر بطلميوس الثاني وبتلميوس الثالث أو من القرن الثاني ق.م، بينما لا نجد أى إشارات واضحة فيها عن السنوات الأولى لقيام دولة البطلمة في مصر. كما نلاحظ أيضا أن أغلب هذه الوثائق قد اكتشفت في أقاليم مصر الريفية خصوصا الفيوم ولذلك فإنها تغطي اهتمامات موظفي تلك الأقاليم ولا تشير إلى السياسة العامة للدولة قسدا. ومع ذلك فهذه الوثائق تضم عدداً من المراسيم الملكية الهامة كما أنها تبين صورة عن العمل اليومي في جهاز الإدارة وهو الشيء الذي لا يملكه عن أى دولة إفريقية أخرى .

لقد كانت ظروف البطلمة في مصر أفضل من ظروف السليوقيين في سوريا . لقد حكم البطلمة وادي سهلى يضم سكانا متجانسين غير شرعيين أو محبين للقتال.

(١) زكى على ، البردى تراث مصرى أصيل ، القاهرة ١٩٨٥ .

وبالنسبة للإدارة العامة للبطالة فقد أبقى البطالة تقسيم مصر إلى نفس الأقاليم Nomes التي عرفت أثناء العصر الفرعوني. ويبدو أن عدد هذه الأقسام كان حوالي أربعين قسما. وكان يرأس كل إقليم Nome قائد استراتيجوس Strategos الذي كانت وظيفته الأولى حفظ النظام، لذلك وضع تحت رئاسته قوة من رجال الشرطة بما فيهم عدد من الشرطة المتخصصة لحراسة النهر والطرق الصحراوية، وبالطبع كان يستطيع أن يعتمد في حالة الضرورة على المستوطنين العسكر في إقليمه. وربما كان القاضي الرئيسي في حالات الجرائم. وكان له أن يكتب إلى يلاط الملك في الحالات التي يراها. هيئة معاوني الاستراتيجوس ضمت الـ Epistates الذي كان يبدو نائب القاضي، ورئيس البوليس Epistates Phulikon ومسجل كان يحمل اللقب الفرعوني الكاتب الملكي. وكان كل إقليم ينقسم إلى عدد من المراكز Topoi يحكم كل منها حاكم المركز توبارخو Toparchus وكان يحكم كل قرية من قرى التريوس حاكم القرية كومارخيس Komarches ولها كتبها وبوليسها. وفي القرن الثاني كان حاكم إقليم طيبه Epistrategos كان مكلفا بالإشراف العام على أرياف مصر العليا وإدارة العمليات العسكرية في ذلك الإقليم (١).

J. P. Mahaffy , Revenue Laws of Ptolemy philadelphus, (١)
(Oxford , 1896)

القضاء المدني في الإقليم كان مكلفا به نوعان من المحاكم
 Laocritae , Chrematistor وكانت الاولى محكمة فرعونية الاصل قضاتها
 من رجال الدين، الذين كانوا يفصلون في المشاكل بين الوطنيين. أما
 المحكمة الثانية فكانت محكمة متنقلة قضاتها ثلاثة أو أكثر يدورون من إقليم
 لإقليم وينظرون في القضايا التي تقع بين أطراف من الاغريق أو المتأخرين،
 وفي القرن الثالث كانت تنظر القضايا التي ينتمي أطرافها الى جنسيات
 مختلفة أمام محكمة مختلطة، ولكن بالوقت أصبح المدعى هو الذي يختار
 المحكمة التي يرفع قضيته أمامها في ضوء اللغة التي يجيدها ولقد كانت
 تقوم مرافعات في المحاكم العليا، ولكننا لانعرف شيئا عن تنظيم تلك
 المحاكم .

وفي مصر حيث يمثل النيل قيمة عظيمة في حياة الناس كان لابد
 أن يوجد من يتولى اموره، ولقد وجد من عصر البطالمة الميكورين موظف
 سام هو Architeton كان مكلفا بمتابعة نظام الري وكان ينفذ أوامره
 رسميون لهم نفس لقب وظيفته في كل إقليم.

١٠- مصر: الادارة المالية:

إن أكثر أدارات الدولة البطلمية إحكاما كانت وزارة المالية والمعروف
 أن مصر كانت لا تحقق الا عوائد قليلة للدولة . ولكن الزعماء الذين ثاروا
 على الفرس في منتصف القرن الرابع وتوجروا فراعنة نجحوا في الحصول

على مصادر جديدة للدخل، وكليومنيس الوزير المكلف بمالية مصر من الاسكندر الاكبر استطاع أن يحقق ثروة كبيرة، ومع ذلك فهذا الرجل لايقارن ببطلميوس الثاني. إذا اعتبر هذا الرجل أكبر رجال الأعمال في العصور القديمة فقد زاد مداخيله كما زاد من أملاكه لينزيد أيضا من مداخيله . على كل حال لقد طبق سياسة اقتصادية بالغة القسوة لكي يحصل على نصيب من كل حبة قمح أو نقطة زيت تنتجها مصر (١) .

ولقد كان البطالة أسعد حالا من السليوقيين إذ أن تكاليف الدفاع كانت أقل حيث كانوا أقل حاجة لوجود الجنود المستعدين للقتال. وإن كان الاسطول الذي كان أكبر الأساطيل الهلينستية وأكثرها حمولة يكلفهم أكثر، كما كانت تكاليف الإدارة في دولة البطالة أعلى منها في أي دولة أخرى لان اعداد العاملين فيها كانت كبيرة جدا . وأخيراً كانت دولة البطالة أكثر الدول الهلينستية اقبالا على احتضان النشاط الأدبي والفني وأنفقت الكثير على الدعاية في الميدان السياسي في بلاد الاغريق وبحر ايجة.

لقد نجح بطلميوس الثاني في إقامة نظام ادارى نجح في جمع ثروة هائلة، كانت في القرن الاول وبعد سنوات طويلة من البؤس يسيل لعاب السياسيين الرومان عليها . لقد ادخل أنواعا من الضرائب التي لم تعرفها

Austin, M., The Hellenistic World from Alexander to the (1)
Roman Conquest . texts 222 ff

كل الدول القديمة بل وبعض الدول الحديثة . ونعرف من أوراق البردى المصرية والأوستراكا (شقف الفخار) التي كانت تكتب عليها ايصالات السداد نعرف ٢١٨ نوعا من أنواع الضرائب بعض هذه الضرائب يعود للمصر الرومانى ولكن مع ذلك فاذا وضعنا فى الاعتبار وجود أنواع من الضرائب خلال العصر البطلمى لم نتعرف عليها. فأننا يمكن أن نقول أن أنواع الضرائب خلال العصر البطلمى كانت حوالى مائتى نوع .

إن أكبر مصدر اعتمد عليه البطالمة للحصول على الدخل كانت الأرض الزراعية . فلقد اعتبرت الأرض ملكا للملك بحق الفتح وقد أجر الملك هذه الأرض للفلاحين . وفيما عدا السماح بتخفيضات دائمة بالنسبة لبعض العسكريين وبعض الأفراد المحظوظين وبعض الاعفاءات خلال سنوات انخفاض فيضان النيل لمن أضررت الاراضى التى يزرعونها، كان النظام المعتاد هو الحصول على كمية محدودة من الحبوب على كل فدان محاصيل ونصيب من لنتاج ككل حديقة وكذلك من إنتاج الخمر ، ورسوم على حقوق الرعى وبالنسبة للصناعة كان يتم تحصيل الرسوم للحصول على تراخيص بممارسة عدد كبير من الصناعات والتجارة، وكانت الرسوم الجمركية تدفع عند حدود مصر وحدود كل إقليم من أقاليمها، وكانت هناك واجبات تدفع بالنسبة للمبور والتسويق وحتى الخدمات قليلة القيمة مثل تعبئة القمح المقدم كضرائب وكذلك استخدام السلال لنقله لم تكن تقدم مجانا . لقد كان الاغريق والكهنة يعفون من الضرائب فى ضوء عدم

خضوعهم للعمل بالسخرة . وربما تحمل الاسكندريون الأكثر غنى عبء تسليح السفن الحربية . إن هذه العوائد الضخمة التي كان البطالة يحصلون عليها من مصر يجب أن يضاف إليها المداخل التي يحصل البطالة عليها من أملاكهم الخارجية إن تقدير دخل بطليموس الثاني السنوى بـ ١٤٨٠٠ تالنت من النقود فقط ليس بعيدا عن الحقيقة رغم أنه مجرد تقدير .

إن جمع هذه الإيرادات البطلمية استدعت وجود جيش من الموظفين فأن أعمال الإحصاء التي تسبق تقدير أنواع الضرائب وجمع الضرائب والرسوم والإيجارات كلها كانت تحتاج إلى إشراف عديد من الموظفين . وكانت هذه الأعمال جميعا تتم في كل إقليم Nome تحت إشراف اثنين من أويكونوموس Oikonomos أحدهما كان مكلفا بالأموال والآخر بالضرائب العينية وكان كلاهما تحت إشراف Antigrapheos الذي كان توقيعه ضروريا على كل شئ وكان هناك اثنين من الموظفين المسؤولين عن التخزين Sitologos وكانت مسئوليته محددة بتخزين الانتاج العيني بينما كان Trapezites أمين الخزينة الملكية كان يتسلم الأموال . كل هؤلاء الموظفين كان يراقبهم المراقبون Epimelitae والمحاسبون Eklogistrai وكان يقف على رأس هذا النظام المالى Diocetes وزير المالية (١) .

(١) من واجبات Oikonomos راجع P . Tebt . 703

وفيما عدا وزير المالية فأننا لانعرف الكثير عن كبار الموظفين في الحكومة. لقد كانت الاتصالات بين الاسكندرية والمدن الكبرى في الدولة تتم عن طريق البريد وكانت تضم نوعين من الاتصالات السريمة وكانت تنقل على ظهور الخيل والبطينة وكانت تستخدم في نقلها الابل.

لم يكن النظام في الاملاك الخارجية بهذه الدقة. فأننا نعرف شيئا يدعى توبياس Tubias تركت له الحرية في اقليم العمونيين بل وكانت له سلطة على رجال الجيش المصرى الذين عاشوا في اقليمه^(١) وكانت برقه لها بعض الاستقلال في تسيير امورها تحت حاكم يدعى حاكم ليبيا Libyarch^(٢) وكان اتحاد الجزر في بحر ايجيه يشرف عليه نائباً عن الملك البطلمي النيزيارخ (وترجمتها الحرفية حاكم الجزيرة) وكانت سلطته سلطة مقيم ومستشار أكثر منها سلطة عسكرية^(٣).

ومع ذلك فهناك جوانب سلبية في الادارة البطلمية نرى مصادها في المصادر الباقية . فالبيروقراطية تضرب اطنابها في هذه الادارة. ويتضح ذلك في استخدام الموظفين القسوة ضد العمال والتي تصل الى حد وضمهم في السجون دون محاكمة فضلا عن كثرة الشكاوى المقدمة في حق الموظفين وتظهر عدم كفاءة هذه الادارة في كثرة الاجراءات المطلوبة فقد طلب من

(١) Josephus , Jewish Antiquities XII 168-186 .

SeglX 1 . (٢)

OGIS 43 . (٣)

شاب اغريقى مطلوب للجندية ٢٥ شهادة واجراء. وتظهر أيضا في عدم التوافق بين المحاكم التي سمحت بتأخير العدالة . ويظهر تعقيد الادارة البطلمية في تكليف أكثر من موظف واحد بالوظيفة الواحدة. وأخيرا هناك أدلة على رفض الوطنيين لمثالب الادارة فثاروا لفترات طويلة طوال القرن الثانى، وأضربوا عن العمل باللجوء الى المعابد ورفض زراعة أراضيهم الى أن تحل مشاكلهم.

٦- المدن الاغريقية والاتحادات الفيدرالية

المدن الاغريقية لدى العالم الهلينستي :

كانت المدينة هي المكان الطبيعي للحفاظ على الشخصية الاغريقية في العالم الهلينستي، باستثناء مصر التي لم تعرف من المدن الاغريقية سوى ثلاث مدن هي الاسكندرية ونقراطيس وبطوليميس، وعاش الاغريق في قرى الريف المصري تجمعهم جمعيات Politeumata اتخذت من الجيمينازيا مقارا لها.

لقد اختار الاسكندر الأكبر نظام المدينة الدولة Polis لكي يكون الدعامة الرئيسية لتحقيق سيطرته على اقاليم واسعة من الامبراطورية الفارسية التي استولى عليها حديثا. ويقال ان الاسكندر انشا سبعين مدينة وتبعه خلفاؤه في هذا الاتجاه ، فمثلا قام سليوكس الاول بانشاء ست عشرة مدينة تحمل اسم انطاكية وتسع مدن تحمل اسم سليوكيا وست مدن تحمل اسم لوديكييا وثلاث تحمل اسم لباميا ومدينة واحدة باسم ستراتونيكايا Stratoniceia وقد راعى سليوكس الاول تسمية هذه المدن باسم أبيه واسمه الشخصي وأسماء زوجاته على التوالي.

وعلى العموم قامت للمدن الاغريقية مؤسسات ديموقراطية ، وكان لهذه المدن خلال الفترة الهلينستية على الأقل من الناحية الرسمية حكومات

على النظام الاتيني. لقد كان لهذه المدن مجالها الزراعي وجمعياتها، وكان لها موظفين ينتخبهم السكان بالاضافة الى عدد من الوظائف المستحدثة. وقد استمرت المدن تحدد فترة لشغل الوظائف يتم بعدها تغيير شاغليها وأن اختلف طول هذه الفترة من مكان الى مكان. كانت الفترة لمدة عام في كتيديوس مثلاً. وفيما عدا بعض الاستثناءات لم تقتصر حقوق المواطنة الاغريقية - خلال العصر الهلينستي على الاوليجاركية القديمة، ورغم أن حق المواطنة ظل يمنح لكل من يثبت نسبه الى ابرين اغريقين، فإن كثيراً من غير الاغريق مارسوا هذه الحقوق من خلال الزواج باغريق أو بطرق أخرى.

كان التميز في المكانة السياسية بين سكان المدن يقوم بصفة رئيسية على أساس الثروة، وبمرور الزمن كانت الصيغة الديمقراطية للمدن تفقد قوتها تدريجياً. لقد كان المجلس يتكون من اعضاء ينتمون الى الطبقتين الوسطى والغنية، كما أنحصر تعيين الموظفين الكبار في الطبقة الغنية حيث ساهمت المبالغ التي كان يدفعها الموظفون عند الالتحاق بالخدمة في حل مشاكل المدينة المالية. وهكذا اختلف الوضع عما كان عليه اثناء العصر الكلاسيكي عندما كان المواطن يثاب من خزينة الدولة على القيام بالخدمة العامة.

ومع حلول القرن الثاني ق م كانت الديمقراطية قد ماتت من الناحية العملية، وأصبح تشكيل المجلس يتم على النسق الروماني في

تشكيل مجلس الشيوخ، المعروف أن القناصل كانوا يختارون أعضائه ثم أصبح هذا من واجبات الكنصور Censor منذ عام ٤٤٢ ق م .

ومن الناحية الاقتصادية، لم تكن المدن تملك دخولا سنوية كبيرة وعلى الرغم من أن هذه الدخول كانت كافية للقيام بالخدمات الرئيسية في المدن وهي خدمات متعددة كامدادات الطعام وكانت المدن تحصل عليها عادة من الأراضي الزراعية الخاصة بها، وكانت الصناعة محدودة في الغالب بإنتاج البضائع الرئيسية للاستهلاك المحلي. أما الواردات فكانت تضم بضائع الترف للأغنياء وأنواعا من الطعام في أوقات الحاجة فضلا عن المواد الخام مثل المعادن والأحجار والأخشاب وكان ثراء المواطن في المدينة يقدر بمساحة ما يملكه من أراضى رغم أن بعض التجار والمهنيين كعلماء البلاغة والأطباء والرياضيين والمعماريين كانوا يحوزون ثروات طائلة في بعض الأحيان .

أن قدرة المدن على البقاء طويلا والانفاق على الأعياد وإقامة المباني العامة وصيانتها وامدادات الطعام والماء فضلا عما كانت تنفقه هذه المدن على التعليم والصحة ووسائل التسلية. كل هذا يدعونا الى القول بأن المدن كانت تحصل على إيرادات لأبسط بها كضرائب فضلا عن مساهمات الأثرياء بفاعلية في دعم مدنها بتقديم الهبات وإقامة الأعياد والبقاء على المباني العامة القائمة وإقامة المزيد منها... الخ .

وتبعاً للظروف التي سادت العالم الهلينستي تغيرت صورة العلاقات

بين المدن الاغريقية القديمة بصورة واضحة على الرغم من أن المدن نفسها بقيت كما كانت . فنلاحظ أن الوسيلة المتبعة لحل الصراعات المحلية هي التحكيم، وكان حق اللجوء السياسى يراعى بدقه كأحد آثار عصر استقلال المدن . وحاول الملوك اكتساب الجماهير بمنح هذا الحق لمدن معينة ومعابد بعينها، ونلاحظ أيضا أثر الطوفان السياسى الذى كان يحيط بكل شئ فى العالم الهلينستى أقول نلاحظ أثر هذا الطوفان فى تضائل حجم الصراع بين المدن فوجدنا مدنا توافق على تحرير مواطنى مدن أخرى سقطوا فى رقها بالحرب أو بالشراء . وظهر ازدواج المواطنة كما حدث بين مواطنى أثينا ومواطنى بين Priene وبين مواطنى أثينا ومواطنى رودس . وبقيت الأعياد فرصة للاتصال بين المدن بل استجذبت أعياد خلال العصر الهلينستى . واتسع نطاق استخدام اللجان القضائية من بعض المدن لحل الخلافات الداخلية فى مدينة ما .

الاتحادات الفيدرالية:

كان ظهور الاتحادات الفيدرالية فى بلاد الاغريق القارية واحدا من أهم التطورات أهمية ووضوحا خلال ذلك العصر. لقد كان المناخ العام مهيئ لظهور هذه الاتحادات منذ زمن طويل قبل أن تصبح (هذه الاتحادات) ذات كيان سياسى قوى فى القرن الثالث ق م فالتجمع الدينى القديم الأمفكتيونى الذى ضم عددا من الدول ارتبطت فى اتحاد بفرض العبادة

فى معبد مشترك كان صورة مبكرة من هذه الاتحادات . كانت اشهر هذه الامفكتيونات فى دلفى وديلوس . وكان غرض هذه التجمعات التى ضمت المدن الكبرى فى بلاد اليونان هو الحفاظ على العبادات والمعابد والى حد ما ارساء قواعد معينة فى التعامل بين أعضاء الامفكتيونى، وخلال الاعياد كانت تعلن الهدنة وينظر الى المعبد نفسه كملجأ، وكان القسم الذى يؤديه أعضاء امفكتيونى دلفى يضم العبارات التالية:

... أن لايدمر أى مدينة عضو فى الامفكتيونى، أو أن يميتهها جوعاً، أو أن يقطع مياهها الجارية، سواء فى الحرب أو فى السلم، وإذا خالف أى عضو هذه القواعد، فإنه يقف ضده وأن يدعو المدن (الأخرى) لذلك، وإذا سرق أى فرد ممتلكات الاله أو اذا علم بمثل هذه السرقة أو علم بأى تخطيط ضد المعبد، أن يأخذ الثار له باليد والقدم وباللسان وكل مايملك من قوة " .

وعلى الرغم من أن هذه المنظمات قد جمعت مدناً متفرقة فى اطار دينى إلا أنها لم تصل الى حد كسر استقلال أى من هذه المدن وإقامة بذور حقوق مواطنة مشتركة بينها .

وبالمثل فإن المنظمات الأخرى التى قامت خلال العصر الكلاسيكى كالأحلاف الامبراطورية فى اسبرطة واثينا لم تصنع أكثر من وحدة ظاهرية وكانت كل دولة تحرس حقوق المواطنة فيها وتدافع عنها بمنتهى اليقظة . والطريف أن التطور الجديد فى السعى نحو إقامة اتحادات فيدرالية

حقيقية لم تظهر في أكثر أجزاء بلاد الاغريق تقديما وإنما ظهرت في أكثر الأقاليم تطرفا حيث كان المجتمع قبليا ومتخلفا وحيث لم تكن المدينة الدولة قد أصبحت النظام الدستوري السائد.

كانت أهم هذه الاتحادات : العصبة الايتولية التي تقع في غرب ووسط بلاد الاغريق . وقد تكونت هذه العصبة في القرن الرابع على أنقاض منظمة قبلية مفككة . نص دستور هذه العصبة على وجود مجلس اتحادي بالتمثيل النسبي للقرى والمدن، وهناك جمعية شعبية مفتوحة لكل المواطنين، وكانت تجتمع مرتين في العام (١).

وهناك اتحاد فيدرالى آخر قام في شمال شبه جزيرة البيلوبونيز هو العصبة الآخية. وقد ظهرت هذه العصبة كقوة متميزة في القرن الرابع وضمت في أحد الاوقات مالايقل عن ستين مدينة وقرية وكما كان الحال بالنسبة للعصبة الايتولية كانت هناك جمعية شعبية تعقد اجتماعات غير دورية ولكن يصبح الاجتماع حتما عندما بحث شئون الحرب والسلام والتحالف . وكان التصويت يتم بالمدن التي من المحتمل أنه كان لكل منهما عدد من الأصوات ويتم داخل كل مدينة تقرير الراى الذى على

(١) من نشأة العصبة الايتولية راجع Larsen, Greek Federal States Oxford, 1968 وعن دستور هذه العصبة راجع: Polyb. XX.9-10 وعن علاقاتها بالاسكندر راجع: Diod. XVIII. 8 وعن علاقاتها بالعصبة الآخية راجع: Polyb II 37 وعن علاقاتها بروما راجع: Livy XXVI 24 وعن علاقاتها بأنطيوخس الثالث راجع: Polyb XVIII & XX-XXI وعن علاقاتها بيرسوس راجع: Syll. 3.643

مندوبيها في المجلس الاتحادي أن يعملوه . وكان هناك مجلس آخر لا تعرف على وجه الدقة دوره أو تشكيله (١).

على كل حال نظمت هذه الاتحادات الفيدرالية أسلوب ممارسة مواطنيها لحقوقهم السياسية داخل حدود الاتحاد، فكان لهم في هذا الإطار أن يتحركوا في حرية ويحوزوا ملكيات شخصية ويتزوجوا ممن يرغبون. أما المشاكل الداخلية فقد تركت لكل دولة لكي تحلها بمعرفتها ولكن العلاقات الخارجية والأمور الحربية فكانت مسئولية حكومة الاتحاد سواء من خلال الجمعية الشعبية للاتحاد أو المجلس الاتحادي . وكان ينظر إلى الخدمة العسكرية في جيش الاتحاد نفس النظرة للخدمة في جيش كل دولة على حدة . وكانت الضرائب تدفع لكل من الحكومة الاتحادية والمدينة الأم .

ولعل أهم إنجازات هذه الاتحادات أنها استطاعت أن تقاوم الملوك ومغامرو المصير الهلينستي بينما سقطت المدن الاغريقية العريقة مثل أثينا فريسة سهلة في أيديهم . لقد حافظت هذه الاتحادات على شيء من الحكم الذاتي للمدينة مع تمتعها بمميزات الحكومة الاتحادية ومع ذلك فلم تساهم هذه الاتحادات لم يكن واضحاً في غير ميادين السياسة والحرب ، وكان

(١) لما عن العصبة الآخية فإن ماكتبه بوليبيوس يعتبر مصدرنا الرئيسي حيث كان من مدينة عثر في هذه العصبة كما كان أحد رسل العصبة إلى روما في إحدى المفاوضات. ويمكننا أن نراجع عن تاريخ العصبة ودستورها وحكومتها. Ployb . II . 37 & XIII . 51 . 12 & XLII . 6 & Livy XXIX . ونعرف عن إنظام أعضاء لها من Livy XXXVIII, 34 . Plutarch , Cleomenes , 16 . Pausanias III , 16 فضلًا عن بوليبيوس، أما عن حربها ضد الرومان فراجع:

وقوع هذه الاتحادات مادة في صراعات روما القوة الصاعدة في الغرب وممالك الشرق الهلينستي سببا في سقوط هذه الاتحادات قبل أن تقدم أنجازات ثقافية وإسهامات حضارية متميزة، وأن كان لا يجب أن ننسى أن بوليبيوس أعظم مؤرخي العصر الهلينستي كان من العصابة الأخيصة.

٧ - الحياة الاقتصادية في العصر الهلنستي

أولاً: الزراعة:

لقد زادت معلومات الاغريق عن النباتات بعد فتوح الاسكندر ، وقد ظهر اثر ذلك في اعمال Theophrastus عالم النبات (١) . ويمكننا ان نقول ان ملوك برجاموم هم اهم من احتضن جهود دراسات النباتات . ولكن الخبرة العملية كانت مصر اهم حقولها . ولقد أثبت البطالة الاول والثاني أنهم اهم من استغل الأرض في تاريخ الاغريق . بالاضافة الى حفر الترع وتطهير القنوات فقد اهتم البطالة باصلاح الأقاليم التي أهملت خلال حكم الفرس . ولقد كان اهم انجازاتهم هو اصلاح الاراضي في الفيوم التي أصبحت اهم مناطق الاستيطان الاغريقي وقامت مئات من القرى التي يحل محل اكثر من نصفها. أسماء اغريقية . لقد اتم البطالة الاول تجفيف نصف بحيرة موريس (قارون) تقريبا، وتشير البرديات الى مدى الجهد الذي بذل من اجل اتمام ذلك فهذا ابن كليون كبير مهندسى الري في الفيوم يرجو أباه ان يعمل ما فى وسعه لقضاء أجازته معهم فى الاسكندرية (برديه تعود الى عام ٢٥٥ ق م).

(١) تيوفراستوس ٢٧٢-٢٨٧ ق. م كان تلميذا لارسطو تزعم مدرسة المشائين من بعده. وقد ألف فى موضوعات متعددة وأن برع فى النبات.

كانت الدولة تدفع بهذه الأراضي المستصلحة الى الفلاحين لكي يقوموا بزراعتها بضرائب قليلة التي ان تتحسن حالتها، كما كانت تعفى الأراضي التي تضار بزيادة أو نقصان الماء أو تتعرض لاي اضرار من الضرائب المفروضة عليها لمدة ترى انها تتناسب مع الاضرار فضلا عن أن الدولة كانت تسمح بتملك من يقوم باصلاح أراضي لهذه الأراضي بعد أن ينجح من تحريكها من أرض بور الى أرض تزرع أفضل المحاصيل.

كانت الدولة تشجع زراعة محاصيل معينة بأن تمنحها إعفاءات ضريبية مثل الكروم والورد والخضروات والفاكهة . فضلا عن الحبوب التي كان المصربون خبراء فيها من أزمان سحيقة . كما أدخلت الدولة أنواعا من النباتات الجديدة . مثل تين خيوس وليديا ورمال بدون بذور ومشمش يشمر مرتين في العام وعنب أسود من كيليكيا وكرنب من ردوس كما نعرف نباتات البرسيم والبسلة والحمص والترمس.

لجأت الادارة البطلمية الى السخرة في أعمال الحصاد وأقامة الجسور وشق القنوات وحفر المصارف . وأن كان المؤكد أن هذا العمل الاجباري فرض على ضعفاء المصريين فقط . ونعرف من إحدى الوثائق أنه كان يعفى من السخرة من كان يتمتع بهذا الاعفاء كحق قديم والعاملون بالاسطول وصيد الفيلة وبعض طوائف الشرطة والمشرافون على الدخل الملكي والجنود الاغريق وبعض العاملين بالتحنيط والشيخ والمرضى . وقد زاد من سوء هذا النظام أن بعض الاداريين استغلوه لمصالحهم الخاصة

بتشغيل المسخرين في أعمال خاصة بهم . وقد نهى بطلميوس الثامن عن ذلك في عام ١١٨ ق م وهو دليل على تفشى هذا الداء .
وقد اهتم البطالمة بالمراعى لكى يوفرى العلف لخيولهم ويوفروا الصوف لمصانع النسيج . ومن ثم زادت الاراضى التى زرعت بأعشاب الرعى وتم استيراد قطعان من الأغنام من ملىتوس لهذا الغرض .
أما فى الممالك السليوقية والأتلية (برجاموم) فقد بقيت الزراعة فى أيدي الوطنيين . ولكن أينما ذهب المستوطنون الأفريق اخذوا العنب معهم من أجل صناعة الخمر حتى أنها أصبحت صناعة مزدهرة فى فارس . ازدهرت زراعة الكروم والزيتون فى المراكز القديمة فى المنطقة الايجية . وهكذا ظلت خمور ثاسوس وكينيدوس وكوس ورودى بدون منافس وكذلك زيت الزيتون من الساحل الغربى لآسيا الصغرى . ولقد أدى جمال النوعية الى اختراق الحواجز الجمركية فى مصر، وقد وجدت هذه المنتجات طريقها حتى الى بلاط الممالك الهندية . أما الأنواع الأقل فكانت تباع فى أسواق البلقان (١) .

شادها : الصناعة :

لقد سارت الصناعة فى طريقها بأسلوبها القديم . وأفضل الاختراعات التى عرفت فى ذلك العصر هى لولب أخميديس (الطنبورا)

والتي ساعدت على رفع المياه من المناجم . لقد كان أفضل منتجات الحرف الاغريقية هي اعمال السيزاميك وأن كانت تنافسها جزئيا الزجاج وأطباق الفضة . ولقد ظهر أيضا سوق كبير للنسيج من الأصناف الراقية صحيح استمر الصوف هو مادة اللبس الرئيسية، ولكن أصبح هناك عشاق للحريز، وقامت صناعة جديدة للنسيج في كوس تعتمد على الحريز الطبيعي البري من آسيا الصغرى . أن اتساع مجال التعليم ووعاء القراءة أدت الى زيادة إنتاج البردي والكتب . كما تزايدت صناعات البناء واستغلال المحاجر مع زيادة الاستيطان الاغريقي واتساع مداه .

وبينما لم تتعرض مواد الصناعة لتغيير كبير فقد حدث تغيير كبير في مراكز الصناعة ففي بلاد الاغريق القارية بقيت أثينا هي المركز الرئيسي لصناعات السيزاميك حتى حوالي ٢٥٠، ولكن القليل سمع خلال الفترة الهلنستية عن الإنتاج الكورنثي في البرونز . وبين الاغريق في ايطاليا فقد كان أهل تارتوم أصحاب السمعة في إنتاج أفضل المنسوجات ، كما أنتجوا أنواع الفخار الجيد الذي كان قد توقف إنتاجه في منطقتهم وبين المدن الاقدم ظلت ميليتوس مشهورة بالشباب الجيدة ولكن ظهرت مراكز جديدة لصناعة النسيج في بروجاموم، التي اهتم ملوكها بتلك الصناعة وكذلك في Laodicia التي تقع بالقرب من المدن القريبة، المركز الرئيسي للمادة الخام . ولكن كانت الاسكندرية أكثر المدن الصناعية حركة وإنتاجا، حيث كانت حسي العمل قد لحقت بالناس، وبالإضافة الى صناعة الورق التي

كانت مصر بحكم الطبيعة هي المحتكر لها . فقد تطورت الصناعات المصرية القديمة كصب وقطع الزجاج وتلوين الزجاج ولقد أصبحت المركز الرئيسى لفن صناعة الفضة . بينما كانت المصنوعات الحرفية قد أنتشرت فى قرى مصر وصدرت حتى البحر الأسود . لقد كان الزجاج والفضة لهما مركز مهم آخر فى سوريا . وهكذا كانت إحدى مميزات العصر الهلينستى هو امتداد صناعات اغريقية الى عواصم الهلال الخصيب.

أن اثر الانتصار المقدونى على الصناعات الشرقية يمكن دراسته بصورة جيدة فى المثل المصرى . هنا كان يوجد نظام متكامل من الصناعات الريفية والصناع المهرة والنظم الدقيقة بالاضافة الى ذلك هناك نوعيات من الصناعات، على وجه الخصوص نسيج الكتان التى كانت تتم تحت رعاية المعابد . أن الهجرة الاغريقية لم تحدث إلا تغيرا طفيفا على نظريات الصناعة الوطنية. ومن الجدير بالذكر أن العمال الوطنيين الذين كانوا سادة صفارا أو عمالا أحرارا . لم يتم استبدالهم بعمال من العبيد تحت الادارة الاغريقية. صحيح أن أبولونيوس (وزير مالية بطلميوس الثانى) افتتح مصنعا فى ممفيس يعمل به عمال غير أحرار أحضروا من سوريا، ولكن فى اليوم كان نفس الرجل يعطى صناعة الصوف الى المصريين الأحرار بالانتاج (بالقطعة) ولايمكن أن نؤكد أن تجربته فى عمالة العبيد عاشت طويلا.

أن الصناعات الوطنية فى مصر لم تتضرر بمنافسة أصحاب رؤوس

الأموال الاغريق، لقد وضعت هذه الصناعات تحت الادارة الدقيقة للدولة . وكثير من الصناعات المصرية تحولت الى احتكارات للدولة، حيث كان يجب على كل الصناع أن يحصلوا على تصريح خاص، بينما كان على البعض (عمال صناعة الصوف مثلا) كانوا مطالبين بالحصول على اذن بدخول الصوف الى الدولة أنتاج الزيت كان ممنوعا كليا فيما عدا مصانع الحكومة حيث ربط العمال الى صناعاتهم كعبيد ووضعوا تحت نظام اشراف قاسى . نفس النظام كان منفذا في المحاجر والمناجم، كان على العمال أن يبقوا في مراكزهم لفترات محددة، وفي مناجم الذهب فى النوبة كان الرجال والناس من كل الاعمال يوضعون فى السلاسل معا ويظلون فى اعمالهم الى أن يموتوا . ولكن لايمكن الخروج من هذه الوضعية بأى تصور عن حالة العمال حيث كان العاملون من أسرى الحرب.

إن الخبرة البطلمية فى اقامه المصانع برأس مال حكومى تم تقليدها فى بروجاموم، حيث صنع الاتليون النسيج الرافى بعمال من عبيد الدولة وربما أيضا فان صناعة (الرق) التى أقاموها لكسر الاحتكار المصرى لصناعة البردى تعتبر دليلا على التدخل . لقد قدم العالم الهلينستى أيضا عدة أمثلة عن ملكية البلديات لصناعاتها . فمدينة ميليتوس مثلا كانت ورش النسيج فيها وعمالها من العبيد . رودس وكينيدوس أنتجت فى مصانع المدينة النجار التى احتاجها تجارهم فى تجارتهم المتسعة للخمر . وحتى اسبرطة اشتركت هى الأخرى لأن القرميد الذى استخدمه الطاغية Nabis

لتقوية المدينة ثم في مصنع عام.

ثالثا : الخاتمة :

لم تشهد المواصلات البرية تطورات كبيرة خلال العصر الهلينستي فقد ظلت الطرق الممهدة في بلاد الاغريق نادرة (١) كما كانت دائما وفي آسيا فان السليوقيين والأتاليين استغلوا طرق الامبراطورية الفارسية القديمة (٢) وفي مصر جهز البطالمة الدروب الصحراوية بين النيل والبحر الاحمر بأقامة استراحات تتوفر فيها المياه ورجال الأمن بل وشكلوا قوات خاصة لتأمين القوافل، كما كان لديهم خبراء في النقل بالابل ومع ذلك يجب الاعتراف بأن الحركة على الطرق البرية والتسهيلات التي عرفها العصر الهلينستي لا يمكن مقارنتها بما وصلت اليه على أيام الرومان .

ومن ناحية ثانية اهتمت الحكومات الهلينستية بالموانئ فالاسكندرية مثلا كانت نقطة لقاء بين التجار والنهرية والبحرية . فقام ميناء نهري على البحيرة (مريوط) ثم حفرت قناة بين البحيرة والبحر المتوسط وأقيمت

(١) عن وصف البلاد الاغريق وطرقها خلال القرن الثالث ق م راجع: Heraclides Creticus (?) Ced . F . Pfister , Die reisebilder des Heracleides (Vienna , 1951.)

(٢) . . . وبالنسبة للطرق في اقليم (المدينة) فالطرق الرئيسية لن يقل عرضها عن ٢٠ كويت (Cubit) (حوالي تسعة أمتار) (والطرق) الأخرى لن تقل عن ثمانية (أكثر من ثلاثة أمتار ونصف بقليل) ، إلا إذا كان بعض الناس يستخدمون المذقات للاتصال بجيرانهم . . . Austin . . , OP . Cit NO 216 LL 20-30 .

التسهيلات للقائمة على الجانبين وأقام Sostratus مهندس بطلميوس الاول
 فنار الاسكندرية المشهور وهو برج عظيم يقال أن ضوءه كان يظهر للسفن
 على بعد ثلاثين ميلا وعلى الرغم من أن أسوار الاسكندرية كانت بغير
 منافس في البحر المتوسط القديم، ماعدا في أوستيا أيام الأباطرة الرومان،
 فإنها قد قلدت بأحجام أصغر في كثير من الموانئ الاغريقية الأخرى.

شهد العصر الهلينستي أيضا زيادة حمولات سفن البضائع حتى
 أصبحت حمولة ١٠,٠٠٠ تالنت وزن (أي ٢٥٠ طن) للسفينة حمولة عادية .
 هذا بالإضافة الى توفر تقارير موثوقة بها معلومات عن الموانئ كذلك التقرير
 الذي كتبه ثيموستكليس . وبالرغم من أن ظروف الملاحة على العصر
 الهلينستي صارت أفضل فقد ظل الاغريق لا يبحرون في الشتاء ولكنهم في
 الصيف كانوا يقومون بمغامرات يطرقون سبلا غير معروفة من قبل .

وبالتصارع الاغريق على مصر وميزوبوتاميا أصبحوا يتحكمون في
 مركزين هامين للملاحة النهرية . وفي ميزوبوتاميا لم يتم السليوقيين مشروع
 الاسكندر بإنشاء ميناء على الفرات في بابل لكنهم أنشأوا ميناء نهريا
 كبيرا في سليوكيا على نهر دجلة وكان يصل اليها حتى الهنود . وفي
 مصر وجد البطالمة نظاما قائما للملاحة النهرية، وقد استمرت حركة الملاحة
 في النيل على أيامهم في أيد وطنية . ولكن حركة المرور على صفحة النهر
 زادت . لقد جمعت أغلب إنتاج مصر، فضلا عما جاءت به القوافل من
 البحر الأحمر في طريقها الى الاسكندرية لإعادة تصديرها . قدم الملوك

البطالة الأساطيل التي احتاجتها زيادة حركة الملاحة النهرية وأجروا هذه السفن لمن يستغلها من الوطنيين .

وفي الغرب استمر احتكار قرطاج للتجارة البحرية، ولكن بعد عام ٢٠٠ ق م حلت مدينة نصف ايطالية Puteoli محل تارثوم وسيراكوز كاهم مركز للتجارة الشرقية مع ايطاليا . وحلت ديلوس محل أثينا كاهم مركز تجارى فى المنطقة الايجية، وأصبحت المركز الهام لتجارة القمح وبقيت التجارة الاغريقية على البحر الأسود قائمة فى القرن الثالث وفيما عدا منافسة القمح المصرى فإن القمح القادم من مناطق شمال البحر الأسود (روسيا الحالية) كان مايزال يجد أسواقا جيدة فى الأراضى الايجية الى أن اضيرت اراضى القمح بالهجمات من الداخل . أما افسوس فقد اكتسبت أهمية كنقطة النهاية للطريق البرى القادم من قارة آسيا وأصبحت رودس مركز التجارة البحرية من منطقة الهلال الخصيب فى المنطقة الايجية والبحر الأسود وصقلية.

وتعود أهمية الاسكندرية الى أنها مكان تصدر فائض انتاج مصر كما كانت نقطة اللقاء بين البحر المتوسط والتجارة الشرقية، وعلى الساحل السوري كانت صور و صيدا وعلى الرغم من أنهما كانتا هامشيتين بالنسبة للاسكندرية، لكنهما قامتا بدور بالنسبة للتجارة البرية العربية والهندية أما التطور التجارى لانطيوخ فقد توقف فى القرن الثالث بسبب سقوط ميناءها سليوكيا فى أيدي البطالة، ولكنها أخذت دورها الطبيعى فى القرن الثانى

كنقطة النهاية في التجارة بين ميزوبوتايا ومنطقة بحر ايجة أما سليوقيا على نهر دجلة قد أصبحت مركز التقاء تجارة الخليج . أصبحت على أيام الرومان المحطة الرئيسية بالنسبة للطرق البرية لاتصال القارات الى الهند والصين. ولكن لعل هذه الطرق لم تكن قائمة على العصر الهلينستي . لقد أدى تدمير كورثا في عام ١٤٦ ق م الى انتهاء مركز هام قديم للتجارة الاغريقية . وقد أصبحت ديلوس في القرن الثاني مركزا للتجارة من فلسطين وحتى من بلاد العرب ونقطة تجميع تجارة العبيد لاطاليا.

٨- السحرة

(١) المعبودات :

واجه الاغريق بعد أن انتشروا في العالم في أعقاب حملة الاسكندر واجهوا صعوبة شديدة بالنسبة لمعبوداتهم فقد كان من الصعب على آلهة الاغريق أن تترك بلادها الأصلية وأن تسير في أعقاب عبادها شرقا ارتبطت هذه الآلهة منذ أزمان سحيقة بأماكن ومدن معينة فالإلهة أثينا مثلا ارتبطت بالمدينة أثينا وارتبط أبوللو بدلفي وافروديتي بكورنثا.

ولقد تمرد الناس في بلاد الاغريق على النظر إلى الآلهة الاوليمبية على أنها معبوداتهم الشخصية الحامية لهم وتمردوا أيضا على أن الآخرين يعترفون لهم بهذا فاثينا رغم أنها كانت تعبد في أماكن متعددة إلا أنها ارتبطت بالمدينة التي استعارت اسمها ، لقد قامت هذه الآلهة بأعمال خاصة لأثينا (المدينة) وخصص الاثينيون من أجلها هي فقط معبد البارثينون كما خصصوا الأعياد على شرفها (١).

لقد كانت هذه الآلهة حاضرة مع الاثينيين عند نشأة المدينة وكانت معهم (خلال كل محاولتهم وانتصاراتهم ولم يكن هناك طريق لزرع مثل هذا الارتباط بأثينا في مكان آخر).

(١) لوزي مكاري ، المرجع السابق

صحيح كان الاثينيون المهاجرون اذا رغبوا فى عبادتها كان فى مقدورهم أن يقوموا بذلك ولكن لم تكن هناك فى المهاجر معابد اقيمت على شرفها هى فقط ولا احتفالات اقيمت لها على مدار السنة لكى تذكر الناس بالإهتمام، بالاضافه الى ذلك فإن المدن الجديدة فى الشرق ازدحمت بمهاجرين من مختلف العالم الهلينستى جاء كل منهم ومعه إلهه المختلف فلم يعد هناك مجتمع بسيط متجانس يعتقد كما كان الاثينيون يعتقدون بأن زيوس وأبوللو كانا من اسلافهم المقدسين وأن الإلهة أثينا كانت إلهتهم . لقد كانوا قادرين على عبادتها كما قلنا ولكن من خلال جمعيات دينية خاصة يؤمن أعضائها بوجوب إقامة المعابد لها وليس لآى اله أو إلهة أخرى مثل هذه الجمعيات كان الانضمام اليها اختيارى وشخصى كلية وعلى عكس الحال فى مدينة أثينا التى كانت عبادة الإلهة أثينا جزءاً رئيسياً من حياة المدينة فيها والتى يربط بها كل واحد هناك.

وفى المدن الجديدة - ونظراً لان مثل هذه العبادة كانت امراً قائماً على الرغبة الشخصية - فقد أصبحت الجمعيات التى كونت للاهتمام بهذه العبادة واحدة من أهم المعالم الرئيسية للعالم الهلينستى وواحدة من أهم المتغيرات الجذرية تطرفاً.

وفى العالم الجديد الواسع متعدد الخصائص المتباينة تماماً للنظام الذى اعتاده فى القديم الذى كان يتميز بصفره ومحدوديته . فى هذا العالم الواسع تشتت الاغريق فى مصر مثلاً حيث لم يسمح البطالة ببناء أى

مدن اغريقية غير المدن الثلاثة الكبيرة. عاش الاغريق مشتتين في مستعمرات في الريف وبالضرورة دخلوا في اتصال وثيق مع الوطنيين وعلى الرغم من أن السليوقيين شجعوا بناء المدن في ممالكهم وبالتالي مكنوا المهاجرين من التجمع فإن المدن الجديدة أقيمت بكثرة بالقرب من أو على نفس الموقع الخاص بقرى ومدن شرقية قديمة فمثلا سليوكيا على نهر دجلة أقيمت بالقرب من أوبيس Opies وهي قرية وطنية قديمة كما أن مؤسسها سليوقس الاول نقل اليها عددا كبيرا من سكان مدينة بابل القديمة وانطيوخ نفسها أقيمت فوق موقع مدينة قديمة (١).

وهكذا كان هناك اختلاط قوى بين العنصرين الاغريقي والوطني وسواء شاء الاغريق أو لم يشاءوا فقد كان من الضروري عليهم أن يهتموا بالالهة الذي سكنوا في ظل رعايتها.

كانت هناك عدة طرق للاغريق يجب اتباعها لتقديم واجبات الاحترام والتقديس للالهة الحقيقيه لهم فالبعض يقدمون احتراماتهم من خلال الكهنوت الرسمي القائم؛ على سبيل المثال أن يقدموا القرابين أو الصلوات على شرفهم أو كان يمكنهم أن يربطوا الالهة الشرقية بالاغريق كما كانوا يفعلون لقرون سابقة ثم يبدون الالهة الاغريقية نفسها في صورتها الشرقية

(١) أسسها سليوقي الأول عام ٣١٢ ق م . أصبحت مركزاً كبيراً للتجارة بين الشرق والغرب. أبقي عليها البارثيون بعد فتحهم لبابل . تعرضت للتخريب مرتين أثناء العصر الرومان وكانت المرة الأخيرة في عام ١٦٤ حيث دمرت تماماً .

وهكذا أصبح تحوت المصرى هرميس وعشتروت السورية افروديتى Aphrodite وكل الهة العواصف والسماء ، أصبحت زيوس Zeus وفى بعض الأحيان قامت جسور بين العواصف الاغريقية والشرقية عندما تعلم أن بعض الكهنة تعلموا اللغة الاغريقية وحاولوا الاتصال مع غراتهم المنتصرين وهكذا نرى الكاهن البابلى بيروسوس Berossus والكاهن المصرى مانيتون يقومان بترجمة وتفسير النصوص الدينية المصرية والبابلية باللغة الاغريقية كما نجد سلسلة من المدافعين عن اليهود يبدأون بديمتريوس فى القرن الثالث ق. م حتى يوسف فى القرن الاول الميلادى يحاولون أن يوضحوا العقائد اليهودية، ويدافعون عنها أمام الاغريق وفيما بعد أمام الرومان .

رغم كل هذا كان هناك شيئا مفقودا بالنسبة للاغريق فبقيت الالهة الشرقية شرقية يخدمها كهنوت أجنبى بينما كان الاغريق فى حاجة الى تغيير يدفع احساسهم بالغربة بعيدا ويسمح للاغريق بأن يعتقدوا انهم يقدسون آلهة بلادهم الجديدة، كان هذا بالرغم من تطورات كثيرة حدثت فى عبادات من أشهرها كاييل Cybele وعشتروت وأدونيس واتس Attes إلا أن أكثرهم نجاحا كان الثلاثى الجديد سيرابيس Serapis وايزيس Isis وابنها هريوقراطيس Harpocrates كان سيرابيس مزيجا من الاله المصرى أوزوريس إله العالم السفلى والخصوبة والمجل المقدس ابيس. ظهر هذا الإله إلى الوجود على يدى بطلميوس الأول بمساعدة الكاهن المصرى مانيتون وديمتريوس من فاليرون Phaleron وتيموثينوس (بشيس)

Timothyenos وهو احد المرافين في معابد أسرار - اليوسس وقد اشترك مع سيرابيس الالهة ايزيس زوجة وهريوقراطيس ابنه وأحيانا اضيف اليهم انويس. هذا الخليط فشل في اقناع المصريين الذين بقوا مشدودين الى الصور القديمة لالهتهم ولكنه حقق نجاحا هائلا بين الاغريق وفيما بعد انتشر هذا الثالوث في كل مكان من العالم الاغريقي والروماني .

كان ينظر لسيرابيس كاله رحيم طيب لا يعاقب عباده وكان تمثاله في معبد سيرابيوم الذى نعرفه من خلال نسخ له وتقارير أدبية عنه تمثال لرجل كث اذو لحية ثقيلة اللحية داكن اللون مزين بالفضة والذهب والاحجار الكريمة مثل الزمرد والياقوت الأزرق وعلى رأسه تاج على شكل سلة لكيل الحبوب كرمز لسيادته على الأرض.

كان سيرابيس الها غامضا مهيبا ولذلك كان له سحر خاص عند كل الاغريق والرومان .

بدأت العبادة الجديدة على مستويين، بالنسبة لاغلب الناس كان سيرابيس الها جذابا يمكن عبادته والصلاة له في كل مكان من خلال الجمعيات الدينية أو من خلال الهياكل الخاصة بينما كانت هذه العبادة بالنسبة لمجموعة خاصة من اصحاب الحاجة أو الرغبة فى الاستغراق الدينى(١) كانت هناك أسرار ايزيس زوجة سيرابيس وكانت الاحتفالات

والطقوس الخاصة المرتبطة بهذه الأسرار من اختصاص هذا الثالوث الاغريقى المقدونى المصرى الذى قدم بنجاح عبادة سيرابيس.

فقد كان الاغريق بالفعل متعودين على الديانات الغامضة المليئة بالاسرار مثل تلك العبادة المحبوبة جدا اليهم فى اليوسس والتمنى منحت الامل فى الخلود على مبادئها لعبادها ولكن اليوسس وأسرارها كانت محدودة فى مكان واحد فى بلاد الاغريق بينما كانت أسرار ايزيس مثل ايزيس عالمية ومن المؤكد ان الاحتفالات الجديدة كانت مختلفة تمام الاختلاف عن الطقوس المصرية القديمة الخاصة بأيزيس والتي كانت دواما خاصة بحزنها وبحثها على اوزوريس الميت.

فى الواقع لم تكن هناك اى مبادئ على الشكل المصرى لعبادة ايزيس وانما الاسرار الجديدة كانت تحقق الخلود لعبادها اثناء حياتهم الاولى بدلا من اعتمادها كما فى حالة الاعتقاد المصرى على طقوس يقدمها الآخريين بعد موت الانسان.

ان نوع الخلاص الذى قدمته أسرار ايزيس أو الاسرار الأخرى المتشابهة لم تكن مجرد التحرر من الخطيئة والاندماج فى الرب كما هو الحال فى المسيحية. ولكن هذا الخلاص كان خلاصا من القضاء والقدر ومشاركة فى قوة الالهة وكان القضاء والقدر مسيطران على عقول الناس خاصة فى الفترة التى تلت موت الاسكندر ومن ثم كان الخلاص من صيحة القدر بالاحتماء بقوة كقوة كالالة ايزيس قادرة على قهره ... اقول كان أمرا

مرغوبا بشدة.

ان الخلود فى عقيدة الاسرار كان خلودا للروح فقط وليس خلودا للجسد الذى كان يتعرض للفناء بعد الموت ولذلك أبعد الاغريق بواس الرسول الى خارج قلعة الاريوس باجوس عندما تحدث عن بعث الجسد أمام هذا الجمع من المتشككين فى صحة ما يدعو اليه. قالوا له سوف نستمع اليه فيما بعد.

وتجدر الاشارة الى أن الاسرار كانت امتدادا محدودا ولم تكن دعوة عالمية بل كانت فى جمعيات سرية لأولئك الذين كانت تجمعهم رغبة شخصية فى التقرب من معبود بعينه وكان الانضمام لمثل هذه الجمعيات ذات اشتراكات خاصة فقد بقيت ازيس تقدم طريق الخلاص للناس حتى انتصار المسيحية وفى أيام الامبراطورية الرومانية نجد أن احد الكتاب المشهورين ليكيوس ايليوس Lucius Oupleius نجد هذا الرجل يعلق مصيره بأرادة ازيس.

(٢) عبادة الملوك:

عبادة الأشخاص البشريين كانت معروفة فى كل انحاء العالم فقد عرفت مصر تاليه ملوكها وكذلك ممالك آسيا كما عند الاغريق ابطالهم ومنشئو مدنهم، ولكن الاغريق لم يألوهوا أحد الأحياء قبل الاسكندر الذى الهته العصبة الكورثية ولكنها لم تكن عبادة رسمية بل كان مجرد تقدير

سياسى فقط.

وعندما تولى خلفاء الاسكندر حكم البلاد المختلفة كانوا حكاما اغراب عنها وكانوا فى حاجة الى اساس قوى يدعم وجودهم غير حق الفتح ولذلك خطا بطلميوس الاول الخطرة الاولى عندما استفاد من تعود المصريين على تاليه ملوكهم فاعلن عبادة الاسكندر الاكبر عبادة رسمية فى مصر (كان ذلك فيما يبدو بعد اعلان نفسه ملكا فى عام ٣٠٥). وقد فعل بطلميوس الثانى لابيه ما فعله هذا للاسكندر فاعلنه إلها بعد موته فى عام ٢٨٠. قلد انطيوخس الاول ما فعله بطلميوس الثانى فاعلن ابيه سليوكس إلها باسم زيوس نيكاتور. من هذا الوقت أصبحت عبادة الملك بعد موته كإله قاعدة فى العالم الهلينستى.

ولكن بطلميوس الثانى قام أيضا بالتطور الأخير فى هذه العبادة عندما أعلن اخته وزوجته ارسينوى الثانية الهة رسمية قبل وفاتها باسم الالهة المحبة لاختها. ومعهما بطلميوس الثانى نفسه فعبدا معا كما عبيد وحده. وبعد وفاته حرص كل ملك بطلمى أن يصبح إلها حيا يتخذ مكانه فى سلسلة الالهة الملوك ويأتى الاسكندر على قمة هذه السلسلة الالهة وكان يتلو اسمه سلسلة من الملوك المؤلهين وزوجاتهم تحت أسمائهم الدينية الالهة الاخوة Adelpnoi الالهة الصالحون Eurgetae الالهة المحبين لأبيهما Philo Patres وهكذا. وقد اتم بطلميوس الرابع القناسة عندما اضاف إليها

بطلميوس الاول وبرنيكى باسم الالهين المنقذين Soteres. كان للإلهات كما
للإلهة كهنة متخصصون بعبادتهن مثل أرسينوى الثانية وبرنيكى (زوجة
بطلميوس الثالث) وأرسينوى زوجة بطلميوس الرابع.

أقام السليوقيون أيضا عبادة رسمية للأسرة المالكة شملت كل
امبراطوريتهم مع وجود مركز لهذه العبادة فى كل إقليم (سترابى). وربما
بدأت هذه العبادة مبكرة وإن كان ينسب لانتيوخس الثالث أو ربما
انتيوخس الثانى أمر إعادة تنظيمها. وسرعان ما ادعت كل أسرة من
الأسرتين الملكيتين أصولا إلهية فالسليوقيون انحدروا من الإله أبولو أما
البطالمة فقد انحدروا من هرقل من ناحية الأب وديونسيوس من ناحية الأم.

وفى برجاموم كان الملوك يعبدون أثناء حياتهم ولكنهم لايزلهم
رسميا إلا بعد الموت ولذلك لم يستطيعوا ادعاء القدسية كقاعدة لحكمهم.

أما مقدونيا فقد سارت فيها الأمور على أسس مختلفة لقد كانت
مملكة ملوكها وطنيون ولم يكن الأتجونيون فاتحين بل تم اختيارهم طبقا
للدستور المقدونى بواسطة الجيش ولذلك لم تكن هناك مشكلة العبادة
الرسمية لهؤلاء الملوك. ولم يصبح قط ملك من الأتجونييين إلها لمقدونية على
الرغم من أن بعض المدن الأغريقية قد ألهمت بعض هؤلاء الملوك من منطلق
تلك النظرية التى سادت عالم ذلك الزمان والتى تقول بأن الإلهة كانوا فى
الأصل بشرا ويكفى أن اثنين من الإلهة الأغريق كانت لهما أمهات آدميات

وهما أبولو وديونيسوس وهكذا كان الاسكندر أو بطلميوس أو غيرهما (١).
وقد اثر قيام هذه العبادات على شكل العلاقة بين الحاكم
والحكوميين في دول العالم الهلينستي وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما
بعد.

(٢) القضاء والتدور:

قبل العصر الهلينستي كانت العلاقات بين الدول غير مستقرة ومع
ذلك فقد كانت هناك دائما مرافق (موانئ) دائمة هي مدن الدول نفسها.
وان كانت المدن والحروب يكسبها طرف ويخسرهما طرف آخر فالمدن قد
استمرت في الوجود قرونا متصلة دون أن تتعرض للقضاء وتظهر من أوقات
سحيقة حرص تلك المدن على هويتها الخاصة فكان الأثينيون أثينيين
والكورنثيون كورنثيين ولم يكن هناك مجال للخلط بين هوية كل منهم. هذا
كان الحال قبل العصر الهلينستي ولكن الأحوال في المدن الجديدة في العالم
الجديد خالفت ذلك فالسكان أخلط والأغريق القادمون من أماكن متعددة
يتزاحمون مع الوطنيين في داخل تلك المدن واللغة التي يتحدثون بها لم
تعد أتيكية أو دورية أو أيونية ولكنها نوع جديد من اللغة الاغريقية عرفت
باسم كويني Koine .

(١) من عبادة الملوك الاثليين راجع . 210-30 , G . Daux . Bch 5j (1935)
ومن عبادة الملوك السليوقيين . 5-22 , L . Robert . Hellenica 7 (1949)
ومن عبادة الملوك البطالمة . Theocritus XVII , 73-130 .

شعر الاغريق أن اللغة يتضاءل معها الاحساس بالاقليمية المتميزة كما شعروا بأنهم بعد الاسكندر قد اقتلعوا من جذورهم القديمة وأنهم أصبحوا في عالم عجيب يتعرضون فيه للحروب الدائمة والتحالفات بين القوى الكبرى وفضلا عن ظروف الحياة المادية والأفراد كانوا يرتفعون ويهزون بسرعة مذهلة. وكان الحظ يبتسم ويتجهم للبعض خلال ليلة واحدة وكانت الدساتير القديمة والتقاليد القائمة على أساس قيم المجتمع الكلاسيكي عاجزة عن التأثير الفعال على سلوك المهاجرين المتحررين حديثا الذين خلبتهم انتصارات الاسكندر والملوك الذين تبعوه ومن ثم قلت قيمة الأفكار التقليدية القديمة كقيمة الاعتدال مثلا والالهة التي حكمت في الماضي سواء بعدل او بغير عدل أصبحت لاشئ اذا قورنت بالخط (تيخي Tyche وباللاتينية (فورتونا)) الذي يلعب باقدار الرجال كالأطفال ويقلب الأشياء رأسا على عقب دون توقف. والتيخي (الخط) ماكر كما أنه غير منطقي فكان الرجال تمحوهم الأحداث بدون أن يجدوا مساعدة من العقائد القديمة ولم يكن في مقدور المدن الدول القديمة إلا أن تدعو من أجل خلاصهم ومن هذا توجه الناس بصلواتهم الى الخط (تيخي) وجعلوا منه إلهتهم الحامية في عديد من المدن الجديدة في الشرق (١) .

(١) من الخط راجع: Demetrius of Phalerum , FGrH 228 F 39 .
Quoted by Polyb . XXIX . 21 . 1-6

هناك ثورة أخرى أثرت في مزاج العصر مثلما أثر فتح العالم الجديد
 ذلك هو علم الفلك الجديد وشكل العالم من خلال هذا العلم.
 بدأ هذا العلم يظهر في القرن الرابع ووصل ذروته النهائية خلال
 العصر الهلينستي وفي الشكل القديم كان شكل الأرض قرص (طبق) تحيط
 به المياه والسماء من فوق على شكل الطاسة (السلطانية) نصف دائرية
 وهناك تحت الأرض كان هاديس حيث المقر المظلم للموت وفي السموات
 كانت السحب فضلا عن الكواكب والنجوم ولكن لم تكن هناك معرفة بالمسافة
 التي تفصل كل من هؤلاء عن الأرض، حيث افترض أن الظواهر النجمية
 والطقسية تظهر جميعا على ارتفاع واحد، وكانت الآلهة تتحرك بحرية في
 خلال هذا العالم المحدود وكانوا دائما قريبين. بعد ذلك استطاع إثنان من
 تلاميذ افلاطون أيدوكسيوس Eudoxius وهيركليديوس Heracleideus
 أن يحدثا ثورة في هذا الميدان فايدوكسيوس برهن على أن الكواكب
 تخضع لقوانين عادية وتتحرك في صورة دائرية خلال عدد من المجالات
 مختلفة الارتفاع وأما هيركليديوس رأى أن الأرض تدور في مجال حول
 محورها يوميا وأن عطارد والزهرة يدوران حول الشمس وأن الثلاثة الآخرين
 (الشمس وعطارد والزهرة) ومعهم باقي الكواكب يدورون حول الأرض . هذه
 النظرية الفلكية سرعان ما ترجمت إلى نظريات جديدة خاصة بعلم الكون
 والأشروبولوجيا (علم وصف الإنسان). ووضعت هذه النظريات الأرض في
 المستوى الأدنى من سلسلة الكواكب. ونظرت إلى روح الإنسان كشهاب من

النار المقدسة محبوسة في جسد وهكذا يمكننا القول بأن الشرق قدم إضافتين بعد الاسكندر اكملت صورة العالم الجديد أولها خاصة بالملاحظات العلمية الصحيحة عن مواقع الأجرام السماوية وثانيها عن الاعتقاد بتأثير هذه الأجرام على حياة الناس، وبعبارة أخرى عن هذا الاندماج جاء علم الفلك الزائف وهو التنجيم الذي سيطر على عقول الناس ونظرتهم للعالم والله وظلت هذه النظرية مهيمنة ما بقي التاريخ القديم وربما بعد ذلك أيضا.

إن التنجيم في صورته الدقيقة كفر بوجود الله أو الالهة حيث يرى أن العالم يسير نفسه بنفسه بميكانيكية تعمل طبقا لقوانين منطقية دون أي تدخل خارجي وتقوم هذه النظرية على أساس فرض رئيسي.

يقول باننا اذا عرفنا حقيقة عمل جزء واحد من الكون مثل حركة الكواكب مثلا فان هذا كفيل بأن يتيح لنا القدرة على استنتاج المعلومات عن بقية أجزاء هذا العالم كاستنتاج قدر الإنسان مثلا ومن هنا إذا أمكننا وضع حركات النجوم والكواكب في توافق مع الأحداث الهامة في حياة الشخص كميلاده مثلا فيكون ممكنا التكهن بقدره وحظه في ظل هذا العالم الميكانيكي. كانت الكواكب في نظرهم تنتظم في ١٢ برجاً مثل شهور العام فاذا تصادف ميلاد انسان في برج كوكب معين فان السائل الأثري (الهواء) الذي ترسله صوب الأرض يؤثر في الطفل الوليد ساعة مولده وفي مستقبل أيامه وليس هناك أي مكان لوساطة الالهة أو للإرادة الحرة وحظ الشخص محدد مثله مثل حركة السموات نفسها.

رأى آخر أقل علمية ورغم ذلك كان الراى السائد بين العامة هذا الراى يقول بأن الأجرام السماوية نفسها كانت بذاتها آلهة ضمت لأسباب دينية خاصة وإن لتحركاتها الظاهرة تأثير على حركات البشر.

وهكذا كانت أمور كالغنى والفقر والحرية والعبودية والمرض والصحة لادخل للإنسان فيها وفي كلا الرأيين كان لطبيعة العالم كما عرفه الناس تأثير عميق على ديانات العالم الهلينستى والدراسات الفلسفية كذلك بما أن العقيدة الأساسية كانت الحتمية وأخيرا فإن الفرد تلقائيا كان يسعى للبحث عن وسيلة للهروب من قيمة قدره وكان أقصى ما يستطيع المرء هو أن يتحاشى بعض النتائج المترتبة على قيمة القدر كان يختار موعدا معيناً لعمل بعينه تكون فيه الأجرام السماوية ترسل تأثيرات طيبة مواتية الى الأرض أو أن يسعى للخلاص من الحظ وقيمة القدر بالبحث فيما وراء الطبيعة كما فعل أفلاطون معتقداً أن بالارتفاع عقلياً عن الواقع المادى كان يمكنه الهروب من العبودية الى القدر. إن المعرفة كانت الحرية والاندماج فى الخالق كانت تعنى الهروب من ضعف الصورة المادية للوجود البشرى وآخرون نالوا الخلاص كما قلت عن طريق العقائد السرية. هذه هى أهم الاتجاهات الرئيسية أو التغيرات التى شهدتها الديانات على العصر الهلينستى .

٩- العلوم

شهد العلم عند الاغريق عصره الذهبي فى القرون التى تلت الاسكندر الاكبر فنرى نتاج سنوات طويلة من البحث الفلسفى والرياضى فى أعمال أرسطو الذى أنشأ القاعدة العلمية التى تقول بأن الاستنتاجات يجب أن تتم بناء على نتائج الدراسة التجريبية. طبق أرسطو هذه القاعدة فى بحوثه المختلفة كما نلاحظ التزامه بهذا المبدأ فى عمله عن وظائف الأعضاء الذى يعتبر أفضل أعماله فى ميدان العلوم . والذى لم تتم تجاوزه بعض ملاحظاته إلا فى العلوم الحديثة. وباستخدام هذا الأسلوب فى الاختيار التجريبى حلل أرسطو مضمون مئات من المسرحيات لكى يقدم دراسة عن المأساة كما جمع أكثر من ١٥٠ دستوراً لكى يصل الى العناصر التى ساهمت فى بقاء أو انهيار المدينة الدولة كنظام للحياة.

وعلى الرغم من أن افلاطون سبق الى تأكيد أهمية الرياضيات وجعلها فرضاً رئيسياً فى مناهجه إلا أن سعيه بالقيم المثالية كان له تأثير ضار على مستقبل التطور العلمى بتشجيع الباقين على البحث عن هذه الصيغ فيما وراء الطبيعة على عكس قاعدة أرسطو العملية التى تعتمد على الملاحظات الميدانية.

على كل حال شهد العالم لمدة تقرب من قرنين بعد الاسكندر فترة

تدفقت خلالها الدراسات العلمية من نوعية لم يتفوق العالم عليها إلا في عهد النهضة العلمية الحديثة وساعد على حدوث هذه التطور العلمي ذلك الاهتمام الكبير الذى أبداه الملوك الهلينستيين للدراسات العليا.

لقد أقام البطالمة مركز بحث عظيم فى الاسكندرية وأنشأت المكتبات فى الاسكندرية وبرجاموم وأنتيوخ ورودس وسميرنا وربما فى أماكن أخرى أيضا ورغم أن الاسكندرية طغت على أثينا فى ميادين العلوم والآداب فقد بقيت الأخيرة مركزاً للعالم فى الدراسات الفلسفية ودراسات البلاغة (١).

كان المتحف فى الاسكندرية مركز الحركة العلمية وكعبة الباحثين فى كل ميدان من كل مكان فى العالم الهلينستى وقد أنشأه بطلميوس الأول سوتير ربما بناء على نصيحة من ديمستريوس من فاليريون وهو التلميذ المشهور من تلاميذ أرسطو. وقد كان المتحف منفصلاً عن المكتبة (٢) وأن كان كلاهما قريب من القصر الملكى رعاة وأنفق عليه البطالمة ولم يكن المتحف

(١) Marshall , D. N. , History of libraries , an cient and Mediaeval , Oxford , 1983

(٢) مكتبة الاسكندرية إنشأها بطلميوس الأول حوالى عام ٣٠٠ ق. م. وقد ازدهرت أيام ابنه بطلميوس الثانى وحفيده بطلميوس الثالث. نمت مجموعتها من الكتب للدونة على لفائف البردى وعلى الرقوق. وقيل انها بلغت حوالى ٤٠٠ ألف من اللفائف المتنوعة ونحو ٦٠ ألف لفافة مفردة أى مصنف واحد مؤلف واحد. وكانت مكتبة الاسكندرية فى الواقع مكتبتان الكبيرى وتقع بالبروكيوم من أحياء الاسكندرية، والثانية الصغرى التى كانت ملحقة بمعبد السيرابيوم والأخيرة أقامها بطلميوس الثانى وبلغت مجموعتها حوالى ٤٢ ألفاً من لفائف البردى. ذكر بلوتارخ أن حريق حرب الاسكندرية ألهم حوالى ٤٠٠ ألف مجلد. ورغم تمويض الاسكندرية ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة برجاموم وضمت فى معبد ولكن المعبد والمكتبة تعرضا لحريق فى عام ٢٦٦م. كما امتد لمكتبة السيرابيوم خلال القرن الرابع فنقلت بعض كتبها الى القسطنطينية وتشتت الباقي ٢٦١.

مؤسسة مهمتها جمع تراث الماضي كما يفهم من استخدامها الحالي لكن المتحف كان المكان الذى ظهرت فيه بحوث مبتكرة فى عدد من أهم الميادين العلمية والأدبية. لقد كان المتحف مؤسسة علمية جمعت علماء أجلاء فى ميادينهم. وأن ظهر فى العصور المتأخرة على وجه الخصوص بعض مدمى العلم بينهم ولذلك فإن علماء المتحف لم يستحقوا الهجاء الذى خصهم به تيمون أوف فيلوس Timon of Philus.

"هناك فى زحام أرض مصر يوجد كثيرون يطعمون، كثيرون يشخبطون على البردى، دائموا الشجار، يمشون فى حديقة طيور آل موسيس Muses (ربات الشعر والأدب)."

(١) العلوم الرياضية والفلك

تحتل الهندسة مكانة سامية بين رياضيات العصر الهلينستي وقد فاقت فى تقدمها سائر فروع العلم الأخرى وقد كانت الهندسة أساس كل الرياضيات عند الاغريق لعدم درايتهم بالصفر وما بلغت الهندسة من الاتقان كان سببا فى عدم تفكير الاغريق فى اختراع هذا الصفر ولا سيما أن الهندسة كانت تشمل الكثير مما يعتبر اليوم من علم الجبر ولا يمكن أن ننسى دور اقليدس (١) فى الرياضيات ويكفى أن كتابه "العناصر" كان

(١) إقليدس يونانى عاش فى الاسكندرية على عهد بطليموس الاول. قام بتنظيم علم الرياضيات فى عصره ومؤلّفه الاصل يحتوى على ثلاث عشرة مقالة ظلت حتى العصر "

الكتاب الوحيد فيما عدا الكتب السماوية الذى عمر الآف السنين. فقد استمر تلاميذ الهندسة فى كل أنحاء العالم يستخدمونه منذ العصر الهلينستى حتى عهد قريب جدا. وكان على العالم أن ينتظر حتى القرن ١٩ الميلادى حتى يعرف ما يسمى الآن بالهندسة غير الإقليدية وقد وضع إقليدس كتاباً أخرى لم تقتصر على الهندسة بل شملت فروع الرياضيات الأخرى عندئذ.

ويتصل بعلم الهندسة علم الفلك اتصالاً وثيقاً ويدين أغريق المهد الهلينستى بقدر من الفضل لعلماء بابل فى هذا السبيل. وكان من أبرز علماء الفلك فى هذا الوقت أرسطرخوس من ساموس^(١) وكان أول من اكتشف أن الأرض لا تدور حول نفسها فقط وإنما تدور أيضاً مثل الكواكب الأخرى حول الشمس. أما أعظم علماء الفلك فى الاسكندرية والعالم القديم قاطبة فيدعى هيبارخوس (١٩٠ ق م - ١٢٦ ق م) وقد استطاع أن يحسب بدقة طول الشهر القمري وقال أنه ٢٩ يوم و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة ٢ ثانية وهذا الحساب أقل بثانية واحدة عن الطول الحقيقي للشهر القمري، ويذكر أنه

* الحديث أساس دراسة مبادئ الهندسة - وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية فى القرن الخامس الميلادى والى العربية فى القرن الثامن ثم نقل من الأخيرة الى اللغات الأوروبية خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر وطبع لأول مرة فى عام ١٤٨٢. وإقليدس له مؤلفات أخرى كالظاهرة والتقويم والبصريات والقسمة.

(١) كان عالم الهندسة الاسكندرية (فى القرن الثالث الميلادى) قال بحركة الأرض حول الشمس ودورانها حول محور مائل على مستوى دائرة الخروج مما يسبب لصول السنة والليل والنهار. لم يبق من مؤلفاته سوى أحجام وأبعاد الشمس والقمر. وقد وصلت بعض نظرياته من خلال أرخميدس وكوبرنيكوس.

اكتشف بداية الاعتدالين، الربيعي والخريفي.

وهناك من علماء هذا العصر أيضا نذكر أرخميدس (أرشيميدس) (عاش ٢٨٧ - ٢١٢ ق م) الذي اكتسب شهرته لدفاعه الطويل عن سيراكيوز ضد الرومان واكتشافه لطول الجاذبية بينما كان يأخذ حماما؛ واختراع حساب التكامل فضلا عن اختراعاته الكثيرة التي شملت اللولب النهائي (الطنبورا) الذي يستخدم لنزح المياه من مناجم أسبانيا وري الحقول في مصر (١).

وهناك أيضا أبولونيوس أوف بيرجا Apollonius of Perga. وكان أقل أهمية من أرخميدس ومع ذلك فقد كان ثالث أكبر الرياضيين وتعتبر نظريته عن القطاع المخروطي عملا متعمقا في هذا الموضوع وقد أثر ذلك على الرياضيين حتى عصر نيوتن. هناك بعض الأشخاص بجانب أرخميدس حاولوا في المجالات التطبيقية العلمية مثل كستبيوس Ctespius في سنة ٢٦٠ ق م اختراع المنجنيق الذي يعمل بالهواء المضغوط وميرد من الاسكندرية في القرن الاول ق م وقد كانت اختراعاته في مجال الارتفاعات كما اختراع آلة بخارية بسيطة، وأكثر الانجازات

(١) أرخميدس عاش بين ٢٨٧ و ٢١٢ ق م أفريقي إشتهر ببحرته في الرياضيات والفيزياء فضلا عن اختراعاته. وأشتهر أيضا بالدائرة والأسطوك والقطع المكافئ. لاحظ اختلاف الكثافة بين المواد. ووضع قاعدة أرخميدس للأجسام المنصورة. وقد اختراع آلة لرفع المياه (الطنبورا) وهي برصة بدليل أسطوك وقد استخدمت هذه النظرية لرفع المياه وكذلك المواد الخفيفة كالصوب والرمل والرماد.

التي تستحق المشاهدة بالنسبة لمعارف العصر الهلينستي والقدرة الهندسية فيه يمكن أن نراها في الآلة المعقدة المعروفة باسم انتيكي ثيرا ميكانيزم Antiky Thera Mechanisum (١).

وقد عثر على أحدها ضمن بقايا سفينة قديمة غارقة قرب كريت ولم تدرس بصورة دقيقة إلا في عام ١٩٧٢ وهذه الآلة عبارة عن آلة تسجيل العلاقة بين الشهور القمرية والشمسية مقرونة بحركة الكواكب والشمس وكانت هذه الآلة تضم عدداً من التروس المتداخلة مختلفة الأحجام بذراع لنقل الحركة.

(٢) الطب :

حقق الطب مع الرياضيات والفلك قفزات هائلة في العصر الهلينستي ولم يمكن تجاوزها إلا أيام العالم هيرني Herney في القرن ١٧ م. لقد كانت الاسكندرية مركزاً لأغلب هذه التطورات وهنا أتم أعظم اثنين من الباحثين

(١) هيروداس الإسكندري عالم رياضيات مخترع عاش في الاسكندرية فيما بين القرن ٢ ق. م والقرن الثالث الميلادي أصله غير معروف بالرغم من أنه كان يكتب مؤلفاته باليونانية كتب عن قياس الأشكال الهندسية وينسب إليه قانون تعيين مساحة المثلث، واشتهر أيضاً بدراساته في الميكانيكا والخصائص الميكانيكية للغازات. وقد اخترع عدة آلات تعمل بالماء أو البخار أو ضغط الهواء، ومن بينها نافورة ومرة أطلقها حربي وآلة تعمل بالبخار لإدارة كرة أو عجلة.

فى هذا المجال هما هيروفيلئوس Herophilus (من خلىقندونية (١) واراسىستراتوس Erasistratus (٢). (من كئوس) أعمالهما . الاول كان عالما فى التشرىح وقد شملت اكتشافاته أعصاب الاحساس وصلتها بالنخاع وميز بين المخ (مقدمة الدماغ) والمخيخ (مؤخرة الدماغ) . وقد اعتقد أن المخ هو مركز الأعصاب كما أنه مركز الادراك والذكاء وأن الشرايين هى التى تحمل الدم أما اراسىستراتوس فقد ذكر أن القلب آلة تدفع الدم الى كل أجزاء الجسم ولكنه أساء التقدير فاعتقد خطأ أن الشرايين كانت تحمل هواء . ولكن اكتشافه الأكثر أهمية كان تمييزه بين أعصاب الاحساس وأعصاب الحركة . وهو ما لم يعرفه هيروفيلئوس . ولقد كان أكثر اهتماما بعلم وظائف الأعضاء أكثر من التشريح وناقش دور الغذاء وعملية الغذاء فى بناء نسيج الجسم .

تقدم البحث النظرى فى ميدان الطب قليلا بعد هذان العالمان وسيطرت الدراسات التجريبية أيام فيلينيوس Philinius الذى خلف

(١) عالم بالطب عاش فى الاسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث ق . م . وظلت مدرسته مزدهرة حتى نهاية القرن الأول ق . م . كان يعلق أهمية كبيرة على تجارب الطبيب وعلى النبض . وكان يستخدم العقاقير أكثر من هيبوقراط ومدرسته أهم أبحاثه كانت فى التشريح وقيل أنه لم يجرها على الموتى فقط بل على الأحياء أيضا . وكانت تدور حول المخ والأعصاب والرئتين وأعضاء التناسل وتبدل نتائجها على أنه قام كذلك بتشريح الحيوان .

(٢) اراسىستراتوس عاش فى القرن الثالث ق . م . احتفظت مؤلفاته بمكانتها حتى القرن الرابع الميلادى قال بنظرية الاسترواح حيث كان يعتقد أن الهواء يذهب من الرئتين الى القلب حيث يستحيل (روحاً حيوية) توزيعها الشرايين . ودرس تلافيف المخ ويعزى اليه تسمية القسبة الهوائية واستخدام القسطر (الماصة) .

هيروفيلوس في المتحف. كان هذا الرجل رأسا لمدرسة سيطر على نشاطها ممارسة العلاج الطبي أكثر من التشريح النظري أو علم وظائف الأعضاء. أن هذه المدرسة رأت أن الطب ليس مختصا إلا بعلاج الأمراض دون الوقوف على أسبابها ولذلك فقد كان واجب الطبيب في نظرهم هو أن يعطى العلاج الذى يشفى الأمراض إلى أن يهتدى إلى ذلك بملاحظة الشخصية والتعليم المشافهه وكان أشهر هؤلاء هيراقليدس تارتوم Tarantum.

وقد ركز على الأدوية وعلم السموم فضلا عن التغذية وتاريخ الدواء. وعالم آخر يدعى اسكليبياديس Asclepiades وقد اتخذ طريقا معاكسا لهيراقليدس فعالج الأمراض برجيم غذائى وبالتدريب بالنساج وحمامات باردة ولم يعمل كثيرا على العقاقير وجادل فى حجة امكانية استعادة الصحة باستعادة تناسق الاخلاط التى يتكون منها الجسم. وقد ألف كالكيوس Calcius فى نهاية القرن الأول الميلادى رسالة عن التقدم الذى تم احرازه فى ميدان الدواء منذ زمن هبوقراطيس (١) ومنذ البداية تصارع

(١) يعرف بابي الطب اليوناني عاش بين ٤٦٠ و ٣٧٠ ق. م. ولد بجزيرة كوس وتعلم فى اثينا واستكمل خبرته من خلال أسفاره. له فضل لصل الطب عن الخرافة نقلت كتبه إلى العربية وأضاف إليها علماء العرب شروحا وتفسيرات أشهر هؤلاء حنين بن إسحاق وعيسى بن يحيى وثابت بن قره وعبد الرحمن بن علي .

الطب العملى مع السحر والدين وقد كانت قدرة إله اسكليبيوس ابىداورس وسيرايس فى الاسكندرية فى ميدان العلاج لهما نفس شعبية الأطباء الرسميين فى مصر.

(٢) علماء الحيوان والنبات

كان على رأس المشتغلين بدراسة علم الحيوان والنبات فى العصر الهلينستى عالمان بارزان كان أحدهما تلميذا نايها لأرسطو - يدعى ثيوفراستوس وقد فشل بطلميوس الأول فى استمالته واحضاره الى اسكندرية (١) والآخر يدعى استراتون وكان معلما لبطلميوس الثانى. وأهم ما أصابته دراسة الحيوان فى هذا الوقت أن العالم الاغريقى أصبح يالف عدداً كبيراً من الحيوانات ولاشك أنه قد ساعد على ذلك حديقة الحيوان التى أنشأها بطلميوس الثانى وكانت تضم عدداً كبيراً من مختلف أنواع الحيوان والطيور والزواحف.

أما علم النبات فقد كان أكثر توفيقاً بفضل أبحاث ثيوفراستوس

(١) ثيوفراستوس عاش بين ٢٧٢ و ٢٨٧ ق. م. فيلسوف يونانى خلف أستاذه أرسطو فى تزعم مدرسة المشائين وازدهرت المشاية على يديه. كان صديقاً لفيليب الثانى و بطلميوس الأول. كتب فى موضوعات أخصها النبات وله كتاب لشخصيات رسم فيه عدة شخصيات من أنماط مختلفة صور بها معاصريه.

التي رفعت دراسة النبات الى مستوى العلم البحت وتمخضت عن معلومات تشير الدهشة في كثير من الأحيان في ظل ظروف أقلها عدم معرفة الميكروسكوب فضلا عن أن علم الكيمياء كان ما يزال في المهد، ومهما يكن من أمر كشف هذا العالم فإنها لا يمكن أن تقارن بفضله في وضع أساس علم النبات وفي تمهيد السبيل لمن جاء بعده من الباحثين المتأخرين .

ويلاحظ أنه قرب نهاية الفترة الهلينستية تراجع الطب والعلوم الأخرى أمام تزايد شأن علوم أخرى كالفسفة والدين وعلوم السحر ويمكن أن نجد الإجابة على ذلك في ميل العلوم الاغريقية للتركيز فيما وراء الطبيعة.

وهكذا نلاحظ أن العلوم التي تقدمت كانت علوما نظرية كالرياضة أو علوم تجريبية ومهما كان من دور الهلينستيين فيكفي أن عصرهم أعطى العلوم خاصة قاعدة رياضية ثابتة قادت في النهاية الى تقدم العلم الحديث.

(٤) الأدب :

شهد العصر الهلينستي كما نعلم فقدان أثينا لمكانتها السياسية ومع ذلك بقيت ميدانا لبعض أوجه النشاط الفكرى فانتعشت فيها الفلسفة في مدرسة أرسطو وتسمى اللوكيون Leckium (١) وكانت تعلم تلاميذها فروع

(١) اللوكيون ملعب في أثينا إختاره أرسطو ليعلم فيه، وقد أطلق الاسم على المدرسة الفلسفية لأرسطو، كما سميت بالمشائية أيضا لأن أرسطو كان يجتمع بتلاميذه في مشايه أو كان يعلى عليهم الدروس مشايها.

العلم المختلف وشهدت حديقة ابيقور تردد أتباعه ومريديه (١) كما بلغت الخطابة ذرى عالية وأنجبت ديموسثينس أشهر عظماء العالم وظهرت الملهاة في ثوب جديد يختلف كل الاختلاف عن الملهاة القديمة في مواضيعها وأهدافها.

وكان ميناندر Menander أشهر شعرائها. ومن الجدير بالإشارة أن مؤلفات أرسطو وخطب ديموسثينس ومسرحيات ميناندر تنتمي إلى فنون العصر الكلاسيكي من حيث النوعية وأن أتمت بالزمن إلى العصر الهلنستي. وصف أدب العصر الهلنستي بخلوه من الشعائر الوطنية وحماسها وهي الشعائر التي أنطقت الأدباء فيما مضى بأنبل المعاني وأوحى لهم بأروع المؤلفات كما اتصف أيضًا بإعراض أدبائه عن الحديث في السياسة أعراضًا تامًا.

وبالطبع كان السبب في هذا معروفًا فالشعر الوطني وما يتبعه من نشاط سياسي لا يكتمل إلا مع نفوس حرة تعيش جوار ملئ بالحرية وهذا الجو كان غريبًا عن عالم ما بعد الاسكندر حيث أصبح ملئ بالرعايا لابلوطنيين وكان هؤلاء يطيعون الحكام طاعة عمياء لا يهتمون بالأحوال السياسية ولا يشاركون في أحداثها فهم غرباء عن الأوطان الجديدة ولا تربطهم

(١) اشترى ابيقور هذه الحديقة بعد أن استقر في أثينا حيث كان يعلم فيها تلاميذه ومذهب يرى أن الفلسفة هي فن إسعاد الذات بالتمتع العقلية وهي الخير الأبدى وفلسفته أخلاقية أساسها لذة التأمل التي لا يمقتها ألم.

بها روابط قومية كتلك التي كانت تربط سكان مدينة افريقية بمواطنيها .

كان الأدباء مثلهم في ذلك الوقت مثل أدباء عصرهم يفخرون باقامتهم بالقرب من الملوك؛ ويتسابقون للحياة في قصورهم والسعى لتملقهم. ومن ثم امتلأت أشعار ذلك الزمان بتملق أصحاب السلطان الذين أصبحوا موضوعا رئيسيا لعدد من القصائد. وهكذا أصبح الأدباء في عزلة عن الشعب بعيدين عن المعابد والآثار التي كانت تحرك مشاعر أسلافهم. أما الشعب فقد أنكب على عمله اليومي وأنصرف الى الاهتمام بحياته الخاصة وسعى وراء منافع التافهة ؛ لهذه الأسباب كلها اتصف أدب هذا العصر بالعمق والكساد ورمى النقاد المحدثون أدباءه بالجمود وضعف التفكير لانهم لم يبتكروا جديدا بل عادوا الى تراث أسلافهم ودرسوا ويحثوا فيه وعلقوا عليه واهتموا بالدقة في التعبير وتعتنوا في اختيار الألفاظ النادرة والغريبة والتباهي بمعلوماتهم وحشوها في أشعارهم دون مبرر. ومع ذلك ففي امكاننا أن نذكر لهذا العصر بعض المآثر فادباؤه قد أدوا للأدب اليوناني القديم خدمات جليلة كان يستحيل علينا نحن المحدثون أن نفهمه بدونها؛ فمنهم من ابتدع فن نقد النصوص ومقارنة المخطوطات وتحقيق الأصل القديمة والتعليق عليها ومنهم من ابتكر فنا جديدا من فنون الشعر لم يعرفه شعراء العصور السالفة.

كالشعر الرعوى الذي ابتكره ثيوكراتيس كما أن أدباء هذا العصر اثروا على الأدب الروماني في عصوره الأولى فقلدهم كاتولوس وأوفيد

وفرجيل ونقلوا عنهم الكثير الأمر الذى جعل النقاد يقولون (بأنه لولا اتصال روما وتأثرها بالمدارس اليونانية فى هذا العصر لما تركت شيئا يسمى أدبا) .

بدأ عصر الانحلال هذا بخضوع اليونان للحكم المقدونى وانتقلت فيه زعامة الأدب من أثينا الى الاسكندرية التى كان قد بناها الاسكندر فى عام ٣٢١ ق. م فازدهرت بسرعة فائقة وأصبحت لمدة قرنين أهم مراكز الادب اليونانى مما جعل كثير من النقاد يسمون هذا العصر بعصر الاسكندرية . ولكن هذا لايعنى أن الادب السكندرى لم يزهدهر الا فى هذه المدينة فقط بل أنتعش فى مدن ومناطق أخرى أهمها بلاط مقدونيا وسوريا وبرجاموم وسواحل اسيا الصغرى وجزيرة كوس ورودى واغريقيا الكبرى بل أن أثينا نفسها احتفظت كما رأينا ببعض أهميتها الأدبية ؛ ومع ذلك فالعاصمة المصرية هى التى احتلت المكانة الاولى ولم يوجد مكان غيرها لقيت فيه الفنون والآداب تشجيما سريعا مستمرا مثلما لقيت الاسكندرية اثناء حكم البطالمة الاول فى الفترة من (٣٢٣ - ١٨٠ ق. م) . وأشهر الشعراء الذين ظهوروا فى عهدهم كاليماخوس (١)

(١) ولد كاليماخوس فى السنوات الأخيرة من القرن الرابع ق.م فى برقة ثم هاجر الى الاسكندرية حيث عمل مدرسا ثم ألف مقطوعات شعرية قصيرة لغنت الى الانظار فى البلاط، فبينه بطليموس فى المكتبة الكبرى. وضع فهرسا مفصلا فى ١٢٠ مجلداً يعتبر الأول فى تاريخ الأدب. يعتبر أبرز شعراء الاسكندرية فى عصره. وضع ٨٠٠ كتاباً لم يصلنا منها الا قطعا متفرقة . كانت أناشيده تغلو من العواطف الدينية الحقيقية ولكنها كانت تفيض

وثيوكراتيس (١) وأبولونيوس الروديسي (٢)، ولكن بعد وفاة بطلميوس الرابع تولى الحكم ملوك ضعاف لم يستطيعوا الاستقرار على سياسة اسلافهم العلمية ولم يحافظوا على منزلة عاصمتهم الادبية فتدهورت الثقافة اليونانية في مصر، بل وفي غيرها من المدن اليونانية ولم يظهر في اواخر القرن الثاني والقرن الأول ق م إلا عدد من الشعراء ليس بينهم شاعر واحد مجيد نذكر منهم ميكاندروس الذي تعلم في برجاموم وترك قصائد تعليمية عن أضداد السموم والفلاحة وموسوخوس الصقلي وبيون- السميرني اللذين اشتهرا بأشعارهما الرعوية والتي كانت تقليدا كاملا لأشعار أستاذهما ثيوكراتيس وهناك انتباتروس الصيدى وميلياجروس الجادارى اللذين خلداً اسميهما بكثير من قطع الاجراما. ولعل أشهر الشخصيات التى لمعت فى القرن الثانى ق م كان المؤرخ بوليبيوس الذى كتب قصة روما وكيف سادت العالم فى

• بالأوصاف والتصويرات الباهرة، وقصيدة الأسباب أهم أشعار كاليماخوس وهى مزيج من المعلومات التاريخية والجغرافية والميثولوجية. وقد ألف كاليماخوس كثيراً من المراثيات أفضل المعروف منها قصيدة (خصلة شعر بريكى).

(١) عاش ثيوكريتوس فى القرن الثالث ق م. ويعتبر أبو الشعر الرعوى ومن أهم شعراء الاسكندرية. كان شعره مبتكراً فى عصر إنعدم فيه الابتكار تمتاز أشعاره الرعوية بواقعيته وحيويتها وإفاضتها فى وصف الطبيعة فى سيراكوز التى ولد فيها وجزيرة كوس التى تعلم فى مدرستها.

(٢) أبولونيوس الروديسي شاعر ولد حوالى عام ٢٦٥ ق م وقد أطلق عليه لقب الروديسي لهجرته إليها بعد طرده من وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية وحصوله على جنسية رومى ولكنه من مواليد الاسكندرية أو نوقراطيس. كتب قصائد فى تأسيس المدن أتبع فيها أسلوب عصره الوصفى. ولكنه ألف (أرجوناتيكاً) وهى أعظم قصائده وقد إمتلئت بتصوير للشاعر والمواطن التى عاشت غرام بطة قصيدته.

٤٠ كتابا لم يصلنا كاملا منها إلا خمسة تدل على أنه كان مؤرخا ممتازا دقيقا يتقصى معرفة الحقائق مهما كلفه ذلك من عناء. بعد ذلك ينتهي عصر الاسكندرية بالمعنى الصحيح. ففي نهاية القرن الاول ق م سادت روما العالم وبدأ العصر اليوناني الروماني الذي استمر حتى القرن ٦ م وفيما يلي ندرس بعض فروع الأدب التي مارسها أدباء ذلك العصر.

أولا: الكوميديا الجديدة والكوميديا الشعبية (Mimus)

كان مؤلفو الكوميديا في القرن الخامس في أثينا يسخرون من السياسة والسياسيين المعاصرين لهم وكانوا يوجهون قليلا من الاهتمام لتطور أحداث الرواية وصفات أبطالها؛ وعلى المكس فإن كوميديا القرن التالي لوفاة الأسكندر الأكبر والتي تعرف باسم الكوميديا الجديدة كانت خالية تقريبا من السخرية السياسية وفي المقابل ركزت اهتمامها كله على العادات الاجتماعية وعلى الخصوص في المجالات العائلية وعلى مسائل القيم كالبلخل والفخر والحب والخنوع والفقر ولم يبق من إنتاج ٧٠ كاتبا مسرحيا لم يزيد اهتماموا بذلك للولون ، أقول لم يبق سوى عدد من مسرحيات ميناندر (٢٤٢-٢٩٢ ق م) Menander (١) الذي كان معاصرا للإبيقور وتلميذا

(١) ولد ميناندر في أواخر القرن الرابع ق م وأصبح زعيما لكتلة الملهة الحديثة. إمتاز برقة أسلوبه وسلاسته. ودقة تصويره لشخصيات رواياته مع قدرته على تحليل مواقفها. أثر في بلوتس وترنس تأثرا كبيرا وقد عرفه الغربيون في القرن السابع عشر الميلادي من خلالهما.

لثيوفراستيس خليفة أرسطو في اللوكيوم؛ وهي مسرحيات كأغلب مسرحيات الكوميديا الجديدة اتبعت منهاجا واحدا- شاب يحب فتاة ولكنه لا يستطيع أن يتزوجها لسبب أو لآخر كان تكون قاطنة أو فقيرة للغاية أو عبدة يطلب سيدها ثمنها يعجز المحب عن دفعه وبعد عدة صعوبات يتم حل عقدة المسرحية كان يتضح فجاء بأن الفتاة محور المشكلة هي ابنة لرجل مرموق ولكنه فقدتها بعد ولادتها، أو لأن النقود على وشك الوصول ربما من خلال حيلة يقوم بها عبد ماهر مثلا وتنتهي المسرحية نهاية سعيدة . مسرحيات ميناندر تعطى احساسا بالتفاضل فالشخصيات الشريرة ليست مطلقة الشر والشخصيات الخيرة ليس أصحابها قديسين. وتبدو في هذه المسرحيات كما لو كانت العقبات الكبرى في حياة البشر هي مجرد الأشياء البسيطة مثل عدم موافقة الأسرة على الزواج أو الحاجة لبعض المال نذكر ذلك بالمقارنة بما كان سائدا قبلها فمثلا كان الموت أو التفاني هو سمة شخصيات الأبطال عند سوفوكليس والشخصيات المتصارعة عند يوريبيديس. والشخصيات المتصارعة عندهم تصارع القدر وظروفه ويعانون مشاكل المسؤولية عن البشر. كل هذا حل محله على العصر الهلنستي علاقات إنسانية عادية وحقيقية فهناك رجال مشغولون بحب المال وجنود يفكرون في إمكانية إخضاع العقلية البشرية لأوامر العسكرية وهناك بنايا وهناك أناس متواكلون وهناك شباب سطحيين .

أن التوازن في العلاقات البشرية هو المثل الأعلى عند ميناندر بينما

الخطايا عنده هي الشهوة والغضب والرغبات المتطرفة في حيازة أموال طائلة أو الرغبة في النقاء الشديد للسمعة، والاعتدال في كل شيء يدل على رباطة جأش واتزان صاحب الاخلاق المثلى؛ مع ملاحظة عدم وجود ابطال عند ميناندر فصاحب هذه الاخلاق هو القادر على تحمل امتحان اقصى وأن كان لايقوم بأعمال جديدة، ولايجب أن نعتقد بأن الكتاب كانوا يهتمون أذواق الجماهير وإذا كان هناك ما يكون متعلقا بهذا الأمر فالعكس هو الصحيح فقد اهتم المسرح خاصة خلال الفترة الرومانية بالميلول الجماهيرية، فقد زاد الاهتمام بتنظيم المسرح والملابس وأصبحت خشبة المسرح عالية وما يجرى عليها منفصل عن جماهير المشاهدين، ومن ثم أصبحت المسارح الهلينستية والرومانية أقرب الى مسارحنا الحالية منها الى مسارح اسلافهم الكلاسيكية، وبرز دور الممثل حتى سيطر على المسرحيات وزاد الاهتمام بالموسيقى حتى وصل الأمر الى اقامة الحفلات الموسيقية والأوبريتات ونجحا الى درجة جعلتهما يغتصبان خشبة المسرح فعليا من المسرحيات التقليدية، عامل كبير أضيف الى هذا التطور كان ذلك هو ارتفاع شأن الكوميديا الشعبية (المسرحية القصيرة) وسواء كانت مقناة أو حوارا فان الكوميديات الشعبية كتبت لتناسب الأذواق الهابطة من الجماهير ومحورها موضوعات الفسق والغواية وأحيانا كانوا يسخرون من الحكايات التقليدية للتراجيديات والكوميديات، ونظرا لما تقدمه من إضحاك وسرعة حركة فقد تمتعت بإعجاب كثيرين وعرضت في الأسفل كشى ثانوى وبالنسبة للعرض

الرئيسي في المسرح؛ ولكن سرعان ما فرضت نفسها على البرامج الأصلية حيث كانت كتعليق حزين على الأحوال المتردية في المجتمع الهلينستي .
 أما التراجيديات فقد بقيت شهرة الثلاثة العظام من شعراء العصر الكلاسيكي (إيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس) (١) رغم انتشار وبناء المسارح في كل جزء من حوض البحر المتوسط وقتذاك. وقد أدت هذه الشهرة لأعمال العصر الكلاسيكي إلى عدم معرفتنا معرفة يقينة بما يمكن أن ندرسه كتراجيديات من إنتاج العصر الهلينستي فلنا نعرف أسماء ولكنها لم تكن شهيرة.

كان موضوع التراجيديات هو الموضوعات التاريخية بالإضافة إلى الموضوعات الأسطورية التي كان بعضها غير معروف في القرن الخامس مثل أدونيس وكثير وبعض المسرحيات كتبت لتقرأ لا لتمثل أو على الأقل كانت مناسبة للقراءة أكثر منها للتمثيل كما يتضح من مسرحية كانتور شارمان Cantaur of Charemen.

على كل حال عرفنا أن البلاط البطلمي في الإسكندرية عاش فيه في القرن الثالث ق م سبعة من مشاهير التراجيديات منهم هوفيروس - ولوكفرون وسولستوس Lycphron - والكسندر وايتولوس Aetolus هؤلاء خمسة وقد اختلفت الآراء فيما يخص الاثنين الآخرين؛ لقد وصلنا أكثر من ٦٠ اسما لكتاب التراجيديات والمناوين التي وصلتنا تدل على أنهم

(١) فوزى مكارى : المرجع السابق.

كتبوا في موضوعات غريبة لم تعالج خلال الفترة الكلاسيكية. وقد تميزت بأسلوبها المتأدب الميال لاطهار المعرفة والميل الى الرمز. ولعل هذا هو الذي جعلها غير مقبولة الذوق لدى النقاد المحدثين وأن كان هذا السبب هو نفسه الذي جعلها محبوبة عند طبقة المتعلمين من جماهير العصر الهلنستي.

خاتمة : الغزل وشعر العواطف :

لاحظنا أن سمة أدباء ذلك العصر أنهم عاشوا في رعاية القصور ومن ثم بعدت الشقة بهم عن صدق الاحساس وصفائه التي ميزت الشعر الكلاسيكي حتى أن بعضهم الذي كان يتحدث عن العواطف ظهر في أغلب أشعارهم التمنع والتكلف. فمثلا البعض يصف عواطفه في مواقف لاتليق كالشاعر الذي حدثنا عن غرامه وهو يشنق نفسه أمام باب مغلق. ونلاحظ أيضا إطناب هؤلاء الشعراء في البكاء والأين والتعبير عن رقة مصطنعة.

ومع ذلك فالأبجرامات وهي قطع صغيرة من الشعر من بحر الأيلجوس نلاحظ فيها الكفاءة. كما نلاحظ في بعضها التعبير عن عواطف مؤثرة عميقة مثل ميلياجروس عندما يبكي حبيبته هليودورا لأن ذكرها العذبة تطارده وكاليماء خوس يبكي صديقه ويواسي نفسه بخلود مؤلفات ذلك الصديق؛ ويوريبيديس في وصفه لفرق طفل في الثالثة من عمره. وهناك الأبجرامات التي نظمت من أجل الحيوانات الأليفة. كما نجد بعض

الابجرامات تشمل على نغمة صادقة للتعبير من العواطف التي تربط أفراد الأسرة بالصدقة والعطف فنجد أبولينوس يقدم لنا سيدة صغيرة السن تنذب حظها بالقرب من فراش الزوجية، وأما معودة تهذل الجهد والعرق صباح مساء لكي تدبر طعام أطفالها اليتامى. وقد شغل الحب كل الانتاج الأدبي للعصر الهلينستى وقد وصلتنا بعض الأعمال الأصلية المصقولة فمثلا أبولينوس من رودس الذى اشرنا الى اهتمامه بالسببية سطر نجاحا ملموسا فى التطور السيكولوجى لميديا حببية جاسون Gason فى ملحته المعروف باسم أرجوناوتيكا Argonautica.

شالسا : التاريخى :

استجاب بعض المؤرخين لأذواق قراء العصر الهلينستى فاستخدموا فى كتابة التاريخ الأساليب المسرحية لكي يجعلوا كتابتهم أكثر حيوية وقبولا عند قرائهم. أشهر هؤلاء دورس Duris من ساموس وقد كتب تاريخ الفترة المحصورة بين معركة ليوكترا الى حوالى ٢٨٠ ق م وكذلك فيلارخوس Phylarchus من أثينا الذى زاد على دورس بوضوحه فيما كتب الى ٢٢٠ ق م. نجد مثلا المؤرخ دورس يقدم ديمتريوس ابن أنتجونس المشهور Poliorcetes كبطل دمره تفاخره وتساهله مع نفسه، كما نجح المؤرخ فيلارخوس فى كتابة عصر كليومنيس الثالث ملك اسبرطة وما قام به من اصلاحات اقول نجح فى كتابة هذا العصر بأسلوب

درامى .

ويعتبر المثلان السابقان من أشهر الأوصاف حيوية فى التاريخ

القديم.

بالإضافة الى هذه المدرسة كانت هناك مؤلفات أثبتت الأحداث دون تدخل من المؤلف مثل التقارير التى كتبها ضباط الاسكندر وحرسه؛ كتقرير بطلميوس عن انتصارات الاسكندر اعتماداً على الوثائق الرسمية، وكذلك تقارير نيارخوس Nearchus (١) وأرستوبولس Aristobulu (٢) التى كانت هى الأخرى تقارير واعية. وقد ظهر أثر تلك التقارير على ما كتبه أريان (٣) عن الاسكندر (القرن الثانى م). هناك مؤرخ هو Hieronymus من Cardia (٤) والذي كتب عن حروب خلفاء الاسكندر وقد بقيت منه فقرات قصيرة عشر عليها مقتبسة فى أعمال المؤلفين الآخرين

(١) كان نيارخوس قائداً مقدونيا، تولى قيادة أسطول الاسكندر من السند الى بابل (٢٢٥-٢٢٤ ق.م). كتب وصفاً دقيقاً للرحلة حفظه لنا أريانوس.

(٢) كان أرستوبولس إغريقياً من كاسندريا إشتراك فى حملة الاسكندر على الشرق وكتب لتاريخ الاسكندر. كان مصدراً لأريانوس وإسترابون وديودورس.

(٣) كان أريان موطفاً من بيشيا عاش فى القرن الثانى الميلادى وحكم كبادوكيا فى عهد هادريان. كتب عدة رسائل عسكرية وتاريخية. أشهر مؤلفاته تاريخ الاسكندر إعتد فى تأليفه على ماكتبه بطلميوس وأرستوبولس ويعود الفضل الى كتاب أريان فى أغلب ما نعرفه عن مصر الاسكندر .

(٤) صاحب هيرونيوموس الاسكندر الى آسيا، ثم حارب فى صفوف يومنيوس حتى مقتل الأخير فى عام ٢١٦. خدم أنتيجونوس الأعور وديمتريوس ابنه كما خدم أنتيجونوس جوناثاس ابن الأخير وبقي صديقاً له حتى مات حوالى عام ٢٥٠ ق.م. مصدر هام لتاريخ الفترة من موت الاسكندر ٢١٢ الى موت بيرهوس عام ٢٧٢ ق.م. كان مصدراً هاماً إعتد عليه أريان وديودور وبلوتارخ.

بمن فيهم بلوتارخ (١)، وعلى كل حال فإن أغلب الكتابات التاريخية في العصر الهلينستي مالت لاتباع أسلوب دورس التمثيلي وبعضها الآخر كان يكتب بهدف دعائي. ومع هذا وذلك فقد فقدت أغلب هذه المؤلفات.

أعظم مؤرخ هذا العصر هو بوليبيوس (٢) الذي عاش في القرن الثاني ق م (من حوالي ١٩٨ - ١١٨ ق م) وكان هذا المؤرخ اغريقيا عاش في روما وآمن بها وبدورها في أنقاذ العالم، كما كان فيما كتبه منحازا بصورة واضحة ضد مقدونيا وأيتوليا، ومع ذلك فإن تاريخه عن تطور روما ونجاحها في السيطرة على البحر المتوسط فيما بين ٢٢٠، ١٦٧ ق م عمل عظيم بحق. وتميز عمله بأنه اتتنع بأن الأحداث التاريخية المحلية في منطقة ما لا يمكن تطورها منعزلة عما يحدث في فترة معاصرة في أماكن أخرى،

١١) عاش بلوتارخ ما بين ١٢٠-٤٦ ميلادية بيوتى الإصل زلر مصر وإيطاليا وأثينا ثم عاد إلى وطنه وأصبح كاهنا في معبد دلفي. كتب مؤلف (حيوات متولوية) خصص كل فصل منها للحديث عن شخصيتين إحداهما يونانية والثانية رومانية. كان يعتز بثقافته وإتقانه إلى اليونان ولكنه تحدث يأمنه عن الشخصيات الرومانية. ويعتبر هذا الكتاب من أعظم كتب السير والتراجم في العالم القديم. وقد إشتهر أيضا بسجوعة من المحاورات والمقالات عن الأخلاق.

٢) بوليبيوس عاش بين ٢٠٢-١٢٠ ق م مؤرخ اغريقي ولد في ميغالوبولس كان إينا ليكورثاس زعيم العصبة الأخية وكان صديقا حميما لفلوبيس قائد هذه العصبة. وكان ذو كلمة مسموعة في أمور السياسة الاغريقية. ودعا العصبة الأخية إلى التزام الحياد بين مقدونيا وروما. وعندما انتصرت روما نفى وعدد كبير من الاخيرين إلى روما (١١٦) حيث صادق أسرة سكيبيو وكتب في رعايتها "تاريخ عالم البحر المتوسط" من ٢١٩/٢٢٠ إلى ١٤٥/١٤٤ ق م في أربعين جزءا. لم يصل إلينا منها الا خمسة كاملة فضلا عن بعض شذرات وفقرات من الأجزاء الأخرى. يعتبر كتابه أعظم المؤلفات التاريخية في كل العصور ومع ذلك يجب أن نأخذ ببعض أرائه بحذر.

ولذلك فقد حرص علي أن يتوقف في كل فترة لكي يقدم حركة التاريخ هنا وهناك، وكان علي دراية كاملة بظروف كل طرف من الأطراف حيث كان في البداية أحد السنولين عن العصبة الاخيه ثم أصبح بعد استقراره في روما صديقا حميما القائد الروماني سكيبيو اميليانوس Scipio Amilianus الذي تولى تدمير قرطاج (١) . كانت عند هوليبوس - رغم تحيزه لروما - رغبة محمومة لمعرفة الحقيقة ، كان كذلك علي دراية جغرافية واسعة بمنطقة البحر المتوسط . ولكن صفاته العظيمة كمؤرخ كان يفسدها تحاملة المستمر علي الديموقراطية كنظام واعجابه بالايجارية فضلا عن اقتناعه بأن روما قد أدخرها القدر للقيام بدور خاص في التاريخ.

ويجب الانغفل جهود بعض الوطنيين هنا وهناك لتقديم أعمال عن تاريخهم الوطني باللغة الاغريقية وهو الامر الذي يدل علي انتشار الهلينستية بين الوطنيين في العالم الهلينستي . نذكر في هذا السبيل ما قام به في القرن الثالث الكاهن Berossos من بابل والكاهن المصري مانيتون Maneto بكتابة تواريخ بلديهما . كما يجب ان نشير الي أن أول التقارير التي كتبت عن روما في نفس الفترة كانت بالافريقية أيضا وتنسب الي Fabius Pictor . كما نعرف سلسلة من المؤرخين اليهود ابتداء من

(١) عرف سكيبيو أفريكانوس الأصغر واسمه بوبليوس كورنيليوس اسكيبيو اميليانوس أفريكانوس نوماتينوس ولد ١٨٥ ومات ١٢٩ ق م أصبح قنصلا في عام ١٤٧ أثناء الحرب البونيقية الثالثة، دمر قرطاج، كما تولى القنصلية مرة أخرى في عام ١٢٤ وخلالها أخضع ثورة في إسبانيا وحرب نوماتيا، توفي في ظروف مريبة ويحتل أنها لم تكن وفاة طبيعية.

ديمتريوس حوالى (٢٢٠ ق م) الى يوسف Josephus (القرن الأول الميلادى) (١). وكلهم جامدوا لتقديم ثقافتهم وماضيهم بأسلوب محبب للاغريق وذلك فى الدفاع عن ماضيهم ضد ما كان يراه الاغريق من أن تقارير الرومان والآشوريين والمصريين والفرس واليهود كانت مجرد خرافات لايمكن تصديقها . واعتقد الاغريق أن أسلافهم وحدهم هم الذين عاشوا عصر ما قبل التاريخ، وإذا لم ينسب الآخرين أنفسهم الى هؤلاء الأسلاف فكل ما يذكرون غير معقول أو مصدق؛ فيمكن وجود أسلاف اغريق لكل دولة اتصلت بهم . وعلى الرغم من أن الرومان قبلوا هذه النظرية بالقول أنهم كانوا أحفاد أحد أبطال طروادة المدعو Aeneas (٢) إلا أنهم رفضوا الروايات الأخرى التى قالت بأنهم كانوا أحفاد Odysseus أو هرقل أو إيفاندر الأركادى Evander Arcadian وقد بقيت هذه النظرية سائدة فى العالم الى أن حلت محلها مع دخول المسيحية الرواية اليهودية لانساب الخليفة.

(١) عاش فلافيوس يوسف اليهودى ما بين ٦٧ و٩٥ ميلادية وهو كاهن ومؤرخ يهودى عينه اليهود فى عام ٦٦ م حاكما للجليل وأسره الرومان عام ٦٧. حصل على حقوق المواطنة الرومانية فى عهد فسبسيانوس أهم كتبه (حرب اليهود وتاريخ اليهود القديم ورسالة ضد ليون ودفاع عن اليهود).

(٢) الذى تذكر الأسطورة الرومانية أنه حرب من طروادة حيث وصل الى قرطاج وتقابل مع الملكة الأسطورية ديدو. وبعد فترة تركها ولبحر الى صقلية وزار العالم الآخر ثم نزل بشاطئ إيطاليا حيث وضع الأساس الأول للدولة الرومانية، وبذلك اعتبر جدا للرومان. وأسطورة هذا البطل هى موضوع ملحمة الألياذة التى نظمها فرجيل على غرار الإلياذة الهوميرية.

رابعاً: الادب الخيالي:

اتسع خيال الاغريق بقدر اتساع معارفهم الجغرافية واتصالهم بالشعوب ومعرفتهم بأساطيرها بعد الاسكندر . وهكذا أنتشرت الروايات الخيالية التي كتبها الرحالة، مثل روايات انتيفانس من برجا Antiphanes of Berge الذى ادعى أن هناك بلداً شديدة البرودة فى الخريف الى الدرجة التى تتجمد كلمات الرجل بمجرد خروجها من فمه، ولايستطيع آخر أن يسمع ما قال إلا بعدما يأتى الربيع . كما أنتشرت الروايات التى يمثل السفر الى مناطق شديدة البعد عنصراً رئيسياً فيها . وقد أنتشرت رواية الاسكندر - التى كانت خيالا اغريقيا وشرقيا فى نسخ متباينة التفاصيل وعرفت فى كل أوروبا وآسيا خلال العصر الهلينستى .

وعرفت هذه الفترة أيضا أوصافا عديدة للمدن الفاضلة (اليوتوبيات) Utopia ولاقت قبولا حسنا عند جماهير عريضة.

وعلى سبيل المثال فإن Euhemeros الذى كان أحد رعايا الملك كاسندر ملك مقدونيا ، كتب رواية حول مدينة فاضلة. وقد أدت هذه القصة الى رواج نظريته القائلة بأن الالهة كانوا فى الأصل ملوكا على الأرض وأنهم الهوا بعد ذلك.

أن مدينة يوهيمروس الفاضلة تقع على بعد خمسة أيام من شاطئ بلاد العرب ، وكان مواطنوها يتمتعون بالحرية السياسية ولاتعرف نظام الرق

ولا يوجد فيها ملكية خاصة للأفراد، فكل مواطن يأخذ قدر حاجته، ولكن أولئك الذين يمارسون مسئوليات أكبر يأخذون أكثر. ولعل تأثير انتشار هذه الروايات كان وراء سماح كاسندر لآخيه Alexarchus أن يقيم مدينة فاضلة تدعى Uranopolis (المدينة السماوية) على جبل أثوس في شمال بلاد اليونان القارية، ولكننا لانعرف عن تلك المدينة أكثر من بعض قطع العملة قليلة العدد فضلا عن بعض الأخبار مشتتة في المصادر الأدبية المختلفة.

وهناك رواية أخرى خيالية عن يوتوبيا تقع على جزيرة في المحيط الهندي ، ويدعى إيامبولس Iambulus كاتب هذه الرواية أنه زار تلك المدينة التي أقيمت على واحدة من سبع جزر تسمى الشمس، وكان سكانها يطلقون على أنفسهم أبناء الشمس، وتأثرا بيوهيروس فإن إيامبولس ذكر أن السكان كانوا يعيشون في مجتمع سعيد بدون حروب أو عنف داخلي. ولم يكن هناك رقي أو ملكية خاصة وكان المجتمع يملك بصورة جماعية الزوجات والأطفال . وكانت المحاصيل تنمو طوال العام بدون رعاية لها . ولا توجد أمراض في ذلك المجتمع ، وكان يتم التحكم في أعداد السكان عن طريق الموت الاختياري . كان كل واحد يشارك بنصيب في إتمام العمل الرئيسي للمجتمع وكان وقت الفراغ مخصص للمتعة العقلية والعبادة للاله.

وهناك أيضا Megasthenes سفير سليوكس الى الهند الذي ادعى بأنه لا يوجد رقيق في تلك البلاد. وهناك أيضا Onesicritus، الذي

شهد حملات الاسكندر وكان وراء أنتشار قصة عن منطقة فى وادى الهندوس ادعى أن أعمار سكانها تمتد الى ١٢٠ عاما (أرجو ملاحظة أن ايامبولس قال أن أبناء الشمس كانوا يختارون الموت عند سن الخمسين بعد المائة) وكان أصحاب Onesicritus يأكلون سويا، ولايستخدمون العملة، وكان العلم الوحيد الذى يدرسه هو الطب ويعتبرون باقى العلوم خطرا على المجتمع، وفى هذا يجب أن نشير الى أن الاسكوديين الذين عاشوا فى الشمال كانوا يعيشون حياة بسيطة وصارمة وكان غذاؤهم اللبن والعسل ولايميلون الى اقتناء الثروة، وهكذا نلاحظ أن الكتاب الأخلاقيين حاولوا الهروب من مادية وتصنع ونفاق عصرهم فلبجأوا الى الخيال يتحدثون فيه عن النبيل والبساطة، وأدخلوا ما أعجبهم من عادات الشعوب المحيطة كعناصر فى قصصهم الخيالية.

١٠- التعليم

خلق العالم الجديد احتياجات جديدة في ميدان التعليم لم تكن المدن توليها إهتماماً في العصر الكلاسيكي. فلقد كانت المدن اليونانية القديمة قادرة على القيام بمهمتها التعليمية في تكوين الاطار الفكرى لكل من الشيوخ والشباب مع الحفاظ على تقاليد المجتمع وذلك من خلال احتفالات المدينة وساحاتها ومجالسها ومشاركة مواطنيها في العمل. فالمدينة كانت تصنع التواصل بين الأجيال دون حاجة الى نظام تعليمى مستقل عن المجتمع وفيما عدا التعليم العالى أو المتخصص .

كان هناك من يتعلم القراءة والكتابة والحساب كمهارات فنية فقط وكان ذلك يتم في مدارس خاصة ولعدد قليل. ولكن لم يكن هناك شئ أبعد من هذا سوى الإيبيا Ephbia وهى البرامج العسكرية لتدريب الشباب.

كان هذا يتم تحت رعاية المدينة وأما التعليم العقلى أو الفكرى فكان يأخذ حظه من الاهتمام بصورة أوسع في البيئة والمدينة.

كان هذا في العصر الكلاسيكى؛ أما في العصر الهلينستى عندما انتشر الاغريق والمقدونيون في البلاد الجديدة حيث لا يوجد تراث تعليمى كالذى ساد المدن القديمة. وحيث كانت المدن الاغريقية في الشرق مجرد

جزر صغيرة في بحر من السكان الأجانب وحيث كان سكان هذه الجزر الصغيرة حضاريا أخلط عديدة من الأقاليم الاغريقية.

في هذا المناخ الجديد ولكي يتحقق خلود الثقافة الاغريقية كان من الضروري أن ينظم أسلوب التعليم. وكان محور هذا النظام التعليمي هو الى حد كبير الجمنازيوم *Gymnasium* وأصبح مدير الجمنازيوم (الجمنازيارخ *Gymnasiarch*) واحدا من أهم الشخصيات في المدن الجديدة. كانت الجمنازيات المبكرة مؤسسات غير حكومية قامت في الضواحي حيث كان من السهل ايجاد الأرض الفضاء اللازمة لمنشآت الجمنازيوم حيث تتوفر مصادر جيدة للمياه وأشجار الظل الذي كان شيئا مستحبا وأقدم ثلاثة جمنازيات في اثينا كانت خليطا من المحارب المقدسة والحدائق وميادين الرياضة وقاعات للدرس وفيما بعد بنى المزيد وتزايدت الأهمية حتى بنى واحد في الاجورا نفسها (السوق الاغريقية).

وفي العالم الهلينستي زادت أهمية الجمنازيات ففي مصر حيث تشتت الجماعات الاغريقية في داخل الريف وكانت المدن الاغريقية قليلة أصبح الجمنازيوم هو المركز الحقيقي للحياة الاغريقية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية؛ وبالمثل عندما كان يرغب المواطنون في البلاد الهلينستية المنتمين الى الطبقات العليا كأرستقراطيات اليهود في اورشليم أقول عندما كان يرغب هؤلاء اليهود أن يقتبسوا شيئا من الثقافة الاغريقية فإنهم أخذوا بهذا النظام (الجمنازيات) ونتيجة لهذا التطور أصبح الجمنازيوم

بناء محكما يخطط له بدقة وينفذ كوحدة معمارية متكاملة وعناصره الاساسية هي مضمار للجري (الترانكا) ومساحة لرمى القرص والرمح وملعب للمصارعة ومبنى للحمامات وحجرات لتغيير الملابس وقاعات للدرس ومكتبات وأماكن للإمدادات. واعتماداً على المساحة وشكل الأرض المتاحة كان يتم تصميم البناء. ففي دلفي وبرجاموم أقيمت المباني على سفوح التلال فقسما مختلف المباني والمضامير على المدرجات المختلفة على التلال ولكن التنظيم الأكثر شيوعا كان تخصيص منطقة واسعة يحيطها سور أو صف أعمدة ثم تقام مختلف الحجرات والقاعات على مختلف الجوانب؛ وكانت التماثيل زخارف شائعة في الجمنازيوم وأحيانا كانت الحوائط تغطي بالرسوم وقوائم بأسماء الطلاب والفائزين في المسابقات الرياضية فضلا عن المخريشات.

سمى الاغريق لتحقيق التوازن بين التعليم العقلي والعقلي على الرغم مما كان يحدث من تغلب اتجاه من الاتجاهين في بعض الأحيان. وهكذا نرى أن الجمنازيات خلال الفترة الكلاسيكية ركزت على الرياضة أنها في العصر الهلينستي وفيما بعد في الفترة الرومانية فإن الرياضات تخلت عن أولياتها للموضوعات العلمية المدرسية.

حدث هذا التغيير استجابة لعدد من الظروف أولها ميل الاستقرائية للتدريب الجسماني في الفترة المبكرة حيث كان هذا يعطى فرصة للفوز في المباريات. ولكن ظهور الرياضيين المحترفين خلال العصر

الهينستى أدى الى تقليل أهمية الرياضيين الهواة. على أن أهم الأسباب كان الدور الجديد الذي تهيمن بالجمنازيات في المدن الهينستية فقد أصبح الجمنازيوم هو المركز الذي يصون الافكار الاغريقية والمثل الاغريقية حية. وبعد أن فقدت المدن استقلالها وتدهورت أهمية ساحة المدينة وأهمية أماكن الاجتماعات أصبح الجمنازيوم هو مركز الحياة الاجتماعية والثقافية في المدن الاغريقية وأصبح التعليم عملية مستقلة ومنفصلة عن حياة المدينة وكان مستوى التعليم يختلف أيضا من مكان الى مكان وأدى فقدان قراء العصر الهينستى للاهتمام بالمشاغل الذي تمت فيه الأعمال الأصلية والرغبة في أن يجد هؤلاء القراء قواعد ثابتة في النصوص، أدى بالأغلبية من بين النقاد الى تفسيرات لما يصادفهم من مشاكل أو قيم تختلف عن قيم عصرهم، مثلما افترض بلوتارخ أن وصف هوميروس للأمير باريس وهلين في نهاية الكتاب الثالث من الإلياذة كان يحمل معنى أداة العاشقين هو ما يخالف معتقدات هوميروس.

وقد أدت دراسة نفس النصوص الكلاسيكية في جمنازيات العالم الهينستى -أدت- الى قيام أسس وحدة ثقافية فحيثما أقيم الجمنازيوم كانت تدرس نفس النصوص تقريبا وبذلك كان يتم توحيد الخلفية الثقافية لاغريق العصر الهينستى في كل مكان، كما كان يتحطم انعزال المدن التي كرسها انعزال التعليم في العصور الكلاسيكية، وحقق الجمنازيوم فضلا عن ذلك فرصة الحفاظ على الشخصية الاغريقية في محيط من الثقافات الأجنبية

القوية.

لقد كان أنعزال الثقافة ونظم التعليم من مدينة الى اخرى خلال العصر الكلاسيكى مسنولا الى حد ما عن أنعزال الناس وعدم قدرتهم على التقارب والتفاعل فى المدن المختلفة - اما فى العصر الهلينستى فكل ما كان ضروريا لكى يصبح الانسان اغريقيا هو أن يعرف اللغة الاغريقية وأن يحصل على برنامج تعليم الجمنازيوم.

وبالنسبة للوطنيين فى البلاد المختلفة من العالم الهلينستى كان هذا لايمنى شيئا كثيرا للفقراء الذين لا يستطيعون تحمل نفقات هذا النوع من التعليم. ولكن بالنسبة لاصحاب الدخول العالية الراغبون فى هذا النوع من التعليم سواء لانفسهم أو لاولادهم ، فلقد كان الباب موريا على الأقل. صحيح أنه من الناحية النظرية كان هذا التعليم مقصورا على الاغريق الاصلاء ولكن من الناحية العملية كان كثيرون من غير الاغريق قادرين على التسلل الى قوائم الجمنازيوم والاندماج فى الطبقات الاغريقية العليا.

التعليم العالي :

كثيرون لم ينالوا تعليما أعلى مما كان يقدمه الجمنازيوم المحلى. وأولئك الذين كانوا يرغبون فى الالتحاق بدراسات أعلى كان عليهم أن يسافروا الى واحدة من المدن الكبرى التى خصصت كراسى فى جامعاتهم

للبلاغة والفلسفة، وهما عماد برامج الدراسة الجامعية في العالم القديم. من بين هذين الموضوعين كان للبلاغة تقريبا السيادة والاسباب في ذلك كانت تعود للاهمية العملية للبليغ وعلى خلاف مانال استقلال المدن الاغريقية من أنكماش فإن الأمور الداخلية داخل المدن كانت تمارس كما كانت تمارس في الماضي فساد على وجه العموم، الطراز الديمقراطي للدستور في كل مكان بعد الاسكندر والى بداية العصر الروماني ، وسادت معه نفس الاحاديث العامة وموضوعاتها كما كان الأمر في الماضي. فهناك مجالس وجمعيات ومحاكم وبعثات قضائية وكلها تقريبا تحتاج لشخصيات لها قدرات في البلاغة والبيان. وكان نفس الشيء ضروريا بالنسبة للعلاقات الخارجية بين المدن، ونحن نقرأ باستمرار عن بعثات ارسلتها هذه المجموعة أو تلك من المجموعات المتصارعة في المدن لكي تمرض وجهة نظرها أمام الملك، وفيما بعد أمام الامبراطور. وحتى في أكثر الموضوعات فردية فإن الخطباء كان لهم دور يلعبونه وعلى سبيل المثال نجد في العهد الجديد قصة احتجاز بولس الرسول بسبب تحريضه على التمرد في اورشليم، فأننا نقرأ عن مدعين يأتون الى قيصرية ويحضرون معهم خطيبا اسمه Tertullus لكي يعرض الدعوى أمام الحاكم الروماني (الاعمال ١١:٢٤) وبعد خمسة أيام حضر حقانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس فمضوا للوالى ضد بولس فلما دعى ابتداء ترتلس في الشكاية قائلا اننا حاصلون". وبساطة لم تكن هناك طريقة سهلة لاستبعاد اهمية الخطابة. لقد

صال الاغريق في هذا الميدان وجالوا. وبالطبع كانت الخطابة مختلفة جدا عن اذواقنا، ولكنها كانت تعرض مشاكلهم السياسية يوما بيوم. على الرغم من أن عصر الخطابة الرزينة العظيمة في الماضي قد اضمحل مع اضمحلال حرية المدن.

ومكذا كان الخطيب يستطيع من خلال قدرته أن يقنع الناس بمسألة من المسائل في الداخل كما كان قادرا على أن يقاوم بنجاح في ميدان المفاوضة مع المدن والقوى الأخرى التي تحكم العالم السياسي الاغريقي فيما بعد الاسكندر.

ولكى نوضح ما سبق نعود مرة أخرى الى العهد الجديد، الذي يعتبر مصدرا مهما عن أهمية البلاغة في العصر الهلينستي بما قدمه عن النشاطات المعاصرة. مرة أخرى نعود لبولس الرسول الذي كل قد سبب في هذه المرة اضطرابا في افسوس "لأن اقسانا اسمه ديمتريوس صانع هياكل فضة لارطاميس كان يكسب الصناع مكسبا ليس بقليل فجمعهم والفعل في مثل ذلك العمل وقال ايها الرجال أنتم تعلمون أن صنعتنا إنما هي هذه الصناعة ... الى الآية ٢٩ التي تقول "قامتلات المدينة اضطرابا وأندفعوا بنفس واحدة الى المشهد خاطفين ومعهم غايوث والاسترخس المكدونيين رفيقي بولس في السفر. "هذا وكادت الامور يفلت زمامها من أيدي حكام المدينة ولكن مرة أخرى يظهر الخطباء، ويذكر الكتاب المقدس تفاصيل ذلك.

"(٢٥) ثم سكت الكاتب الجمع وقال أيها الرجال الأفسيسيون من هو الانسان الذى لايعلم أن مدينة الأفسسيين متعبدة - لارطاميس الالهة العظيمة والتمثال الذى هبط من زفس (زيوس) (٢٦) فاذا كانت هذه الأشياء لاتقاوم ينبغى أن تكونوا هادنين ولاتشعلوا شيئا اقتحاما. (٢٧) لانكم اتيتم بهذين الرجلين وهما ليسا سارقى هياكل ولا مجدفين على آلهتكم. (٢٨) فان كان ديمتريوس والصناع الذين معه لهم دعوى على أحد فانه تقام أيام للقضاء ويوجد ولاة فليرفعوا بعضهم بعضا. (٢٩) وأن كنتم تطلبون شيئا من جهة أمور أخرى فانه يقضى فى محفل شرعى (٤٠) لاننا فى خطر أن نحاكم من أجل فتنة هذا اليوم وليس عليه يمكننا من أجلها أن نقدم حسابا عن هذا التجمع (٤١) لما قال هذا صرف المحفل".

وهكذا نظرا لأهمية الخطابة من الناحية العملية فضلا عن الأهمية التقليدية لها فى التعليم الاغريقى اصبحت دراسة البلاغة هى قمة التعليم وغرض التعليم العالى كله تقريبا على الرغم من اشارات لدراسة الفلسفة. لقد ادعى ازوقراطيس الخطيب فى جداله مع الفلاطون أن الجهد المبذول لكى تعلم تلميذا كيف يتكلم له نفس التأثير العقلى لتعليم متعلم كيف يفكر. لقد كانت الفصاحة فى التعبير هى الأمر الذى ميز الإغريقى المتعلم عن الاغريقى غير متعلم من غير الاغريقى، وفى عالم كانت المدن والمواطنة فيها تتضاءل أكثر فأكثر فقد تحول المثقفون الى طبقة اجتماعية فى المجتمع وقد ظهر هذا فى اصرار أهل بعض المرتى على الإشارة الى مناته

الثقافية على شامد قبره . ولقد علق افلاطون على الثقافة الاغريقية بقوله
أنها أغلى هدية وهبت للإنسان . واعتقد أفراد الطبقة العليا في المجتمع
الهلينستي بصحة المقولة وسعوا إلى تحقيقها.

١١- الفن والعمارة في العصر الهلنستي

أن رعاية الفن في العالم الهلنستي كانوا متنوعين تنوع المجتمع الهلنستي نفسه، لقد كان الملوك هم الرعاية الأهم للفن نظرا لما أنشئوه من مدن عامة وعواصم على وجه الخصوص، ولكنهم لم يكونوا الوحيدين الذين يراعون الفن بل كان هناك أشخاص من الطبقات العليا والمتوسطة يهتمون أيضا- فضلا عن المدن الاغريقية نفسها كان لهم نفس الاهتمام واقتنوا كثيرا من اعمال الفن المهمة. وكما تنوع رعاية الفن الهلنستي تنوعت موضوعات هذا الفن وأشكاله وغطى هذا التنوع كل الموضوعات من الإفريز الهائل ليرجاموم والذي بلغ ٤٠٠ قدما في طوله الى الحفر على الأحجار الكريمة الذي كان سمة من سمات فن الصياغة في العصر الهلنستي، لقد كان كل شيء متاح من الشعر المستعار المبتذل (الباروكية) الى اعمال الفن الكلاسيكي الرائعة وكان يمكن الحصول على نسخ من كل التماثيل الارخية والكلاسيكية من كل نوعية وجودة وحجم ومادة من التجار في كل المدن الكبرى، وهكذا تبدل الحال فبعد أن كانت المدن هي التي تختار الاعمال الفنية وتتعاقد على المبانى لاشباع حاجات مجتمعا أصبح الافراد يقومون بشراء المنتجات من السوق لاشباع حاجاتهم. واستخدم الملوك الفن من كل الأنواع والدرجات لأغراض الدعاية، ولكن الأفراد أيضا آتقنوا أعمالا فنية من

أجل وضعها في منازلهم أو تكوين مجموعات خاصة بهم أو لاهدائها لمدينهم. وظهرت طبقة من الهواة خبراء في الفن؛ وظهر في الفن كما ظهر في الأدب حاجز بين المثقفين والجماهير الذين كان مفترضا أن الفن أنتج من أجلهم. ولقد أبرز الزمن اختلافات بين الفنانين حسب الفترة التي عاشوا فيها.

أن الاتساع الضخم على طلب نسخ التماثيل والزخارف من كل الأنواع أضاف بعد التجارة إلى أبعاد الفن الأخرى. لقد أدى اتساع العالم الهلينستي والمسافات الهائلة التي تفصل بين مدنه وممالكه أدى هذا إلى ضرورة ارتحال الفنانين واختلاطهم بغيرهم واشتراكهم في مشروعات مختلفة وهناك دليل على اتساع دائرة المشتغلين بالفن نلمسه في وجود امرأة مثالة اسمها هليانا. أنجزت رسما يمثل معركة إيسوس Issos بين الاسكندر والفرس.

(١) المسكن الجديد

كانت المدن وخصوصا العواصم مناطق يستعرض الملوك فيها اسهاماتهم وأنجازاتهم العمرانية. ورغم أنها كانت قلاعاً للحكام إلا أنها لم تكن مجرد معسكرات مسلحة وعلى عكس المستعمرات الرومانية التي اقيمت على نهري الراين والدانوب؛ لم تكن الأهداف العسكرية فقط هي كل اهتمام المدن الهلينستية فلقد كانت تلك المدن هي الميادين الفنية والدائمة التي تبين

مدى اسهام الملوك والطبقات المثقفة بقول اسهامهم فى تاريخ العالم فى تلك الفترة : لقد كانت الخطوة الاولى فى انشاء أى مدينة هو استئجار مهندس معمارى كفاء يمكنه ان يصمم رسما للمدينة يستخدم فيه مميزات الموقع وفى نفس الوقت يحقق الأهداف العسكرية والادارية والثقافية التى يرمى اليها منشئ المدينة. وكما كان الحال فى كثير من الأنشطة فان الطريق لتحقيق ذلك ينطلق من اساس موجود على العصر الكلاسيكى وضعه المهندس هيبوداموس Hippodamus منشئ تصميم المدن (١). ويمكننا ان نعرف شيئا عن اسلوب هيبودامس من مدينتين اقيمتا على نسق تصميمه خلال القرن التالى وهما بيرن و ميليتوس (ملطية) Priene, Miletus فى آسيا الصغرى وفيهما نجد تصميم المدينة قد ربط بطريقة عضوية بين الأجزاء الهامة فى المدينة كالأجورا Agora والمعابد والجمنازيات والمسارح وأحياء السكن والمرافى وما شابه ذلك؛ ولكن بعض هذه الأجزاء كان يخضع لبعض التعديل حسب ظروف الأرض التى تقام عليها كل مدينة ففى صالة مدينة بيرن كان الموقع على سفح تلل بما يحمل من صعوبة وجود مستويات مختلفة لأرض المدينة وفى ميليتوس نجد أرض المدينة عبارة عن لسان ممتد فى البحر والموقع يتميز بعدد من الأماكن الصالحة كمرفئ طبيعية وفى برجاموم عاصمة الملك اتالوس واجه المهندس المعمارى مصاعب هائلة

(١) هيبوداموس، من ملطية عاش فى القرن الخامس قـ.م وقد اشتهرت بتصميمه للمدن بنظام الشوارع المتقاطعة سرديا.

بسبب طبيعة الأرض التي تقع على منحدرات أحد التلال وكان الحل هو اللجوء لتقسيم المدينة الى عدد من الأقسام أنشئ كل قسم على مدرج من مدرجات التل. والاسكندرية (وهذه سنخصص لها دراسة مستقلة) عاصمة دولة البطلمة، اقيمت على شريط ضيق من الأرض محصور بين البحر وبحيرة مريوط بالقرب من مصب أحد فروع النيل (الفرع الكاثوبي)، وقد نجح البطلمة في خلق ميناء أن جميلان بإقامة طريق طوله حوالي كيلو متر يربط بين جزيرة فاروس والشاطئ. وقد ربط أحد هذين الميناءين بالبحيرة بواسطة قناة. وكان هناك ميناء ثالث صمم لخدمة التجارة القادمة عبر النيل. وقد اقيمت على الجزيرة واحدة من عجائب الدنيا السبع وهي منارة فاروس التي كان ترتفع ٢٦٠ قدما والتي كان الملاحون يرون نورها على بعد حوالي ٥٠ كيلو مترا. لقد قسمت المدينة على أساس التصميم الكلاسيكي وكان بها أماكن مخصصة للقصور الملكية البطلمية ومعبد سيرابيس ومقبرة الاسكندر، والمتحف والمكتبة والجمنازيوم والاستادיום ومضمار السباق، وكانت هناك شبكة مياه أسفل الشوارع تمدها بماء النيل. وعلى الرغم من أن المواسم أشهر الأمثلة التي بنيت على أساس تخطيط هيبوداموس فإن مدنا لها نفس الطراز قد بنيت في كل العالم الهلينستي من أقصاه الى أقصاه. وفي أواخر القرن الثاني كان النمل ما يزال قائما حتى في الأماكن شديدة البعد من العالم الهلينستي في أفغانستان وباكستان لبناء مدن لها نفس الطراز الشبكي مثل Taxila.

Charsada , Begreim الذى تحس فيه التأثير الهليني.

كان تصميم المدينة يتم أولا ثم تبدأ جهود زخرفة المدينة وتزيينها. وكان يستعان لاتمام ذلك بعمال من رودس وأثينا والاسكندرية ومن أماكن أخرى؛ كما كان الفنانون والصناع فوكل من المهنيتين أصبحت مستقلة من الأخرى، يدعمون للعمل فى موقع المدينة وفى بعض الأحيان كان يتم التنسيق بين الفنيين المهنيتين.

ونظرا لأن أغلب المدن كانت من أنشاء الملوك فمن الطبيعي أن نلمس حضورا قويا لهم فى المدن. لقد كانت المدن تحمل أسماءهم وعملاتها تحمل صورهم، وكان هناك قطعا من النحت لكى تذكر المواطنين بساتتهم.

(٢) مدينة الاسكندرية

خطط تصميمها المهندس دينوكراتيس النقراطيسى على نظام هيوداموس وهى فى ذلك مثل بيريه ورودس وهليكارناسوس، والمعروف أن الاسكندر الأكبر هو الذى اختار موقعها على الشريط الساحلى المحصور بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط. وقد ساهم كل البطالة فى عمارة المدينة إلا أن النصيب الأكبر قام به كل من بطلميوس الأول وبطلميوس الثانى الذى استكملت مقوماتها كمدينة اغريقية على عهده وقد بلغت مساحة الاسكندرية عند إنشائها ٢٠ استاديا طولا فى عرض يتراوح بين سبعة وثمانية استاديا (الاستاديون ١٨٢.٩ م). وقد احاط بها سور طوله ١٥ كم

قيم على السور أبراج على مسافات متقاربة للمراقبة والدفاع عن المدينة. والمعروف أن الاسكندرانيين كانوا يحتفلون بعيد انشاء المدينة يوم ٢٥ طوبة من كل عام وهو ما يشير الى أنها انشئت في حوالي ٢٠ يناير سنة ٣٣١. والمدينة كان يخرقها شارعان كبيران يتقاطعان في وسطها أحدهما من باب كانوب الى باب الغرب والثاني من باب الشمس في الجنوب الشرقي الى باب القمر وكان عرض كل شارع منهما ٢٠ ياردة وقد توازت معهما بقية شوارع المدينة.

كانت قوانين المدينة تفرض على صاحب كل عقار أن يترك بينه وبين جاره مساحة قدم واحد إلا اذا اتفقا على غير ذلك .

ثم ربط الشاطئ بجزيرة فاروس التي تبعد ثلاثة ارباع ميل عن الساحل وذلك عن طريق جسر عرف بالهبتاستاديا وقد أدى هذا الجسر الى انشاء مينائين أحدهما الميناء الكبير في الشرق *Megas limen* والثاني الميناء الغربي ويعرف باسم *Eunostos*. وكان الميناءان يتصلان عبر ممرين أسفل الهبتاستاديون. وقامت في الحي الملكي *Broucheion* القصور الملكية ومعظم المباني العامة الهامة كالسرح والمتحف والمكتبة ومعبد بوسيدون و *Caesorium, Timonjun* وكان هذا الحي يغطي ما بين ربيع أوثلث المدينة؛ و اقيمت فيه أيضا حدائق الحيوان ودار القضاء والجمنازيوم و *Poneion* فضلا عن الجبابة الملكية (السوما) اما *Hippodromos* مضمار السباق فقد اقيم في الطرف الشرقي من المدينة و *Stadium* في الطرف

الغربي واقيم معبد السيرابيوم في راكوتيس.

واقيم شرق جزيرة فاروس منارة الاسكندرية التي صممها سوستراتوس من كنيديوس وقد بدأ العمل في بنائها على عهد بطلميوس الاول وتم البناء في عهد بطلميوس الثاني حوالي عام ٢٨٠ ق م وقد بقيت الى حين تدهمها بسبب زلزال حدث في عام ١٢٠٨ م.

ضمت هذه المنارة ثلاثة اجزاء الاول رباعي والثاني ثماني والثالث اسطوانى وكانت المنارة مقامة من الاحجار ومزخرفة بلوحات منحوتة من المرمر والبرونز وكان المصباح يقوم اعلى تمثال ارتفاعه ثمانية امتار وكان التمثال يقوم على ثمانية اعمدة.

واذا عدنا للمدينة التي ظلت عاصمة لمصر حتى دخول العرب فاننا نعرف ان الاسكندرية، كانت تحصل على مياه الشرب من النيل عبر قناة تخرج من النيل عند كوم الجيزة Schedia على بعد ٢٧ كيلو مترا منها.

عرفت الاسكندرية ميناء ثالثا على البحيرة كان طريق اتصالها بداخلية البلاد كما كان هذا الميناء يستقبل منتجات الشرق الواردة عبر البحر الاحمر. وكان بالاسكندرية غير الجبانة الملكية مدينتين للموتى احدهما في الشرق والاخرى في الغرب خارج حدود المدينة، وكانت مدينة كانوب هي منطقة اللهو والراحة بالنسبة لسكان الاسكندرية. عرفت الاسكندرية نشاطا تجاريا وصناعيا هائلا، الا ان مجالها الزراعى لم يقع

حسب المعتاد بالنسبة للمدن الإغريقية قريبا منها وأما كان يقع
هرمبولس بارفا.

بلغ سكان المدينة على حد قول ديودوروس ٢٠٠ ألف نسمة ولكن
يبدو أن هذا الرقم ضم الأحرار دون العبيد وهو ما يضاعف الرقم . عرفت
الاسكندرية مجموعة من فئات السكان مثلت كل فئة طبقة منفصلة فكان
هناك عليـة القوم من الإغريق وكانوا أصحاب أهم الطبقات وعرفوا
بالاسكندريين وكانوا مواطني المدينة وكان هناك إغريق من المتميزين أيضا
ولكنهم كانوا أنصاف مواطنين بسبب عدم اعتماد نسبهم إلى قبائل وأحياء .
وكان هناك المقدونيون عماد الجيش وكانوا منضمين إلى جمعية
الجيش وهناك الفرس الذين عاشوا في المدينة كجالية أجنبية تتمتع بكثير
من الحقوق ولذلك اليهود الذين كان لهم من الحقوق في المدينة ما جعل
الاسكندريون يستكثرونها عليهم ويحسدونهم عليها وبالإضافة إلى المصريين
وعامة الإغريق والعبيد والمعتقين.

وكانت المدينة تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتي فكان لها
مجلس شورى الفناه أحد البطالة الأواخر وكان لها استقلال قضائي وعرفت
كثيرا من الوظائف المحلية وقد ظلت الاسكندرية محط انظار العالم القديم
وساهمت في تشكيل آداب تلك الفترة الهلينستية حتى عرفت آداب تلك
الفترة باسمها.

الكتاب الثاني

الشرق خلال العصر الروماني

١- الفسوق تحدد الحكم الروماني

سبق أن تحدثنا عن واقع العالم الهلينستي المتطامن المتصارع من قرب نهاية القرن الثالث ق.م، وكيف حاولت دوله الكبرى التوسع على حساب الكيانات الصغرى. وكيف أدى واقع التمزق الذى عاشته دول العالم الهلينستي الى تمهيد السبيل أمام روما لكي تسيطر عليها واحدة تلو أخرى.

كانت أول الدول الشرقية سقوطا فى يد الرومان هى بروجاموم التى ورثتها روما عن أتالوس الثالث ١٢٢ ق.م. وقد حولتها الى ولاية رومانية منذ عام ١٢٩ ق.م باسم ولاية آسيا. تلتها بثينيا وقد حولها الرومان الى ولاية فى عام ٧٤ ق.م. كما كونت روما ولاية من إقليم كيليكيا فى جنوب آسيا الصغرى وضمت اليها قبرص وكان ذلك فى الفترة بين ٦٤ الى ٥٨ ق.م. وحول بومبي سوريا الى ولاية رومانية بعد استسلامها له فى عام ٦٤ ق.م. وضم أكتافيرس مصر الى أملاك الشعب الرومانى فى عام ٢٠ ق.م. وصارت جلاتيا ولاية رومانية فى عام ٢٥ ق.م. وهكذا تكونت الامبراطورية الرومانية قبل وفاة اغسطس اذ إكتفى الإباطرة من بعده بإضافات هامشية، كما قسموا الولايات القديمة الى أعداد مضاعفة من الولايات الجديدة ،

فتزايد عدد الولايات حتى بلغ أربعين ولاية في عهد السفيريين وما يقرب من مائة في عهد قسطنطين (٢١٢-٢٢٧م). والمناطق التي فتحتها الامبراطورية الرومانية في الشرق بعد أغسطس هي كبادوكيا (١٧م) بمفيليا ولوكيا (٤٢) وتراكيا (٤٦م) وبلاد العرب النبطية (١٠٦م) (١) وولاية ما بين النهرين (١١٥م) وولاية آشور (١١٥م). وبالنظر الى الخريطة يتضح أن هذه المناطق الجديدة تقع على حواف وحدود الامبراطورية، فضلا عن أن أغلبها لم تكن فتوحا ثابتة بل تقلبت تبعيتها بين الرومان وغيرهم مرات.

والواقع أن العوامل التي دفعت الرومان للتوسع أصلا كانت دوافع وقتية في البداية فرضت نفسها على التفكير الروماني، ومن ثم جاء هذا التوسع بغير خطة مدروسة. فبداية إتجاه روما للتوسع في شرق البحر المتوسط جاءت بسبب رغبة روما في حفظ التوازن في هذه المنطقة بين حكام العالم الهلينستي بحيث لا يتضخم نفوذ واحد من هؤلاء الحكام على حساب الآخرين. ومن ثم يصبح هذا الحاكم بعد تزايد نفوذه خطرا يهدد

(١) يطلق على سكان المنطقة النبطيون وكانوا يعملون بالتجارة؛ حيث حققوا ثراء كبيرا بتجاريتهم في بضائع جنوب الجزيرة العربية. وقد حاول أنتيجونس في عام ٢١٢ أن يهزم عاصمتهم البتراء دون نجاح. وبقي ملوكهم مستقلين عن السلوقيين أيضا. استولى أريئاس الأول ملكهم في عام ١٦٩ ق م على مزاب واحتل ليرتاس الثالث في عام ٩٦ ق م دمشق ولكن انسحب منها قبل وصول تيجرانيس في عام ٧٠ ق م. أصبح النبطيون فيما بعد حلفاء وأتباعا لروما أيام ملوكهم عبيدة Obedas الثاني ٦٢-٤٧ ق م ومالكوس الأول ٤٧-٢٠ ق م وعبيدة الثالث ٢٠-٩ ق م وليرتاس الرابع ٩ ق م ٢٩-٢٠ م ومالكوس الثاني ٢٠-٧١ م و Rabilus ٧١-١٠٦ م. وقد حول الامبراطور تراجان بلادهم في العام الأخير إلى ولاية رومانية باسم الولاية العربية.

روما ومصالحها من الشرق-

ثم تزايد التدخل الروماني بسبب لجوء الفرقاء المتصارعين إليها لكي تحسم الخلافات بينهم. صدق هذا على الأمراء المتصارعين على عرش إحدى الدول كما صدق على الدول المتصارعة بهدف توسع أساطرها على حساب الأخرى. وهكذا أصبح التدخل الروماني في شئون دول شرق البحر المتوسط أمراً واقعاً متكرراً خاصة بعد إنتصاراتها في حروبها المقدونية وحروبها ضد الدولة السيلوقية. واتخذت هيبة الرومان في نفوس سكان الشرق، حتى أنها في أحيان كثيرة كان تكفي بإرسال مندوب أو مجموعة من المبعوثين لفرض رأيها عرضاً على تحرك الجيوش وإعلان الحروب (١).
أضاف إلى هذا السامل وغذاه ما خلقه الصراع الداخلي في روما من رغبة الزعماء في تحقيق إنتصارات تحسب لهم عند حسم الصراع على السلطة في روما. ومن ثم بدأ التنافس بين الأحزاب في سبيل ضم هذه المنطقة أو تلك إلى أملاك روما. ووصل التنافس بين الزعماء الرومان من أجل قيادة حملة عسكرية إلى حد الصراع السافر واللجوء

إلى الأساليب والمناورات غير المشروعة (٢).

- (١) ذهب كاتر ومع سفينته للاستيلاء على قبرص ، ولم يجد الملك البطلمي هناك من طريقة للتخلص من المأزق الذي انتحار بدون مقاومة ، وذهبت قبرص إلى أملاك روما دون حرب .
(٢) راجع تفاصيل الصراعات بين القادة الرومان في القرن الأول ق م . فاسلا يفرد روما في عام ٨٨ ق م من أجل تأمين قيادته لحملة على الشرق . وبومبيوس وكراسوس يتحالفان من أجل نفس الهدف ويهدمهم فيرومان .
فوزي مكاري ، تاريخ الرومان ، القاهرة ١٩٦٢ م .

عامل آخر دفع إتجاه الغزو والتوسع وهو رغبة أصحاب روموس
الأموال الرومان في تحقيق ثروات خرافية من خلال شراء ضرائب الولايات
ومن ثم غنوا الصراع ودفعوه بما يحقق مصالحهم..

ويكفى أن نعلم أن سقوط آسيا في يدي مثيرداتيس السادس (١)
تسبب في وقف الضرائب التي كانت تحصل عليها روما. وفوائد الأموال
التي تذهب للمستثمرين الرومان، وقد كان هذا الوضع وراء التعجيل
بإرسال حملة سلا (٨٨ - ٨٤) التي إنتهت بمقد صلح مع مثيرداتيس
انسحب على أثرها إلى عاصته.

وهكذا وجدت روما نفسها خلال قرن واحد صاحبة السيطرة
والسلطة في كل المناطق التي شأت العالم الهلينستي. احتلت هذه
تخطيط أو خطة مسبقة. ومن ثم لم يكن لدى الرومان طريقة جاهزة أو
أسلوب محدد لكي يفرضوه في إدارتهم للولايات الشرقية.

دعم هذه الحقيقة إنشغال روما بسلسلة من الحروب المتواصلة طوال الفترة
التي كونت فيها إمبراطوريتها. فضلا عن إقتران الصراع الخارجى

(١) مثيرداتيس السادس (يونانور ١٢١-٦٢ ق م) يعرف بالأكبر كان ملكا على بونتوس.
إشتبك مع الرومان في ثلاثة حروب. إستولى في الحرب الأولى على أغلب أراضي آسيا
الصغرى وجزر بحر إيجه عدا رودس فضلا عن جزء كبير من بلاد الأغريق. إستمرت
الحرب ٨٨ إلى ٨٤ ق م وقد هزمه سلا وألغى على التخلي عن فتوحاته. وفي الحرب
الثانية (٨٢-٨١ ق م) هزم الرومان. وفي الحرب الثالثة هزم لوكلوس ثم يرمي خلال الفترة
من ٧٤-٦٢ ق م. وقد انسحب إلى شبه جزيرة القرم حيث تعرض لثورة إينه فلوناكس،
وقد قتل بأمر من إينه. كان أخطر أعداء روما في الشرق طوال فترة حكمه.

بضراع داخلي بين القادة الرومان. وقد أدى هذا لعدم وجود فرصة لبلورة نظام إدارة مخطط ومدرّوس يمارسونه في المناطق التي خضعت لسيطرتهم.

يضاف إلى هذا أن مناطق الشرق التي إحتلها الرومان كانت مواطن حضارات قديمة راقية بزت ما عند الرومان وكان لدى أغلب هذه المناطق أنظمة إدارية متكاملة من عصور سابقة.

وهكذا وجد الرومان أنفسهم مدفوعين إلى الأخذ بأساليب الإدارة في تلك الولايات ولم يسموا إلى تغيير نظمها الإدارية إلا بالقدر الذي يوجه هذه الإدارة لمصالحهم (١).

إن العناصر التي حكمت سياسة روما في الولايات تركزت على تحقيق هدفين ... الأول هو تحقيق أمن الامبراطورية والثاني تحقيق أكبر عائد من الولايات بما يعود على روما بالخير العميم وهكذا نجد حاكم الولاية لايزيد اختصاصه فوق الناحيتين المذكورتين عن الاشراف العام على المسائل المحلية. وعقد مجلس قضائي للفصل في المسائل ذات الأهمية الخاصة. وماعدا ذلك من شئون الإدارة فقد تركه الرومان للوطنيين سواء فيما يخص عاداتهم أو معتقداتهم أو لغاتهم.

M. Cary & H. H. Scullard , A History of Rome , London , 1979, (١)

ولتحقيق أمن الامبراطورية وجد الرومان أنفسهم مضطرين الى الاهتمام بحماية حدود الامبراطورية مع جيرانها من دول أو قبائل. وقد أدى هذا الى قيام الامبراطورية بأقامة نظام دفاعي وتحصينات على الحدود والدخول في الحروب واتفاقات مع جيران الامبراطورية في الشرق. ولكن أمن الولايات لايتحقق فقط بحماية حدودها وإنما بالسيطرة أيضا على الولايات نفسها فعملوا لكل منها حكومة هدفها الأول ضمان أمنها. كما لجأت الامبراطورية في أحيان كثيرة لقوات الجيش لكي تضرب أي محاولة للتمرد بين السكان. ولعل هذا يفسر التعديلات الكثيرة التي طرأت على حدود الولايات الشرقية بضم البعض أو فصله في ولايات مستقلة.

استغلال رومانيا للولايات الشرقية

ضمت الامبراطورية الرومانية مناطق شرق البحر المتوسط وصارت كل بلاده ولايات رومانية. وبمقتضى اتفاق تم في عام ٢٧ق.م. ثم اقتسام الولايات بين مجلس الشيوخ والامبراطور لإدارتها والملاحظ أن الإمبراطور قد إختص في هذه الاتفاقية بالولايات المنضمة حديثا الى الامبراطورية وكذا الولايات الواقعة على الحدود فقد كانت الأمور هناك مائتزال بعيدة عن الاستقرار وفي حاجة الى تواجد عسكري مكثف. بينما كلف مجلس الشيوخ بادارة الولايات التي إستتبت أمورها وانتظم الولاء فيها للرومان. والشرق في أغلبه يقع ضمن الولايات الامبراطورية، فيما عدا استثناءات بسيطة كولاية آسيا مثلا. والمعروف أن الولايات التي خضعت لمجلس الشيوخ كان يحكمها قناصل سابقون أو برايتورز سابقون وتلك التي تتبع الامبراطور كان يحكمها ليجاتوس أو بروكوراتور ولكن مصر وحدها كان يحكمها موظف آخر يدعى Praefectus وقد حاول المؤرخون القدامى والحدثون أن يجدوا تفسيرات لهذا التصرف وغيره تجاه مصر في إهتمام الاباطرة ابتداء من اغسطس بتأمينها حتى لايميب أحد إيطاليا بمجاعة عن طريق السيطرة على تلك الولاية ومنافذها البرية والبحرية....^(١).

(١) زكي علي ، كليوباترة ، القاهرة ، بدون ، حرس ١٥٢ - ١٥٧

وقد عانت الولايات تحت الحكم الرومانى ظروف القهر السياسى والاستغلال الاقتصادى ومع ذلك لم تتوقف المقاومة المحلية أملا فى غد أفضل كما لم يتوقف إنسان هذه البلاد عن الإيداع والانتاج.

ويميز المؤرخون عادة بين فترتين من حكم روما للولايات الأولى : فترة الجمهورية وقد تميزت باستغلال روما للولايات التابعة لها بشكل عنيف وبشع. والثانية العهد الامبراطورى، فإن الولايات باستثناء مصر أصبحت لاتخضع لاستغلال منظم وأثنى بمعركة روما.

كان الاستغلال الاقتصادى للولايات فى العصر الجمهورى يسير فى طريقين: إستغلال رسمى تمارسه الدولة نفسها واستغلال خاص يقوم به بعض الخواص الرومانيين.

١ - الاستغلال الرسمى كان يبدأ مباشرة بعد انهزام الشعوب. أعداد الأسرى المبيد والغنائم والغرامات الحربية فضلا عن إعتبار أراضى المهزومين من أراضى الدولة الرومانية *Ager Publicus* وكانت هذه الأراضى تخضع للتوزيع على الرومان أو تترك للأهالى مقابل اداء أتاوة يختلف اسمها وشكلها من إقليم لآخر. وكانت هذه الأتاوة تدفع إما عينا أو نقدا.

يضاف الى هذه الأتاوة ضريبة أخرى مباشرة وهى ضريبة الرؤوس *Tributum Capitis* وتزدى على الأشخاص أنفسهم كما كان الحال فى

مصر وفي يهودية، وهناك ضرائب غير مباشرة كالملكوس والضرائب على
إعتاق الرقيق وضريبة بيع العبد، بالإضافة الى ما سبق كانت بعض الولايات
ملتزمة بالمساهمة في تمويل روما بالقمح كما كانت روما تلزم كل ولاية
بتمويل الحامية العسكرية المستقرة فيها، ومن ذلك مثلاً ما فعله سلا في ولاية
آسيا (٨٥ق م) عندما فرض تمويل جيشه على حساب مدن هذه الولاية.

ولم تكتف روما بكل هذه الأشكال الاستغلالية، وإنما فرضت أشكالاً
أخرى من التدخل السافر في الاقتصاد فمنعت بعض الولايات من زراعة
بعض أنواع الأشجار حماية لانتاج إيطاليا.

ب - إستغلال المواطنين الرومان للولايات، ويمكن أن نحدد
نوعين من المستغلين. فهناك الولاة وأعوانهم الذين كانوا يستغلون نفوذهم
بتجميع الثروات على حساب الأهالي وكذلك على حساب الدولة الرومانية
والأمثلة متعددة منها عدد من ولاة آسيا. وكان الولاة بصفة عامة يستغلون
نفوذهم لمصادرة أملاك الأهالي وبيع قيمة الضرائب، كما كانوا يستفيدون
من غنائم الحروب التي يشنونها في الولايات مثل حملات بومبيوس في
الشرق بالإضافة الى الهدايا التي كانوا يتلقونها من أعيان المدن أو من
شركات ملتزمة بجباية الضرائب.

والآخرون كانوا النوع الثاني من المستغلين. فقد كان ملتزمو جباية
الضرائب - وغيرهم من المتعاملين في شئون الولايات الاقتصادية - على
اتفاق مع الولاة في غالب الأحوال على إقتسام الأرباح وتنظيم الاستغلال.

وبالنسبة للشرق نجد أن شيشرون نفسه قد أوضح في إحدى رسائله إلى صديقه أتيكوس (١) كيف كان يوفق بين مصالح الجباة وقدرة الأهالي على تسديد الضرائب. ولما رجع إلى روما كان هو نفسه قد جمع قدراً كبيراً من المال. وبالإضافة إلى جباة الضرائب كبار التجار الذين تعاملوا في القروض بفوائد مرتفعة بلغت ٤٨٪. ويكفي دليلاً على مدى تأثير روما بما كان يجري في الولايات قول شيشرون "صدقوني أن كل قروضنا وكل الأعمال المالية التي تبرم هنا في الفورم مرهونة بمداخيل ولاية إسبانيا".

وإذا كانت هذه هي حالة إستغلال روما للولايات في القرن الأول ق م فإن التغيير الأساسي الذي حدث خلال العصر الإمبراطوري كان إستبدال ملتزمي جباية الضرائب تدريجياً بعدد متزايد من الموظفين العاملين لصالح الإمبراطور.

وقد سبقت الإشارة إلى تزايد قوة الحكومة المركزية الذي إتسمت به الإدارة في عهد الأباطرة. ومنذ عهد أغسطس انتزعت الدولة من الشركات جباية الضرائب المباشرة (الضرائب العقارية وضريبة الرأس). وأصبح الأهالي يؤدونها مباشرة إلى الدولة. إما الضرائب غير المباشرة، فظلت تسند إلى الجباة الملتزمين تحت مراقبة موظفين يعينهم الإمبراطور لهذا

(١) T. Pomponius Atticus وهو رجل بنوك شديد الثراء إتخذ موقف الحياد سياسياً.

الغرض تحت إشراف البروكوراتورييس Procuratores .

وقد أدى تشديد الرقابة على شركات ملتزمى الضرائب الى التقليل من أرباحهم ومن ثم بدأت تتقلص حتى إختفت على عهد تراجان (٩٧ - ١١٧ م) وحل محل هذه الشركات فى جباية المكوس افراد أغنياء Conductores واسند ما بقى من ضرائب غير مباشرة الى موظفين حكوميين. وأصبحت كل الضرائب تجبىها الدولة إعتبارا من عصر ماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠ .

كانت الضرائب تفرض على الولايات بصورة غير عادلة فبينما ظلت إيطاليا ممتعة من الضريبة العقارية حتى القرن الرابع الميلادى كانت مصر مثقلة بمختلف الاتاوات . ولم تكن هناك كذلك إية عدالة فى توزيع أعباء الضرائب على الشرائح الاجتماعية المختلفة فبينما كانت الشرائح السفلى من المجتمع تؤدى الضرائب فعلا كانت الاستقراطية فى الأقاليم تتهرب بمختلف الوسائل من أداء الضرائب خاصة بعد ضعف السلطة المركزية إبتداء من القرن الثالث م.

خلاصة القول أن الدولة الرومانية كانت تعتبر الولايات مصدرا رئيسيا من مصادر الدخل وكان أهالى الولايات يتعرضون لكل أنواع الاستغلال من الرومان ومن الاستقراطية المحلية (١).

M . Carry & H . H . Scullard , op . Cit 169 F . F . (١)

٢- الشرق في سياسة الإمبراطورية الرومانية

(١) الشرق في عصر أغسطس:

كانت المشكلة الرئيسية في سياسة أغسطس الشرقية هي علاقاته بملوك بارثيا وأرمينيا ففي أرمينيا استولى على العرش أرتاكسيس Artaxes وهو العرش الذي كان أنطونيوس قد اهداه لابن كليوباترة في عام ٢٢ ق.م. وقام بمذبحة لكل الرومان الموجودين في البلاد انتقاما لأبيه. وبعد معركة أكتيوم (١) والاستيلاء على مصر صار أغسطس مسئولا عن الشار للرومان من أرمينيا، وإقرار الأحوال في بارثيا، خاصة وأغسطس يقود جيشا قويا مستعدا، بينما كان الملك البارثي فراتيس Phraates مشغولا في ذلك الوقت بحرب ضد أحد منافسيه المدعو تيريداتس Tiridates . لم يستغل أغسطس الفرصة بتسيير الجيوش ورأى أن إستعادة الهيبة الرومانية في الشرق يمكن أن تتم باتباع الأساليب الدبلوماسية الهادئة بشرط أن تكون مضمونة النتائج، ولذلك لم يتخذ أى إجراء ضد أرتاكسيس وكذلك لم يقدم للثائر تيريداتس أكثر من دعم معنوي. وبعد عشر سنوات

(١) أكتيوم رأس في الشمال الغربي لبلاد الأفريق وقد إتمتع اكتافوريوس (أغسطس فيما بعد) هناك على الأنطونيوس وكليوباترة عام ٢١ ق.م.

ظهرت فرصة جديدة أمام أغسطس للتدخل في شئون أرمينيا عندما سمعت المعارضة لاحتلال تجرانيس محل أخيه أرتاكسيس على العرش الأرمني . وكان تجرانيس قد أبدى رغبته في روما في أن ملكا عميلا للرومان . عندئذ أرسل الإمبراطور ابنه بالتبني تيبيريوس لكي يتوج تجرانيس في العاصمة الأرمينية . وبمجرد استعراض للقوة كان تيبيريوس قادرا على حل كل المشاكل المعلقة مع البارثيين (٢٠ق م) . اغتيل أرتاكسيس وتهديد بسيط بالغزو استطاع تيبيريوس أن يجعل الملك البارثي يفرج عن كل الباقين من الأسرى الرومان لديه وكذلك كل الأعلام التي استولى عليها من قبل . وقد استغل أغسطس هذه الانجازات غير المكلفة لكي يعلن أنه قد هزم أرمينيا وأنه فرض على الملك البارثي أن يجثو على ركبته . واستطاع بذلك أن يخرس الألسنة الداعية للانتقام من بارثيا .

بعد موت تجرانيس (١٦ق م تقريبا) وقعت أرمينيا من جديد تحت السيطرة البارثية . عندئذ لم يقم الإمبراطور بأي محاولة جادة لاستعادة الأرض المفقودة إلى أن وصل حفيده جايوس قيصر إلى عمر مناسب لتولي قيادة الجيش . فأرسله إلى هناك في عام ١٢ق م . وقد كرر جايوس قيصر ما سبق لتيبيريوس أن قام به فدعم أحد الأمراء المدعو Ariobarzanes للوصول للعرش الأرميني . وأوقع الرعب في قلب الملك البارثي الجديد فراتاكيس Phraataces . حقيقة حاول المقاومة ضد

جايوس، وإستطاع أن يطرح الولاء لروما بعد عودته بقليل. ولكن
الامبراطور لم يسمح للأحداث على الحدود الشرقية أن تتجاوز هذا الحد
رغم وقوع مشاكل داخلية في كل من أرمينيا وبارثيا خلال السنوات العشر
الآخيرة من حياة الامبراطور.

أن سياسة أغسطس تجاه أرمينيا وبارثيا كانت وسطا بين سياسة
قيصرو أنطونيوس الهادفة الى هزيمة أرمينيا وبين تركها صراحة للسيادة
البارثية. الاتجاه الأخير الذي كان الحل الأمثل للرومان بالنسبة للمشكلة
الشرقية كان يواجه مقاومة حقيقية في روما، أما الحل الأول فكان مغامرة
غير مضمونة العواقب. أما سياسة أغسطس فقد أمنت الحدود الرومانية ضد
الغزو وخففت من ذكرى الهزائم الرومانية السابقة بدون خسائر ضخمة
سواء في الرجال أو المال.

بقيت بعض القبائل الجبلية في جبال طوروس ترفض الخضوع
للرومان ولم تستطع حملات Servilius Iscauricus ولاهومي أن تفرض
عليهم التبعية لروما. وقد طلبت روما من الملك الجلاتي ديوتاروس وخليفته
أموتاس أن يمارسا بعض الرقابة على القبائل المتمردة. وبعد موت
أموتاس في عام ٢٥ ق م ضم أغسطس جلاتيا وتولى مسئولية إقرار السلام
في الهضبة الوسطى.

لم يتخذ في البداية أي إجراءات أكثر من بناء مستعمرة عسكرية

فى أنطيوخ فى Pisidia. ولكنه أمر فيما بين ١٢ق م واحد ميلادية أمر حاكم جلاتيا P.Sulpicius Quirinius أن يطارد الهرموناديس Homonadeis اللصوص فى غاباتهم على الحدود تجاه كيليكيا. وبعد عدة حملات شاقة استطاع كويرنيوس أن يهدئ هذه المنطقة بأعادة توطين السكان فى السهول القريبة وأقيمت سلسلة من المستعمرات الجديدة - كانت لوسترا Lystra هى المستعمرة الرئيسية بينها- لكى تخدم كنقاط متقدمة للقاعدة الرئيسية فى أنطيوخ (١).

(٢)- الفرق لى عصر المسرة اليوليوسلاوذية:

يهودية:

كانت منطقة الاضطراب الرئيسية فى شرق البحر المتوسط أيام الاباطرة المبكرين تقع فى فلسطين، حيث ظل السكان اليهود مصدر قلق وتمرد تحت الحكم الرومانى . وطبقا لاتفاقية أغسطس مع السناتو فإن حكام يهودية كانت لديهم تعليمات بالسماح للسكان بممارسة عبادتهم الخاصة. وقد مارس الكاهن الاكبر يساعده مجلس السنهدين Sanhedrin فى اورشليم السلطات المعتادة لحكومة مستقلة فى شئونها الداخلية والقضاء والدين دون تدخل؛ وفى مقابل هذه التنازلات كان كبار الكهنة

(١) .M . Carry & H . H . Scullard , Ibid , P . 333 .

وملاك الأراضي الكبار المثلين في السنهدين يتعاونون مع الرومان. ولكن عامة اليهود الذين ايقظت ثورة المكابيين عصبيتهم ضد غير اليهود رأوا أن يوم الخلاص من الحكم الأجنبي صار قريبا. وساد الاعتقاد بأن المسيح المنتظر قادم ليحررهم ورأى البعض أن يهينوا لقدمه. بعد ضم يهودية للرومان في عام ٦ ميلادية بقليل قامت مقاومة مسلحة ضد المسؤولين الرومان عن التعداد. وهاجمت عصابات السيكاري أو أصحاب السكاكين الذين كانوا قد هربوا الى الصحراء تحت ضغط القوات الرومانية هاجمت البلاد باستمرار. وفي عام ١٠م حدث تراجع روماني مفاجئ عن سياسة التسامح الديني الذي إنبعه أغسطس بأمر من كاليجولا الذي أمر اليهود أن يقيموا تماثالا له في معبد اورشليم. وقد أدى هذا الى ثورة عامة في فلسطين. تم تحذير الامبراطور من الثورة التي يمكن أن تحدث وكان أصحاب التحذير بترونيوس P.petronius حاكم سوريا وكذلك جوليوس أجريبا (هيرود أجريبا) حفيد هيرود الكبير والمقرب للبلاط الروماني. فحصر كاليجولا النظر عن طلبه ولكنه فجأة عاد عن وعده وأمر بإقامة التمثال كما أمر باعدام بترونيوس. ولكن وفاة الامبراطور بعد ذلك بوقت قصير أنقذت بترونيوس من الموت ومنعت اندلاع ثورة في فلسطين. ولكن مجرد محاولة فرض عبادة الامبراطور هناك دعم موقف المتعصبين ضد الرومان. وانتهت خطط كاليجولا لإقامة أجريبا على عرش جده بالموت

المفاجئ للملك الجديد ١١.

ونظرا لتواضع القيمة العسكرية اليهودية فقد استند أمرها إلى بروكوراتور Procurator، تحت للإشراف العام لقائد سوريا Legatus. لم يوفق الأنظار في اختيار البروكوراتوريس فان الاضطراب المالي الذي عانت منه المنطقة وعلى وجه الخصوص خلال فترة أنطونيوس فيلكس Antonius Felix أخى بالاسن منتوق كلوديوس (٥٢-٦٠) أعادت إلى الأذهان الأيام السوداء "على عهد الجمهورية. ولكن الخطأ الأكبر للحكام الرومان كانت الضراوة التي يواجهون بها التمردات المتكررة. فمثلا Pontius Pilat (٢٦-٣٦) قام بسلسلة من الغارات ختمها بمذبحة ليعضى السامريين بغير داع على جبل Gerizim : صحيح أنه عزل وأعيد لروما بأمر من قائد سوريا Vitetius ولكن في أحيان أخرى لم يكن مرتكبوا مثل هذه الأحداث يحاسبون. ومن ثم كان على الحكام أن يواجهوا تمردات سياسية واجتماعية ودينية على جبهة عريضة. وعلى كل فإن هذه المذابح التي قام بها الرومان أسهمت أكثر من أى شئ آخر في إيصال البلاد للحرب. في عام ٦٦م حدثت مذبحة من الوثنيين ضد اليهود في قيصرية، وكان ذلك بموافقة من البروكوراتور Gessius Florus. وقد أدت هذه المذبحة إلى قيام ثورة في اورشليم حيث أصبحت اليد العليا للمتعمسين Zealot. Florus بدى عاجزا، كما أن قائد سوريا Cestius Gallus حضر على

رأس جيش من ٢٠ ألف رجل وبدأ في محاصرة قلعة اورشليم. ولكنه في نوبة عصبية مع إكتراب الشتاء أمر برفع الحصار ثم قام بتقهقر مأساوى من فلسطين. انتشرت الثورة في كل يهودية بعد هذه المهزلة وامتدت الى الجليل وأجزاء عبر الاردن، وأصبحت مدن فلسطينية عديدة ميادين قتال، وفيها قام اليهود والرثيون بذبح بعضهم البعض كلما كانت لاحدهم الغلبة في مكان. جمعت الثورة المعتدلين اليهود مع المتعصبين ونظمت القوات الثائرة ودربت.

أسرع نيرون بإرسال جيش تحت إمرة فلافيوس فسبسيان *Flavius Vaspasianus* وهذا لم يكن ضابطا محبوبا من البلاط ولكنه كان صاحب تاريخ عسكرى جيد. كما أنه كان بسبب أصله الفامض يعتبر رجلا مأمون الجانب لكي يترك على رأس جيش كبير.

استطاع فسبسيان بقواته التي زادت عن ٥٠ ألف جندى أن يخضع الجليل في عام ٦٧ وأراض عبر الاردن في ٦٨. وبذلك حصر الثورة في أراضى يهودية الأصلية. عند ذلك الوقت أوقف فسبسيان عملياته العسكرية بإدعاء أن نيرون، الذى أخذ منه أوامره، قد عزل ولكن اليهود لم يكونوا قادرين على الاستفادة من المهلة المتاحة. حيث لم يصمد الاتحاد بين اليهود طويلا و سرعان ما حدثت نزاعات بين المعتدلين و المتعصبين في اورشليم ، فأصبحت مقاومة المعتدلين فاترة ، إن وجهة نظر اليهود في هذه

الحرب وصلتنا من خلال كتابات يوسف اليهودى الذى كان ضابطا صغيرا لعب دورا فى المراحل الاولى للحرب ، ثم استسلم لفبسيان فى عام ٦٧ . وقد كوفى بمنحه الجنسية الرومانية . ومع نهاية حكم نيرون صار للمتعبين اليد العليا فى اورشليم . ولكن فلسطين ككل كانت قد استعادها الرومان (١).

ان تعصب كل من اليهود والوثنيين كان السبب الاصلى لاندلاع حرب اليهود وقد وقعت مصادمات بين الطائفتين فى مختلف المدن فى الشرق فى مناسبات متعددة حيث كان المستوطنون اليهود يقيمون فى تنافس مع السكان المتأخرين. وكانت هذه التناقضات تبدأ عادة بمحاولة المتأخرين إنكار الحقوق التى اقراها الملوك الهلينستيين لليهود واكدها قيصر ثم افسطس. لقد كان مركز الصراع الاساسى فى الاسكندرية، حيث كان هناك وجود يهودى كثيف كونوا طائفة لها مجلس ورئيس. ومع ذلك كانوا يطالبون بحقوق المواطنة الاسكندرية على قدم المساواة مع الاغريق. والآخرين كانوا يحقدون على اليهود، نظرا لحرمانهم من وجود مجلس شورى وهكذا نما شعور بين السكندريين مضاد للرومان قاده ايزودور ولامبون. وكان عليهما ان يواجهوا الموت فى سبيل وطنهما وقد خلدت قصة هذه المواجهات فى اعمال اديبة شعبية ذاعت وانتشرت ويطلق عليها أعمال

(١) . FF . 1, 1978, Penguin BKS, England, The Jewish War, Josephus.

الشهداء الوثنيين. في عام ٢٨م استغل الاغريق الفرصة وأعلنوا عدم ولاء اليهود في الاسكندرية عندما رفض هؤلاء أن يعبدوا كاليجولا كما أمر، رقام حاكم مصر أنيليوس فلاكوس *Avilius Flaccus* ، بتأييد هجمات قام بها الاغريق ضد السكان اليهود. بعد الأحداث استدعى فلاكوس وقتل بينما أرسل كل من اليهود والاغريق في الاسكندرية مندوبين إلى كاليجولا. ونظرا لأن اليهود كان يقودهم الفيلسوف فيلو. بينما كان يقود الوفد السكندري إيزودور. صرف كاليجولا الوفد اليهودي بعد أن أوضح أن عليهم أن يقدموا تضحيات من أجله لا أن يضحووا له. وعند اعتقاله للعرش فإن كلاوديوس أصدر منشورين، واحد يؤكد فيه الامتيازات التي أقرها لليهود الاسكندريين، وفي الآخر لليهود في اتحاد العالم. ومع ذلك فقد ثارت مشاكل في الاسكندرية في عام ٤١. وخطابه في الرد على الفريقين يظهر منه أنه لم ينتصر لأحدهما تماما وحذرهما كلاهما بأن عليهم أن يحفظوا السلام في الاسكندرية. "والا فإنتي ساكون مضطرا أن أبين له كيف يكون الأمير الحليم عندما يغضب" لقد أمر الاغريق أن يكونوا رحياء باليهود وأمر اليهود أن يتوقعوا "عن صنع الوفاء العام في العالم (١)".

وفي عام ٥٢ قدم وفد إغريقي من الاسكندرية تقريراً ضد أجريبا الثاني

(١) عبد اللطيف احمد علي ، مصر والأمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، القاهرة.

امام كلوديوس، ولكنهم فشلوا في الايقاع به وأعدم إيزودور ولاميون بعد أن أهانوا الامبراطور. وقد استغل يهود الاسكندرية في عام ٦٦م قيام الثورة في فلسطين لكن يقوموا بعنف ضد الأغريق ولكن حاكم مصر تيبيريوس الاسكندر ضرب المعتدين بقسوة. وبعبداً عن تلك المحاولة الفاشلة في الاسكندرية قلن ثورة اليهود لم تنتشر في أنحاء أخرى من العالم...

أرمينيا وبارثيا :

قام الرومان في آسيا الصغرى بعدد من الحملات الثارية ضد القبائل المتمردة في جبال طوروس، ولكن حجم هذه الحملات تقلص حتى أصبحت في حجم الأعمال البوليسية. وتم ضم ساحل لوكيا وبامفيليا في ولاية واحدة في عام ٤٢ تسهيلا للدفاع عن المرتفعات الجنوبية. ولكن العمل الأكثر أهمية كان إخضاع تيبيريوس لملكة كبادوكيا في عام ١٧م ثم تحويلها الى ولاية رومانية وذلك لكن يقوى الحدود الرومانية على طول الفرات. اما الكوماجين في شمال سوريا فكانوا يعيشون فترة قلق ولذلك بمجرد موت ملكهم في عام ١٧م ضم تيبيريوس بلادهم. وفي عهد كاليجولا أعادها الملك أنطيوخس الرابع ثم بعد ذلك عزله، ولكن أنطيوخس عاد مرة أخرى الى عرشه على يد كلوديوس ٤١ وظل يحكم حتى عزله فسبسيان عام ٧٢م.

وبالنسبة للعلاقات مع أرمينيا وبارثيا قلن خلفاء أغسطس ساروا

على نهجه في فرض السيادة الرومانية بأقل قدر ممكن من الجهد
المسكبي. ولكن تراخي الرومان وتضاءل حذرهم ومع ذلك فقد ساعدتهم
التردد الذي ميز حركة الملوك البارثيين. ولذلك فما من مرة فقد فيها
الرومان نفوذهم على الفرات الا وكان ذلك ينتهي دائما باستعادتهم له.
وعند موت أغسطس كان الحاكم البارثي أرتابانوس Artabanus لم يكن
قد دعم مكانة جيدا. أما أرمينيا فكانت في حالة من الفوضى. ومع ذلك
فإن تيبيريوس لم يتحرك حتى عام ١٨، عندما دعى نيلاء أرمينيا أميرا
من واحدة من الأسر المالكة الصغيرة في آسيا الصغرى لكي يصبح ملكا
عليهم. عندئذ عين الإمبراطور ابن أخيه جرمانيكوس Germanicus،
الذي كان قد أرسل حديثا في جولة تفقدية في الولايات الشرقية، نحن
يمنح الشاح لمرشح الأرمنيين في أرتاكساتا Artaxata (١) - وهو احتفال
شارك تيبيريوس نفسه في مثل له قبل ذلك بأربعين سنة في ظروف
مشابهة تماما. الملك الجديد أرتاكسيس Artaxes، حكم بدون إنقطاع
حتى عام ٢٥م. وعند موته فإن الملك البارثي أرتابانوس، الذي أذعن لتتويج
أرتاكسيس، أراد أن يسبق تيبيريوس فحرض أحد أبنائه للاستيلاء على
أرمينيا لنفسه. ولكن الداهية الروماني تخلص من هذا المأزق بذلك. فقد
حرض مفامر إيبيري يدعى مشيريداتس فهزم القوات البارثية وطردها

خارج أرمينيا وأمن العرش لنفسه. كما حرض مطالب بمرش بارثيا يدعى تيريداتس Tiridates استطاع أن يطرد أرتابانوس مؤقتا من كل أقاليم الغربية. حقيقة أن الأخير إستعاد الأقاليم المفقودة بدون منأوءة من جانب الرومان، ولكنه لم يتم بأي محاولة لطرد مثيريداتس من أرمينيا.

ضاعت ثمار سياسة تيسيريوس الحاذقة بسبب سوء تصرف الإمبراطورين التاليين. فكاليجولا قدم أرمينيا هدية لأرتابانوس. بإقتدائه على استدعاء مثيريداتس إلى روما وجبته هناك بدون سبب واضح ومن ثم إستولى أرتابانوس على البلاد دون مقاومة. أما كلوديوس فقد نجح في البداية في إعادة مثيريداتس بمعونة قوة عسكرية رومانية صغيرة . تم ذلك عندما كان جوتارزيس Gotarzes خليفة أرتابانوس مشغولا بالصراعات الأسرية في وطنه . ولكن في عام ٥٢ قام ابن أخ مثيريداتس المدعو رادامستوس Radamistus وهو مغامر أيبيري هاجم أرمينيا وقتل عنه غدواء وقد ترك الرومان مثيريداتس يقع في الكمين دون أي عون كما لم تصله أية معونة من الحكام الرومان المجاورين . ان تجاهل روما لما نال الملك العميل لها ساعد الملك البارثي الجديد فولوجيسيس Vologeses في كسب الموقف لصالحه فساعد الأرمينيين في التخلص من الدخيل رادامستوس كما أروضاهم بأن جعل تيريداتس أخاه محله

وعند إعتلاء نيرون للعرش فإن حاكم كبادوكيا الروماني يوليوس بايليغريوس Julius Paeligrius الذي كان مسئولاً بصورة رئيسية عن فقد أرمينيا تم استبداله في عام ٥٥ بضابط يدعى Domitius Corbulo. وكان قد خدم بامتياز على جبهة الرين. كانت تعليمات الحاكم الجديد تقضى بإجراء مفاوضات مع فولوجيسس على أساس إعترااف الرومان بتيريداتس بشرط أن يتسلم تاجه من مثل نيرون. وحذره بأن رفض تيريداتس لهذه الاتفاقية سيؤدي بكوريولو لغزو أرمينيا بجيش كبير. وبعد عام كامل من التدريبات القاسية للتخلص من حالة الاسترخاء التي كانت تسود القوات الرومانية على الجبهات الشرقية، قام القائد الروماني بعبور جرى لهضبة Erzerum في وادي Araxas . ثم قام بحملتين سريعتين احتل خلالهما وحرق ارتاكساتا ثم أعاد مسيرة Lucullus عبر الأراضي الأرمينية العليا الى Tigranocerta (٥٨-٥٩) ومن هذه القاعدة أخضع بأسلوب منظم كل أرمينيا خلال الصيف التالي، حتى أن تيريداتس -الذي كان في نفس الوقت قد فقد دعم أخيه بسبب ثورة على الحدود الشرقية لبارثيا- أخلى مملكة كلية. وفي عام ٦٠ لجأ كوريولو لحل المسألة الأرمينية مؤقتاً بتتويج أمير يدعى تجرانيس من الأسرة المالكة السابقة في كبادوكيا ملكاً على أرمينيا.

في العام التالي أثار الحاكم الجديد لأرمينيا أثار فولوجيسس

بقيامه بغارة على ميزوبوتاميا. عندئذ فلن الملك البارثي الذي كان قد انتهى من مشاكله أخذ بالثار من تجرانيس بأن حبسه في Tigranocerta . وبالنسبة للموقف الروماني رد كوربولو الذي كان قد نقل الى ولاية سوريا الأكثر أهمية رد بمنزله من عرش أرمينيا. ووافق على إعادة تيريداتس بشرط الاعتراف بالسيادة الرومانية. ورغم قبول تيريداتس لهذه الشروط إلا أنها رفضت من جانب نيرون نفسه، حدث صدام مباشر بين الرومان والبارثيين. عند بداية الحرب بقي كوربولو ساكنا في سوريا. بينما سعى حاكم كبادوكيا الجديد M. Caesennius Pactus إلى منافسة غارات سلفه في أرمينيا. (٦٢) تقدم بايتوس بغير حذر في جنوب أرمينيا بقوة غير كافية مما جعله يفاجأ بفولوجيسس عند Rhandaia فاضطر للتقهقر وفي غياب المساعدة الفورية من سوريا اضطر للانسحاب. واضطر للتسليم واخلى الرومان أرمينيا. وكان ملكها في ذلك الوقت تيريداتس (٦٢-٦٣).

وجاء الوقت لحساب بايتوس في روما، بينما كوربولو تلقى ترقية لايستحقها بأن أصبح قائدا عاما على كل قوات جبهة الفرات. وبقوة جيش مدعم من أوروبا وصل عدده إلى ٥٠ ألف جندي أنهى غزوه لأرمينيا عام ٦٤م. إن التمسيم الروماني أدى إلى عرض بالسلام قدمه فولوجيسس كما أن تيريداتس وافق على أن يتقلد تاج أرمينيا من الامبراطور شخصيا. وفي عام ٦٥-٦٦ أبحر الملك الأرمني إلى روما حيث استقبله نيرون وتوجه

ملكا على أرمينيا. وقد ظلت الصداقة التي أقيمت في ذلك الوقت بين روما والمملكتين الشرقيتين قائمة لمدة نصف قرن قادم رغم بعض الاضطرابات من آن لآخر.

وكان نيرون في عام ٦٤ قد سعى الى تأمين حدود أرمينيا بتحويل مملكة بونتس الى ولاية ضمن جلاتيا، وبهذه الحدود صارت الحكومة الرومانية صاحبة سيطرة على البحر الأسود وفي نهاية أيام نيرون كان يأمل في تحقيق حلم بومبي بالوصول بالحدود الرومانية الى بحر قزوين ولكن هذا المشروع لم يتحقق أبدا في حياته ثم أهمل بعد وفاته، والملفت للنظر أنه بعد خمسين سنة من المواجهة العسكرية على الجبهة الأرمينية والبارثية بقيت الحدود كما هي تقريبا.

ولكن من عهد نيرون يلاحظ أن الحامية الرومانية على طول جبهة الفرات كان تزداد عدداً على حساب أقسام الرين والدانوب..(١)

الشرق في عصر الإمبراطور السلاجين :

أرمينيا و باورثيسا :

ضم تراجان العديد من المناطق التي تقع على الحدود الشرقية للإمبراطورية، وكانت إمارة عبر الاردن التي حكمها هيروود أجريبا الثاني

(١) M . Cary & H . H . Scullard , OP . Cit P . 370.

لمدة خمسين عاماً تقريباً هي وإمارة حمص Emesa قد ضمتا بأفعل إلى سوريا على يد دومتيان (حوالي ١٩٢). أما تراجان فقد قام بعمل أكثر أهمية في عام ١٠٥م عندما استولى على مملكة العرب النبطيين الذين كان موقعهم حاكماً على طرق تجارة القوافل القادمة من الصحراء العربية إلى البحر الأحمر والساحل الفلسطيني. وكان هذا الموقع قد جعل للمملكة أهمية تجارية كبيرة. تحولت للملكة النبطية إلى ولاية باسم "الولاية العربية" ضمت الولاية الجديدة منطقة النقب وربما سيناء ولكن إقليم دمشق في نهاية حدودها الشمالية ألحق بولاية سوريا. من هذه المدينة أنشئ طريق عليه تحصينات يمر عبر بصرى Bostra (التي كانت قد صارت مقر قيادة فرقة عسكرية رومانية) ثم البتراء إلى أيلة على الخليج العقبة.

وقرب نهاية حكم تراجان اجتاز هذا الامبراطور الحدود الرومانية على نهر الفرات وهي الحدود التي أقامها أغسطس ورفض تيرين تجاوزها. وكان هذا تغيراً جذرياً في السياسة الرومانية في الشرق حدث بسبب استفزاز الملك البارثي خسرو Chosroes للامبراطور. فخلال حكم باكورس Pacorus الأخ الأكبر لخسرو قبل تراجان إلياس التاج الأرميني إلى الإبن الثاني لباركورس المدعو أكسيدارس Axidares، بإعتبار أن الإبن الأكبر بارثاماسيرس Parthamasiris سوف يخلف أباه باكورس على عرش بارثيا. ولكن بعد وفاة الملك تخطى النبلاء البارثيين بارثاماسيرس واختاروا

عمه خسرو ليمتلى عرش بارثيا (١١٢) وحتى يامن جانب ابن أخيه قام خسرو الحاكم البارثي الجديد بتحريض بارثاماسيرس للاستيلاء على أرمينيا لنفسه (١١٢). ولكن رغم إستيلاء بارثاماسيرس على أرمينيا إلا أنه فشل في طرد أكسیدارس من المناطق النائية من المملكة. وفي نفس الوقت تعرض خسرو لهجوم مطالب بالعرش في الأقاليم الشرقية من بارثيا. قبل تراجع التحدى وحرك كل قواته الموجودة في الشرق عندئذ قدم بارثاماسيرس عرضا بأن يتولى حكم أرمينيا بنفس الشروط التي اعتلى تيريداتس على أساسها العرش أيام نيرون. لم يعط الامبراطور الروماني ردا فوريا، ولكنه دعى الملك الأرميني للقاءه بالقرب من Erzerum. ورغم تأكيدات الملك بولائه للامبراطورية الرومانية، إلا أن تراجع أعلن عزل بارثاماسيرس كما أعلن تحويل أرمينيا الى ولاية رومانية (١١٤).

كان ضم أرمينيا فيما يبدو الهدف الأصلي لتراجان. وكان دافعه تأمين الحدود الشرقية ضد القبائل القوقازية، بما فيها Alans، الذين كانوا يتحركون جنوبا، ولكن ضمه لأرمينيا فرض عليه ضم ميزوبوتاميا أيضا تأمينا لخط الحدود الجديد للامبراطورية في الشرق وحماية لخطوط التجارة الرومانية عبر هذه المنطقة.

فاستأنف تراجعان في عام ١١٥م توغله داخل الأراضي البارثية. واستولى على Nisibis, Singara، واستولى على شمالي ميزوبوتاميا،

وكن خسرو قد ترك حكام هذه المناطق بغير مساعدة، فاستسلموا فوراً أو بعد مقاومة ضعيفة وهكذا صارت ميزوبوتاميا ولاية رومانية. قضى تراجان شتاء عام ١١٥-١١٦م في اعداد أسطول لعبور الفرات الأوسط ثم تحركت القوات الرومانية في ميديا التي أصبحت ولاية آشور الرومانية، عندئذ قسم جيشه الى قسمين سارا بحذاء النهرين ولكنهما اتحدا من جديد للقيام بهجوم على العاصمة الشتوية لخسرو كتسيفون Ctesiphon على نهر دجلة في مقابل سليوكيا. وعند إقتراب الرومان هرب الملك البارثي. وصار في حكم الواقع أن بارثيا صارت إقليماً رومانياً. بعد ذلك أخضع الامبراطور كل الأرض على النهرين، وأتم تقدمه بالابحار جنوباً في دجلة الى الخليج. ولكن قبل أن تصبح مكاسب مؤمنة. قامت الثورات ضدّه هنا وهناك فثار سليوكيا ومدن أخرى. كما قامت ثورة خطيرة في يهودية ويبدو من المؤكد أنها ثورة أعد لها من قبل بالتعاون مع الملك البارثي، شكلت بغير شك عبئ إضافي على مؤخرة القوات الرومانية. وكان ذلك في عام ١١٧م. وفي محاولة لمواجهة الخطر أرسل تراجان قواده ضد الثائرين. وفي هذه الظروف تم تنصيب پارثاماسباتس Parthamaspates، ابن خسرو ملكاً على بارثيا، إنكاراً للادعاءات الرومانية بسقوط بارثيا. وبمجرد انسحاب الرومان طرد خسرو ابنه واستعاد العرش. وبعد محاولة يائسة لاختراع هاترا بالحصار استعاد تراجان الفرات. ويذكر الفضل للقائد الموريتاني لوسيوس كويتوس

Lusius Quietus، الذي تولى أمر الانسحاب من ميزوبوتاميا قاد تراجان قواته إلى أنطيوخ (١١٧)، ولكن المرض والموت لحقاه.

إن ما ضمه تراجان على الأقل أنهى المسألة الأرمينية التي شغلت روما منذ زمن لوكوللس وبومبي كما أنه حرم الملك البارثي من بلدين متطورين ومن ثم حرره من دخلهما. ولكن الثمن الذي دفعه الإمبراطور مقابل ولاياته الجديدة كان باهظاً. فمن أجل تكتيل القوات ضد أرمينيا وبارثيا إضطر الإمبراطور إلى إضعاف الجبهات الأخرى إلى حد أدنى من حد الأمان. بالإضافة إلى ذلك فإن الحدود الجديدة في الشرق لم تتبع أي حد طبيعي يصلح للدفاع عنه وتطلب وجود حامية دائمة أكبر عدداً للدفاع عن أكثر من وادي الفرات.

لقد كان العمل الأول لهادريان هو الانسحاب من كل إلتصارات سلفه، حتى أنه سمح لخسرو بأن يستولي على أقاليمه المفقودة ونقل **Parthamaspates** إلى **Osrhoene**. وفي عام ١٢٩ أعاد هادريان إلى خسرو إبنته، التي كان تراجان قد أسرها ولكنه لم يرد العرش الأرميني. إن إتفاقيته التي أتتعت نفس خطوط معاهدة نيرون مع فولوجيس كان لها نفس الاستمرار. صحيح أنها تعرضت لبعض التجاوزات مثلما حدث في ١٤٢ ومرة أخرى في ١٥٥. عندما غزا ملك بارثي جديد يدعى فولوجيس الثالث **Vologeses** غزا أرمينيا لكي يقبض على أحد أقاربه.

ولكنه انسحب بقواته بعد تلقيه لخطاب تهديد. وفي ١٦١م عاد فولوجيسس إلى الميدان ونصب أميرا يدمى باكورس ملكا على أرمينيا بعد أن حقق انتصارين على حاكمي كبادوكيا وسوريا، اللذين إندفعا لملاقاته بدون قوات كافية، وإذا كان الملك البارثي قد رغب عند هذه المرحلة إقامة السلام مع ماركوس أوريليوس على أسس اتفاقية نيرون فربما استطاع أن يفرض باكورس ملكا على أرمينيا، فقد كان الامبراطور الروماني غير راغب في رفع السلاح في وجهه، ولكنه رفض التسوية. ولذلك أرسل الامبراطور في عام ١٦٢-١٦٤ جيشا رومانيا كبيرا تحت القيادة الشخصية لشريك الامبراطور فيروس Verus. ولكنه في الحقيقة كان بقيادة أنيديوس كاسيوس و Statius Priscus. اجتاحا أرمينيا وميزوبوتاميا بنفس طريقة تراجان. في عام ١٦٢ استولى برسكوس على Artaxata عاصمة أرمينيا وأحرقها وأتبعه كاسيوس بمعركة ناجحة عند دورا يوربوس على الفرات (ربما ١٦٥) ثم انضم الجيشان وتقدما في إتجاه دجلة. وبالقوات المتحدة استولى كاسيوس على كل من المدينتين التوأم سليوكيا وكتسيفون، ودمرها (١٦٥-١٦٦). وأكمل حملته بغارة على ميديا وكانت تمثل الشرق الأبعد بالنسبة للرومان (١٦٦) وتم إبرام السلام. وافق بمقتضاه فولوجيسس على ترك أرمينيا في أيدي أمير آخر يدمى سوهامبوس Sohaemus، الذي كان يسكن في روما ووصل إلى مرتبة السناطور. وفي نفس الوقت تخلى

عن المملكة الاقطاعية في Osrhoene في غرب ميزوبوتاميا التي أصبحت تحت الحماية الرومانية ويدافع عنها الجنود المسرحين من Carhae. وبهذا الاتفاق فإن ماركوس أوريليوس كان يتتبع عموماً خط الفرات وعدل حدوده بقطع الشبة في الوسط. وبعد ذلك، ولكن يحمي السلام عين أفنديوس كاسيوس قائداً أعلى على كل الشرق، بما فيها مصر. إن حروب القرن الثاني أثبتت أن البارثيين كان يمكن أن يحققوا بعض انتصارات مبهرة على الرومان، ولكنهم لم يكونوا ألد أعداء لهم في الصراع الطويل. إن الانتصارات التي حققها الرومان ضد البارثيين كانت باهظة التكاليف ذلك لأن الجنود عادوا حاملين ميكروب أخطر الأوبئة في التاريخ الروماني. تم ضم إمارة عبر الأردن على يد تراجان وحافظ عليها خلفاؤه. وأيام هادريان وأنطونيوس ثم إنشاء طريق محصن جديد يتخطى حدود الليميس الخاصة بتراجان. وهناك على الحدود الشمالية لولاية كبادوكيا الذي تم توسيع مساحتها فإن قبائل Alans تلقت خدمات عبر ممرات القوقاز بدون صعوبة كبيرة على أيدي الولاة الرومان.

يهودية :

إن قرار هادريان بالانسحاب من أرمينيا وميزوبوتاميا تأثر بغير شك بالثورات التي انفجرت في مؤخرة جيش تراجان عام ١١٥. هذه الثورات كانت نتيجة الخطة المدبرة التي عاون فيها يهود الشتات يهود

فلسطين، ومن الواضح أن هذه الثورة فاجئت تراجان ولذلك ليس من الممكن تحديد مدى الحزن الذى سببه اليهود لامبراطورهم، وبالنسبة لليهود الاسكندرية فان الامبراطور كان ميالا لتحريض الاغريق الوثنيين ضدهم. ومن الممكن أن ضم ملكة البنط كان له تأثير سلبي فى تحويل جزء من التجارة العربية من فلسطين الى غزة أو دمشق، ولكن السبب الرئيسى للثورة مرتبط بغير شك بالامال المسيحية التى بقيت حية فى المدارس Rabbinical schools بعد حرب اليهود الاولى. كان الانسحاب الجزئى للحاميات الرومانية من فلسطين من أجل الحرب ضد البارثيين هو الفرصة المواتية للثورة ولايستبعد أن خسرو الذى من المؤكد أنه استخدم المواطنين اليهود فى بابل كملاء للتحريض على الثورة فى ارض الرافدين، يمكن أن يكون قد وظفهم لكى يربطوا بينه والثورة العامة لليهود فى خلف تراجان. تم إختيار توقيت جيد للثورة لدرجة أن الثوار أصبح لهم اليد العليا فى قبرص وقورنية كما شغلت باقى القوات الرومانية فى فلسطين ومصر، وأينما تحققت للثوار الأغلبية فإنهم قاموا بمذابح ضد الوثنيين. ولكن نهاية الحرب البارثية فى عام ١١٦ جعلت تراجان حرا لكى يواجه الثوار اليهود. وبينما كان Lusius Quietus قد إستعاد ميزوبوتاميا وهذا فلسطين فإن ماركيوس تربو Q.Marcus Turbo طارد الثورة فى مصر وقورنية وحرش السكان الاغريق على القيام بمذابح ضدهم. ان كل اعمال

التمرد خارج فلسطين قد اخمدت حتى لن اليهود في الشتات توقفوا عن أحداث شغب ذات تأثير بالنسبة للحكومة الرومانية من ذلك الوقت.

أما عن الحرب في فلسطين نفسها فإننا لانعرف شيئا عن الفترة الأخيرة من عصر تراجان ولكن أعدادا من اليهود استمروا يحاولون المقاومة أيام هادريان، وكان ذلك نتيجة استفزاز مباشر من جانب الرومان. ففي الفترة المذكورة من حكمه كان هذا الامبراطور يدعم بقوة حقوق اليهود في الاسكندرية، ولكن خلال جولته الثانية في الولايات الشرقية اعتقد بصلاحية العنف لحل المشكلة اليهودية وهي سياسة جربها الملك السليوقي أنطيوخس الرابع قبل ثلاثة قرون وكانت لها نتائج وخيمة. أصدر هادريان في عام ١٣١ قرارا بتحريم الختان. كما أنشأ مستعمرة رومانية Aelia Capitolina في اورشليم، وهو عمل شمل إقامة معبد لجوبيتر الكابيتولينى على موقع الهيكل. ثار اليهود في فلسطين للتعدى على الهيكل وقاموا تحت قياده Cochbar Bar Cosibar بأعمال انتحارية بهدف إقناء الرومان من خلال حرب العصابات (١٣١-١٣٤). ولكن القوات الرومانية المدعمة بفصائل من المناطق الأخرى، استعادت فلسطين بنفس الطريقة التي اتبعها فسبسيان. فقد قام القائد الرومانى يوليوس سيفروس C. Iulius Severus الذى استدعى من بريطانيا لتولى القيادة، بعزل جيوب المقاومة ومحاصرتها حتى تنتهى مقاومتها. هدى كل الاقليم فى العام التالى. والحقيقة ان الحرب

اليهودية الثانية كانت في واقعها صيد للرجال أثنى فيها الرومان عددا كبيرا من سكان فلسطين. وإن كان التقرير الذى يذكر بأنهم دمروا ٥٠ قلعة و ١٨٥ قرية. و ٥٨٠ ألف رجلا (بالإضافة لمن ماتوا بالمجاعة أو بالوباء) يعتبر مبالغة من صاحبه (١). إن إعادة تعمير فلسطين بالسكان التى خططها هادريان بدأت بمستعمرة أيلة كابتولينا واستمرت بتوطين سكان رثنيين من البلاد أو الاراضى المجاورة. وقد منع اليهود الباقين من زيارة اورشليم إلا مرة واحدة فى السنة حتى اسم يهودية غير الى سوريا الفلسطينية وعسكرت فيها فرقتان روماتيتان. ولكن على عهد أنطونينوس بيوس بدأت موجة الاضطهاد تخف وتم الاعتراف بالقانون اليهودى والذين ولدوا يهودا كان لا يضايقون فى ممارسة ديانتهم، وسمح للهيكل والمدارس بأن تحتفظ بتقاليدها الوطنية حية. وأخيرا صار هناك احترام متبادل Madus Vivendi يحفظ لكل فريق حق الموافقة والاختلاف فى أفكارهم. على الرغم من بقاء اليهود بدون دولة أو وطن (٢).

(١) لرجو ملاحظة أن عدد سكان مصر كلها كان سبعة ملايين نسمة تقريبا ومن ثم لا يمكن تصور أن فئة واحدة (اليهود) من سكان فلسطين يمكن أن يبلغ ضحاياها فى حرب واحدة كل الرقم المذكور

(٢) M . Cory & H . H . Scullard , op . cit . Basin .

٢- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الشرق خلال عصر الامبراطورية الرومانية

عندما سقطت الدول الهلينستية في أيدي الرومان لم يستحدث الرومان نظاما خاصة لحكمها بقيت الولايات ينظر اليها كضياع للشعب الروماني. وكان من العسير على مواطني هذه الولايات أن يحصلوا على الحقوق الرومانية. وإذا كانت مدن هذه الولايات قد نالت عناية من جانب الرومان فقد كان هذا من منطلق السعي الى ترقيتها الى مستوى أعلى مما كانت فيه لا منحها حقوق المدينة الرومانية.

ونظرة الى الأساليب التي إتبعها أغسطس في حكم الشرق توضح الحقائق السابقة فنظم الإدارة بقيت على ما هي عليه مع إدخال بعض التعديلات. والولايات بقيت تحت حكم رجال السناتو بأشراف من الامبراطور لوبتكليف منه والجديد هنا أن الولايات لم تعد تحت حكم طبقة السناتو وإنما رجال السناتو كأفراد. وكان هذا رأس تعديلات حققت عدالة أكثر فإنتهى عصر المرابين الرومان واستقر نظام الضرائب المباشرة تدريجيا. وكان إستقرار هذا النظام بداية لانتهاء جمعيات جباة الضرائب من الرومان الذين إستغلوا الولايات استغلالا بشعا على العهد الجمهوري. لم تنخفض الضرائب بل زيد بعضها ولكن تحسن أسلوب جبايتها

أدى الي تضائل القلاقل في الولايات، وكان وجود المجالس المحلية يعطي السكان أملا في رفع شكائاتهم في الولايات الي مسمع الامبراطور في روما باستثناء المدن المصرية.

مدن الشرق المتأخرقة:

تمتعت المدن في الولايات الشرقية بحرية تسيير شئونها المحلية وربما وصلت هذه الحرية الي درجة أعلى مما كانت عليه في مصر الهلينستى. ولقد راعى أغسطس الظروف الاجتماعية في تلك الولايات فأبقى على أوضاعها دون تغيير. وقد تركت روما مقاليد الحكم في المدن لمواطنيها الأغنياء ينتخبون سنويا كموظفين سامين بالاضافة الي وجود مجلس (بولي) وقد سعدت هذه المدن بهذا المدى من الحرية الذي أتاحتها السلطات الرومانية لها. وبالنسبة لروما فإن كل ما كان يهمها هو أن يسود الهدوء والنظام هذه المدن.

إن الاضافة الحقيقية بالنسبة لسياسة أغسطس تجاه ولايات الشرق كانت تشجيعه لتحضير المناطق الريفية والبرية. فنشأت دويلات ومدن جديدة على أنقاض قرى ومناطق خاضعة للمعابد؛ وصارت السمة المميزة لولايات الشرق في مصر الروماني هي سيادة نظام المدن المتمتعة بالحكم الذاتي في إطار إشراف حكام الولايات؛ هذا بالطبع باستثناء مصر التي

خصتها روما بسياسة استعمارية ظالمة تقرم على الحكم المركزي المباشر والسعى الى نهبها نهبا منظما. ترتب على إتهاج سياسة تشجيع إنشاء المدن والدويلات تغيير في شكل الولايات بعامة بما فيها الولايات الشرقية في آسيا الصغرى وسوريا- اذ أن هذا الاتجاه في المنطقتين كان قد بدأ قبل عصر الرومان بفترة طويلة.

وقد حدثت الامبراطورية الرومانية من تدخلها في الشؤون الاقتصادية للولايات حيث إكتفت بهجباية الضرائب أو الحصول على رسوم من أجل القيام بالأنشطة المختلفة عوضا عن نظام الاحتكار الذي مارسه عدد من ملوك العصر الهلينستي في ممالكهم وفي مقدمتهم البطالمة في مصر. كانت أهم الأنشطة الاقتصادية في المدن الشرقية هي التجارة وأهمية تجارة الولايات الشرقية تعود أصلا إلى أن هذه الولايات كانت تمثل نهاية خطوط التجارة المعروفة برها وبحريا مع الشرق البعيد. وكانت موانئ مصر وسوريا وآسيا الصغرى تسيطر على نهايات خطوط هذه التجارة التي كانت في الغالب تجارة ترف تحمل العطور والتوابل والأحجار الكريمة والحرير وغيرها. وكانت الولايات تقوم على حماية هذه التجارة أثناء مرورها في أراضيها من موانئ الامبراطورية الرومانية على البحر المتوسط وبحر إيجه الى موانئ الخليج الفارسي. وقد برز في مهمة نقل وحراسة بضائع التجارة عرب تدمر وعرب النبط وقد أدى قيامهم بهذه المهمة الى ثرائهم ثراء هائلا. بل لعل هذا الثراء كان سببا في تزايد أطماع الامبراطورية الرومانية في دخولهم

وعجل بنقلهم من مرحلة الدولة العميلة لروما الى مرحلة الضم المباشر. كما انتعشت التجارة البحرية بين مصر والهند بعد نجاح الرومان في الاستفادة من الرياح الموسمية. وقد نمت هذه التجارة نموا مطردا حتى غدت تبادلا منظما أهم سلعة القطن والحرير وكانت السلعتان تصنعان في الاسكندرية ويصدر في مقابلهما الزجاج والأدوات المعدنية وربما التيل.

وتعود أهمية التجارة أيضا الى دور الولايات الشرقية في التجارة الداخلية بين أجزاء الامبراطورية الرومانية؛ فالولايات الشرقية كانت ولايات متحضرة صاحبة صناعات متقدمة وزراعات متميزة ومن ثم مثلت منتجاتها جانبا هاما من حجم التجارة بين أجزاء الامبراطورية الرومانية المختلفة. ويكفي أن نذكر كميات القمح التي كانت تصدر من مصر الى روما والكروم والزيتون والأخشاب والمعادن من آسيا الصغرى وسوريا. وكان حجم التجارة الداخلية كبيرا حيث أنه تركز على بضائع الاستخدام اليومي. وقد أدى هذا الى ازدهار أو استمرار ازدهار مراكز الصناعة في الولايات الرومانية في الشرق. فالاسكندرية التي كانت مركزا رائدا للصناعة منذ العصر الهلينستي استمرت في اسهامها وأنتجت كثيرا من السلع والبضائع للسوق المصرية وللتصدير. لقد كانت الاسكندرية تنتج للعالم كله الورق من البردي وبعض أصناف الكتان والعطور فضلا عن بعض السلع الزجاجية، خاصة الخزف ومنتجات العاج وأنواعا من الحلوى والجواهر ولوانى فضية. كما قدمت سوريا الزجاج المتفوخ وتقدمت بها صناعة الحلوى

والكتان حتى صارت تنافس الاسكندرية فيهما. وازدهرت صناعات الصوف مرة أخرى في آسيا الصغرى وتمدى تصدير السجاد والأبسط الى تصدير أنواع من المنسوجات المصبوغة ولم يكن يناقشها في هذا سوى سوريا.

وقد ساعد على الاستمرار والتوسع أن ولايات الشرق (مصر وبلاد اليونان وآسيا الصغرى وسوريا) عرفت نظاما متكاملا من الطرق البرية والنهرية. فاستمر تبادل السلع والبضائع على مدى الأجيال داخل نطاق هذه البلاد بعد أن أصبحت ولايات رومانية.

أدت هذه السياسة الاقتصادية الى إنباتاش ملحوظ في الشرق . نرى آثار ذلك فيما خلفت هذه المدن الشرقية من آثار ونقوش في آسيا الصغرى وسوريا فضلا عما حملته أوراق البردي في مصر من معلومات. تؤكد بوضوح التقدم الاقتصادي الذي حققه الشرق.

ضمت الامبراطورية في القرن الثاني عددا هائلا من المدن المستقلة لكل منها حكومة وحياة خاصة وتواجه ظروفها الاقتصادية والاجتماعية. وتخضع هذه المدن كلها لحكومة مركزية تدير الاعمال السيادية من علاقات خارجية وشتون حرية ومالية ويرأس هذه الحكومة المركزية الامبراطور الذي ينوب عنه مندوبين في الولايات ويقوم الى جانب الامبراطور مجلس السناتور الذي كان قد تقلص دوره حتى صار هامشيا. والسلطة المركزية كانت تحرم على عدم التدخل الى حد كبير في ممارسة المدن لشؤونها

المحلية. واقتصر دورها هناك على جباية الضرائب وإدارة أملاك الامبراطور والدولة ونوع من القضاء.

إننا نعرف الكثير عن أحوال هذه المدن في الولايات الشرقية من خلال ما تركته من أطلال في آسيا الصغرى وسوريا ومصر. نعرف الكثير عن نشاطها الاقتصادي وموارد ثروتها وعقائدها الدينية وملاعبها ونشاطها الفكري. وتجدر الإشارة الى أن الولايات الشرقية ضمت مدنا نافست روما في ثرائها كالأسكندرية في مصر وأنطاكية في سوريا وإفسوس في آسيا الصغرى. وهناك مئات من المدن الكبيرة الجميلة أقل منها حجما وثراء كانت تملأ الولايات الشرقية. وتأتي في مقدمة هذه المدن بلدان التجارة والصناعة وأغلبها كانت مراكز لتجارة واسعة مثل بالميرا والبتراء وبصرى وهى مرافئ التجارة عبر الصحراء وكانت أجمل مدن الامبراطورية وأغناها. ويلى هذه المدن مراكز أقاليم زراعية وكانت مدنا كبيرة ذات مباني حسنة وأغلبها شيد على أنهار وكانت ملتقى طرقا تجارية.

ورغم الاختلاف في المساحة وعدد السكان والثروة والأهمية فإن مدن الامبراطورية اشتركت في حرصها على توفير أكبر قدر ممكن من الحياة الرفيدة لسكانها. كما أن أغلب مدن الشرق الهلينستى كانت تتمتع بنظم للتخلص من مياه المجارى وتصل المياه الى منازلها حتى الطبقات العليا كما تخترقها طرق مرصوفة وبها ميادين عامة وجوانب شوارعها مسقوفة لتحوى السيارة من الشمس والمطر. وبها أسواق جيدة وحمامات عامة فضلا

عن المباني العامة مثل الجنازيا وبالايترا احليات المصارعة. فضلا عن المباني العامة مثل مبنى Curia ودواوين الموظفين وأيهاء الاجتماعات الحكومية والمحاكم وسجون وغير ذلك. بالاضافة الى مباني أقيمت من أجل الترفيه والرياضة والتعليم والمسارح والملاهي والملاعب والمدرجات ودور الكتب والأديون. وكانت المنازل في الاغلب الأعم فسيحة الأرجاء رحبة ومجهزة بوسائل الترفية ومزودة بالحمامات الخاصة والسلام الحجرية. وقد قام ببناء الاغلب الأعم من هذه المنشآت أفراد الطبقات العليا من السكان. أما نفقات المدينة فكانت تتم من حصيله الضرائب المتنوعة التي يخضع لها السكان. ورغم أن بعض المدن كان دخلها عظيما فإن نفقاتها كانت كبيرة جدا. ورغم أن هذه المدن اعتمدت في وظائفها الكبرى المدنية والدينية على مبدأ التطوع أو التكليف الإلزامي. إلا أنها كانت تدفع مرتبات منتظمة لمغار العاملين، فضلا من عني صيانة المباني العامة.

وكان ضمان التأكد من توفير المواد التموينية باستمرار وذلك بتأمين احتياجات المدينة من المواد الغذائية بند يكلف ميزانية المدينة الكثير حتى أن أخصب الولايات كانت تصادف من وقت لآخر نقص في الانتاج وكان عدم الاسراع بتوفير المواد النادرة يعرض أمن المدينة للخطر. كانت العناية بالتعليم الاغريقى والتدريب الرياضى إحدى المهام التي حرصت عليها مدن الشرق المتهلنة. ونحن نعلم أن المنتسبين الى معاهد الجنازيا كانوا طبقة خاصة من المجتمع وكان إلتسابهم اليها يشجعهم بعض

الامتيازات ومن ثم كان الرفاء بمتطلبات هذا التعليم باباً من أبواب الانفاق في المدن في الشرق تحت حكم الرومان.

وهناك المعابد وما يرصد لصيانتها من أموال فضلاً عن تكاليف تقديم الاضحيات للالهة والأبطال والقيام بالولائم والاحتفالات على شرف مختلف الآلهة. ولذلك كان لبعض المدن ادارة مالية خاصة لشئون العبادة. وقد تكلف المسؤولون عن التمويل أو التعليم أو المعابد الكثير من نفقات ووظائفهم وهذا لم يعف المدينة في أحوال كثيرة من تحمل نفقات بعض المناسبات.

وكان ثروة المدن يتنافسون على شغل هذه المناصب خلال القرن الأول الميلادي بل كانوا يدفعون مبالغ من المال نظير تكليفهم بهذا الشرف وقد استمر الحال هكذا خلال النصف الأول من القرن الثاني. وكان المواطنون لا يكتفون بمساهماتهم في الوظائف الطوعية، وإنما كانوا يقدمون بسطاء يد العون لتنفيذ كل ما تطلبه مدنها. وينسب إلى هؤلاء المواطنين إقامة أغلب المباني العامة في مدن الشرق.

ولدينا أسماء المئات من أهالي بلاد اليونان وآسيا الصغرى قدموا مثل هذه المساهمات. وقد حفظت لنا الآثار اسم أحد مواطني لوكيا في آسيا الصغرى ويدعى أوبراموآس Opramoas انفق الملايين لسد إحتياجات مدينة راديابولس Rhadiapolis بل وإحتياجات مدن لوكية

أخرى. وقد ظهر على شاكلته كثيرون في جميع مدن الشرق. وهكذا نجد أن التجارة في الامبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثاني كانت المصدر الأساسي للشراء، وقد إتجه التجار الى إستثمار الفائض من أموالهم في الصناعة والأراضي واقتراض المال. ومن ثم فليس غريبا أن نجد أغنى مدن الامبراطورية هي المدن التجارية سواء وقعت على البحر أو على الطرق البرية التجارية. وكانت الصناعة من الموارد الأخرى للثروة. وقد إحتفظ الشرق بتقدمه الصناعي بالنسبة لباقي الامبراطورية وكانت آسيا الصغرى وفينيقيًا تتميزان بإنتاج الملابس الملونة الراقية والبسط وكانت آسيا الصغرى المركز الرئيسي لصنع الملابس المصرفية، كما كانت سوريا ومصر مركزين لصناعة للملابس الثمينة، وكان أفضل أنواع البضائع الجلدية من إنتاج الشرق الأدنى.

فلإشتهرت سوريا وبابل وآسيا الصغرى ومصر بتلك المنتجات وكانت مصر تحتكر صناعة الورق من البردى كما عرف الرق الذي إشتهرت به آسيا الصغرى وسوريا.

وكان لايزال للزجاج السوري والمصري قيمة عالية في جميع أنحاء العالم الروماني وكانت الجواهر البديعة ذات أصل شرقي.

اعتمدت كل المصانع الكبيرة على عمالة من العبيد وإن لم تكن بمقصورة عليهم وحدهم. وفي مصر كان العمال من الأحرار الوطنيين وقلما قابلنا عمالا من العبيد في مصر. كان العمال في كل ولايات الشرق خلال

الامبراطورية يراجهون ظروفًا صعبة. فكانوا في مصر يهربون إلى المعابد التي كان لها حق حماية الأجانب إليها. أما في آسيا الصغرى فنصادف ظاهرة فريدة وهي قيام العمال باضراب عن العمل رغبة من تحسين ظروفه أو اعتراضًا على واقع يرفضونه. ومن أمثلة هذه الاضرابات ما حدث في بيشينيا وذكره ديرو. وما ذكره نفس المؤلف عن مشاكل قام بها عمال مصانع الكتان في طرسوس.

لقد كانت مظاهر الرخاء في المدن في الشرق خلال عصر الامبراطورية يعطى إحياء بالثراء الشديد. ولكن يجب أن نعلم أن هذا الثراء كان مقصورًا على شريحة رقيقة من السكان خرجت من بين طبقة خلفاء المتأخرين الذين كانوا يمثلون عصب هذه المدن ويملكون الأعمال الوسطى من تجارة وإدارة. وكان العلم والثقافة قصرًا على تسمى هذه الطبقة. أما ماعدًا ذلك من سكان فكانوا يعيشون في فقر شديد ساعد عليه الاعتماد على العبيد في الصناعة فأدى هذا إلى انخفاض أجور الأحرار من الفقراء إلى حد الكفاف. والطبقة العليا من سكان المدن في الشرق استمرت تتحدث الأفريقية وتعلم بها وتستخدمها في تعاملاتها.

الولايات الشرقية بعينها عن المسطحة

إذا تركنا المدن في الشرق فإننا نواجه الكتلة الضخمة من السكان الذين يعيشون في القرى. هؤلاء لم يتأثروا إلا بقدر ضئيل بحياة المدن

المنتشرة فى أراضيهم ولم يندمجوا فى حياتها. فظل لكل من الريف والمدن
عالمه المستقل الى حد كبير.

فى آسيا الصغرى ألحقت الاراضى القريبة من المدن بها واعتبر ما
بها من قرى وسكان قرويين جيرانا يعملون فى الأرض لصالح المدينة دون
أن يكون لهم حقوق المواطنة فيها. بالإضافة الى ماكان يملكه سكان المدن
خاصة القريبة من البحر من مزارع صغيرة أو كبيرة يقوم على العمل فيها
المالك بنفسه أو بعبيده.

أما المساحات التى كانت غير تابعة للمدن ككل أو لسكانها كأفراد
فقد كانت ملكا للامبراطور وأسرته أو لأفراد من العائلات السيناتورىة الغنية
أو للمعابد التى أقامها السكان الأصليون لالهتهم هنا وهناك، كانت الحياة
بدائية فى الاراضى التى تتبع التصنيف الأخير. فالفلاحون زرعوا الأرض
كمستأجرين أرقاء للباطرة أو مستأجرين أحرار لأعضاء مجلس الشيوخ أو
كمبيد مقدسين للمعابد. ولقد اتسمت بعض هذه القرى وزادت أهميتها
الاقتصادية بل وحقق بعض الفلاحين درجة من الغنى. ومع ذلك فقد بقيت
القرى مجموعات من الأكواخ يعيش فيها الفلاحون ودور للحكومة وبيوت
للعمل حتى نهاية عصر الامبراطورية الرومانية.

أما الرعاة الذين عاشوا على الجبال والهضاب فى أرمينيا
وكبادوكيا فقد كانت حياتهم طليقة ينهبون ويسلبون ما يستطيعون
ويؤدون الجزية لكل من لديه السلطة والقوة القادرة على إخضاعهم.

وليس بإمكاننا أن نحدد على وجه اليقين الأراضي التي كانت ملحقه بالمدن وتلك التي لم تخضع لها ولكن المؤكد أن أودية الأنهار مثل هرموس ومياندر كانت أراضي للمدن وكذلك الأراضي القريبة من البحر، وماعدا ذلك قلت فيه المدن مثل بعض أجزاء كيليكيا وكبادوكيا وأرمينيا وكوماجين.

أما عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في سوريا فمن الصعب النظر فيها باعتبارها موضوعا واحداً. فالأراضي الأرامية الواقعة على تخوم آسيا الصغرى لها طبيعة تختلف عن طبيعة السواحل الفينيقية والفلسطينية والأراضي المجاورة للصحراء بما فيها من واحات واسعة خصوصاً واحات دمشق وتدمر. وهناك أيضاً أراضي عبر الأردن المعروفة بالمدن العشر (ديكابولس) أما بلاد العرب النبطيين *Arabia Petraea* فكانت وحدة منفردة بذاتها.

والأراضي السورية من كل النوعيات أرض معمورة مثل الوجود الروماني فيها فترة قصيرة من حياة امتدت آلاف السنين قبل وبعد الرومان. والرومان لم يقوموا ولم يكن في وسعهم أن يقوموا بتغييرات جذرية تؤثر في حياة هذه المناطق وسكانها. ومن هذا صار ضرورياً أن نشير إلى ماكان سائداً في المناطق السورية قبل العصر الروماني حتى يمكننا التعرف على هذه الحياة خلال ذلك العصر.

في الشمال قامت أربع مدن كبيرة أُنشئت جميعها في العصر السيليرقي وهي أنطيوخ (أنطاكية) وسليوقية وأباميا واللاذقية تعرف بالمدن السورية الأربعة (تترابولس).

كانت أنطاكية عاصمة للملك سوريا خلال العصر الهلينستي وبقيت عاصمة للبلاد خلال العصر الروماني وهي من أكبر مدن الامبراطورية، وأراضيها الزراعية واسعة نعرف منها عشرة آلاف إقطاعية كانت ملكا لمجلس المدينة يؤجرها للمواطنين.

ولكن القرن الرابع الميلادي شهد تركيز ملكية أغلب أراضي المدن في أيدي عدد قليل من الأثرياء. وقد أقام هؤلاء الثروة دورا ريفية رائعة ذات مساحات متسعة وتدل أطلالها على متانة بنائها وتضم إسطبلات وحظائر للماشية وحجرات للمبيد في الطابق الأرضي وتضم مخادع للملاك الأثرياء في الطابق العلوي. وفي ذلك القرن كان ثروة المدينة عشر السكان بينما العشر الثاني يتألف من الرعاع والبقية كانت على ما يبدو من الملاك الصغار والتجار. أما المزارع فكان يعمل فيها صغار المستأجرين وأما مزارع الكروم فكان يعمل بها عمال زراعيون. ويبدو من كتابات القديس يوحنا فم الذهب أن هؤلاء الفلاحين كانوا أحرارا يعيشون في فقر مدقع ولكنهم لم يكونوا أقنانا للأراضي. وكان الفلاحون الساخطين على استعداد دائم للتمرد. ويبدو أن هؤلاء الفلاحين كانوا يعيشون في قرى متناثرة في الأراضي الزراعية التابعة للمدينة والمؤكد أنهم من السكان الأصليين الذين

أقاموا هناك على مدى العصور ولم يحصلوا على حقوق المواطنة في المدينة. وقد استغل الرومان القرى كمصادر لأمداد الفرق المساعدة في الجيش الروماني بالجنود.

ويمكننا أن نقول بإطمئنان أن المدن الأخرى في شمال سوريا وأراضيها الزراعية عاشت نفس الظروف. وإلى جانب المدن وقراها قامت قرى حول معابد الآلهة وكانت هذه المعابد تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مثل معبد بيتوكاكي Bautocace الذي إمتلك قرية كبيرة وكان ملحقا بمدينة أباميا. كان المعبد يملك ويحصل على الدخل ويتمتع بإعفاء كامل من الأعباء. والمسؤولون عن المعبد كانوا يشرفون على احتياجاته ويمثلونه في أية علاقات مع المدينة. وهناك معابد أخرى تمتعت بمزايا مشابهة كمعبد جوتتر في دوليخي Dolichenus وهي قرية في شمال سوريا. ومعبد بعلبك وهناك أيضا مناطق ملكتها معابد تمتعت باستقلال أكبر.

وقد كون الإيتوريون (١) في أقليمى أبيل وخالكيس دويلتين خاضعتين للرومان في لبنان. بقيت الأولى حتى عهد كلوديوس ودامت

(١) هم غرب من قبل التاريخ إحتلوا لبنان وهرمون و Massyas حيث قامت عاصمتهم خالكيس وهليوبولس مركزهم الدينى. إمتد نفوذهم في القرن الأول ق م إلى دمشق. واعترف برومى بملكهم وكان يدمى بطليموس ولكن ابنه Lysunias قتل على يد أنطونيوس عام ٢٥ ق م وضمت مملكته إلى أملاك كليوباترة خضعت هذه البلاد لهيرود وخلفائه حتى أواخر القرن الأول الميلاد. وكان الإيتوريون بدائيين يعيشون في قرى ويشبهون كرمة سهام وقد جند منهم عدد من الفصائل في الجيش الروماني.

الثانية حتى عهد تراجان. والمدن في هذين الاقليسين لم تكن اكثر من عواصم قروية لمناطق زراعية تحيا حياتها القديمة. أما المدن التجارية الكبرى كدمشق وحمص وتدمر فلم تصبح قط مدنا يونانية بالمعنى المتعارف عليه كما كانت أنطاكية مثلا، ولكنها ظلت كما كانت موطنًا للملك كهان قامت حكوماتهم كما كانت الحال منذ القدم على عمق الشعوب الديني لدى الفلاحين في الشرق نحو ممثلي الإله على أرضه وهم الكهان. حققت تدمر امتدادا لسلطانها شمل إقليما كبيرا تراجحت فيه القرى كما شمل بعض القبائل البدوية. وقد ورد ذكر هذه القرى التي لم تكن سوى ضياع يملكها كبار التجار في تدمر في (مكوس) تدمر التي ذاع صيتها. ولقد جاء من هذه القرى والقبائل الرماة المتنازون وراكبو الابل السريعة من بين أجناد تدمر وجنود الجيش الروماني وقد نصت بعض الأماكن كدورا يوروس الواقعة على حدود منطقة تدمر والتي تحكم في الطرق الحربية والتجارية المؤدية إلى باريثا فأصبحت مدنا ناجحة تحمي كل منها قلعة حربية. وهذه الصورة من المحتمل أنها تنطبق على دمشق، فكانت أراضيها تتأخم صيدا. أما حمص - كما هو معروف - فقد ظل يحكمها ملوك كهان من الطبقة الأرستقراطية الأصلية في المدينة طوال حكم الرومان. وقد اندمج هؤلاء النبلاء - كما حدث في تدمر ودمشق - فترة قصيرة في سلك الأرستقراطية الإمبراطورية وأظهروا نشاطا ملحوظا في حمل أعباء الإدارة في الإمبراطورية، وذلك قبل أن يرتقى إثنان

ذوى أصول سورية عرش الامبراطورية.

اما المدن الفينيقية فأخبارها قليلة خلال العصر الامبراطورى فيما عدا ما نمرقه عنها فى ميادين التجارة والصناعة.

أما فلسطين فيجب التمييز بين باقى البلاد وتلك المناطق المتهيلنة على الساحل كغزة وأنثيدون وعسقلان ويافا وبتوليمائيس وعكا. وكذلك المدن التى أقامها هيرود فى الداخل وعلى الساحل، ولاسيما قيصرية على الساحل وطبرية وسبيلستى (السامرة) ونيابولس الرومانية (نابلس) التى شيدت فى عصر متأخر. ويبدو أن المدن الفلسطينية المتهيلنة لم تكن بينها وبين مدن سوريا وفينيقية إختلاف كبير. كما كان لكل مدينة مناطق زراعية ملحقة بها يقيم فيها السكان الاسليون الذين كانوا يعتمدون الى حد كبير على عمل أيديهم كمورد رزق لهم.

ولكن الجزء الأكبر من يهودية والجليل والسامرة بقى كما كان قرى يسكنها الفلاحون. إن ماسى مدنا فى يهودية ولا نستثنى من ذلك اورشليم كانت مراكز دينية وإدارية فحسب قامت بدورها كمواصم لمناطق ريفية وتشبه مشيئاتها فى مصر، والرجل كان يعتبر غنيا فى يهودية إذا ملك عقارا أو قطعانا كثيرة من الضان والماعز أو عمل فى جباية الضرائب. والرجل العادى هو الفلاح الذى يكدح فى الحقل ويقال الصانع فى قرية صغيرة للنجار والحديد والاسكاف وغيرهم.

وفى قرى يهودية والسامرة والجليل عاشت طبقة من السكان الأصليين من كبار الملاك مثلما كان الحال على عهد الميكابيين) وكان قادة الحياة الدينية والحكام أيضا راساليون وتجار يحفظون أموالهم فى مبد اورشليم. وأكثر من هؤلاء ثروة وغنى موظفو الملوك والحكام الرياسيين ثم الملوك أنفسهم وأسرعهم والحكام الرياسيون أنفسهم وأسرعهم. وأخيرا تلتى ضياع الامبراطور الرومانى والأسرة الامبراطورية وعدد من المستعمرات الحرية الرومانية أقامها فسبسيان بعد الحرب اليهودية. هذه الصورة للحياة فى فلسطين بقيت دون تغيير يذكر فيما عدا إزدياد عدد الملاك من غير اليهود.

وكما ذكرنا كان للمناطق الخصبة فيما وراء نهر الاردن وفى حرران الحديثة والأراضى المجاورة الصحراوية التى تسكنها قبائل من العرب صورتها الخاصة. فالمنطقة الخصبة قامت فيها مدن يونانية منذ أيام الاسكندر وخلفاؤه. وكل مدينة صارت عاصمة لاقليم زراعى. وكان سكانها ملاك الأراضى. أكثر هذه المدن قام على انقاض قرى قديمة كان يقطنها السكان الأصليون وقد خضعت للملك من سكانها الأصليين متأخرين فى فترات إضلال الدولة السليوقية. بذلت الامبراطورية الرومانية جهودا متوالية لاستعمار المنطقة برجال يشتغلون بالزراعة وإخضاع السكان الأصليين

وأغلبهم من العرب. وقد ازدهرت حياة هذه المنطقة بعد أن ساد السام الروماني وضمت مملكة النبطيين وحلت المشرق الرومانية الجديدة محل طرق القوافل القديمة وحرسها حاميه رومانية. وهكذا أصبحت المدن القديمة مراكز تجارية رائجة ولا زالت أطلال بصرى وجرش وفيلادلفيا تشهد بازدهارها.

واستقر الناس وزرعوا واستبدل العرب بخيامهم بيوتا حجرية وبمراعيهم حقولا تنبت الحب الوفير. وأما القبائل فقد بقي أغلبها مرتحلا وإن أقلعوا عن الاغارة والنهب. وضمت قرى عديدة -خليطا من السكان من سوريين وعرب عملوا في التجارة مع البدو وغرسوا الزيتون والكروم وزرعوا الحبوب وصنعوا الأقمشة الصوفية.

وقد قاد هذا التطور الجنود العرب المسرحين من الخدمة في الجيش الروماني. والذين شهدوا أنظاراً ثانية ثم عادوا إلى أوطانهم يحملون خبرات جديدة وقد جاء معهم كثيرون من الأجانب إلى أستيطان القرى العربية.

وهكذا يمكن أن نقول أن عصر الامبراطورية الرومانية شهدت فيه البلاد السورية حياة متنوعة النشاط نظرا لتنوع الظروف البيئية. ولكن بقيت سوريا تحت حكم الرومان كما كانت قبل دخولهم، فلم يتقدم بناء المدن تقدما يسترعى الانتباه. ولم تتأثر البلاد بالثقافة اليونانية بعيدا عن المدن

المتأخرقة واستقر بعض سكان الريف في المدن ولكن أغلبهم عاشوا كما
عاش أجدادهم مخلصين لاهتهم ولعابدهم محافظين على تقاليدهم في
الحياة (١).

(١) رستوتزف ، م، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادية.
ترجمة زكي على و محمد سليم سالم ، القاهرة ١٩٥٧
السيد احمد الناصري ، الامبراطورية الرومانية ، القاهرة .
بل ديورانت ، قصة الحضارة ج ١١ قيصر والمسيح القاهرة ١٩٧٢

٤- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر

خلال عصر الامبراطورية الرومانية

زاد التدخل الروماني في أمور مصر الداخلية منذ أوئل القرن الثاني ق م حتى أصبح ضم مصر الى أملاك الشعب الروماني مسألة وقت. لقد إنتظرت روما الوقت المناسب لضم مصر ولعلها لم تجد ضرورة للتعجيل بذلك فقد كان أمراء البطالة رهن إشارتها يرجون رضاها واعترافها بهم. وما يؤكد ذلك أن فكرة ضم مصر قد نوقشت في روما قبل الضم الفعلي بأكثر من ثلاثين سنة عندما إقترح كراسوس ضم مصر في عام ٦٥ ق م وتكرر هذا الطلب في عام ٦٤ ق م.

كان ضم مصر الى الامبراطورية حدثا جلا في حياة مصر الجديدة فقد فقدت إستقلالها كدولة وانتقلت عاصمتها الى روما وأصبحت مجرد جزء في إمبراطورية تتلقى أوامرها من تلك العاصمة البعيدة بينما لا تملك لنفسها قرارا. ويظهر عمق إختلاف الظروف في مصر مع سقوطها في أيدي الرومان من أن المستعمر الروماني حرص على الحصول على ضريبة سنوية تدفعها مصر بعضها نقدي والبعض الآخر عيني. كانت هذه الضريبة باهظة تخرج من مصر بلاعودة بينما كانت الأموال التي تجمع على أيام البطالة تبقى في مصر مهما كان الخلاف على أسلوب إنفاقها أو صورة هذا الإنفاق.

سكان مصر

قدر عدد سكان مصر عند بداية الاحتلال الرومانى بسبعة ملايين ونصف. ومن المؤكد أن هذا العدد كان يضم الأغلبية السكانية المصرية المحكومة بجيش الاحتلال الرومانى. فضلا عن وجود أغراب كثيرين فى مصر مثل الأفريق والمقدونيين وعناصر من اليهود والفرس والليبيين وغيرهم فضلا عن الرومان الحاكمين. وكان سكان مصر خلال العصر الرومانى ينقسمون من الناحية الرسمية الى فئتين :-

الرومانىة

وكانوا يضمون الموظفين الرومان وجنود الحامية. الرومانىة فضلا عن رجال الأعمال الذين إرتبطت مصالحهم بمصر، وإن كان أهم المصادر الثلاثة التى يدفع الى مصر بمواطنين من الرومان هو الحامية العسكرية . هؤلاء الشبان الذين جاءوا فى الغالب من الولايات المختلفة فضلا عن أبناء بعض الاسكندريين كانوا يقضون فى مصر ربع قرن من الخدمة العسكرية ثم يسرحون ويمنحون الجنسية الرومانىة. أغلب هؤلاء الجنود كانوا يرتبطون بمصر بعد تسريحهم من الخدمة وقيمون فيها.

وقد إتصل هؤلاء الجنود بالمجتمع وتزوجوا منه ضد رغبة القانون. وكونوا فى النهاية جالية رومانية فى مصر إنضم اليهم أعداد من مواطنى الاسكندرية الذين اكتسبوا المواطنة الرومانىة. وكان المواطنون الرومان فى

مصر يتمتعون بأوضاع متميزة عن بقية السكان. وكان يختار منهم كبار الموظفين وكانوا معفون من الخدمات الالزامية والمحلية فضلا عن عدم خضوعهم لضريبة الرأس واعناؤهم من بعض الضرائب الأخرى ونعلم من البرديات أن المواطنين الرومان (بصرف النظر عن أصولهم الأولى) كانوا منتشرين في مصر. وقد استمرت هذه الوضعية المتميزة إلى أن منح الإمبراطور كراكلا حق المواطنة في أوائل القرن الثالث الميلادي لكل سكان الإمبراطورية.

المصريون :

وهو تعبير أطلق اصطلاحا على كل سكان مصر ماعدا الرومان فضم المصريين والإغريق واليهود والسوريين والفينيقيين والليبيين وبقياء الفرس وأصحاب أي جنسيات أخرى عاشوا وسط المصريين (١). ولقد كان أساس التمييز بين الجنسيات هو الخضوع لضريبة الرأس وهكذا لم يميز سوى الرومان الذين لم يخضعوا لها. ومع ذلك فإن هذه الضريبة أعفى منها الاسكندرانيون وفرق بين عدم الخضوع والأعفاء. ورغم أن كل ساكني مصر فيما عدا الرومان اعتبروا مصريين إلا أننا يمكن أن نرى هرما إجتماعيا يضم طبقات مختلفة ممن يطلق عليهم هذا الاسم. وكان أعلى الهرم الاسكندرانيون وكانوا إفريقا أو متأغرقين يتمتعون بالعديد من المزايا. فقد

(١) يذكر هذا بالاصطلاح الذي أشكله الجبرتي على أمراء المالكة أثناء الحملة الفرنسية فقد اعتبرهم مصريين. بينما كانوا أغريبا في نظر أهل البلاد.

كانوا مدون من أداء ضريبة الرأس وكانوا أصحاب حق في الالتحاق بالجيش الروماني وكان لهم الحق في طلب الجنسية الرومانية. كما كان الاسكندريون خارج الاسكندرية لا يخضعون لسلطة المحافظ في محافظته وإنما يتبعون رئيسه الذي يشرف على عدد من المحافظات ويدعى *Epistratigos*.

لم يكن كل الاغريق والمتأخرين إسكندريين بل كان منهم من يمشون بصفة دائمة في عواصم المحافظات بل وحتى في القرى. وقد نظر اليهم باعتبارهم أدنى منزلة من مواطنيهم الذين عاشوا في الاسكندرية فخضعوا لضريبة الرأس وإن كانت ذات قيمة مخفضة. وقد اجتمعوا في جميعات ثقافية وكذلك في الجمنازيا المنتشرة في عواصم المحافظات حفاظا على اصولهم الثقافية وكانوا يمثلون أرستقراطيه ريفية يتم اختيار موظفي الادارة المحلية من بينهم.

وهناك أيضا جالية يهودية تعتبر أقدم الجاليات الأجنبية في مصر. لقد كانوا أكثر هذه الجاليات عدداً على العصر البطلمي واستمرت وضعيتهم على هذا المستوى في العصر الروماني بل وطالت صراعاتهم مع الاسكندريين وسعوا للحصول على الجنسية الاسكندرية دون فائدة. وكانوا يسكنون الحي الرابع من أحياء الاسكندرية الخمسة. واعتبروا جالية عنصرية معترف بحقها في ادارة شئونها وكان لها رئيس ومجلس شيوخ.

كل من سبق يمثلون مجتمعين مجرد أقلية. سكانية في بحر من المواطنين المصريين أحفاد الفراعنة. هؤلاء المصريون استمروا في حياتهم دون تغيير يذكر فيما عدا زيادة عبي الضرائب عليهم حيث كانت حكومة الاحتلال الروماني أكثر كفاءة من الحكومات الضعيفة في أواخر عهد البطالة. فقد استمرت الحياة في القرى كما كانت من قبل والنيل يعطي فيضانه السنوي المخصب الذي يأتي في بعض السنوات عالياً وفي بعضها الآخر شديد الانخفاض ولكنه في الأغلب كان يأتي مناسباً تماماً لاعطاء محصول جيد.

الحكومة الرومانية التي مضت:

لم تتغير نظرة المصريين إلى حاكمهم الأعلى البعيد ومدى تدخله في حياتهم. فقد نظروا إليه في العصر الروماني كما نظروا للملوك البطالة من قبل بل والملوك الفرس أيضاً باعتبارهم أسرا مالكة جديدة من الفراعنة الغرباء. ومن ثم استمر بناء المعابد وزخرفتها على الطراز المصري خلال الثلاثة قرون التي حكمها الرومان. ومثل الأباطرة على النجدان بالجلسة التقليدية للفراعنة، تحيط بهم رموز الملكية المصرية كالتاج الفرعوني والخرطوش الذي يحمل داخله اسم الحاكم بالهيراوغليفية، ونصوص هيراوغليفية إضافية تكرر القاب الفرعون باعتباره إينا لرع والمحبوب من بتاح وإيزيس الخ..

والمكنا لانجاوز الحقيقة إذا ذكرنا أن تنظيمات الإدارة وتطبيقاتها سواء المحلية منها أو المركزية هي التي طبعت مصر بطابع الولاية الرومانية. فمنذ عهد أغسطس، ونظرا لأن مهمة مصر الأولى في الامبراطورية الرومانية كانت إمداد مدينة روما بثلاث إحتياجاتها السنوية من القمح، ولضمان استقرار الأمور هناك دون أية إضطرابات، عوملت مصر كما لو كانت ضيعة خاصة بالامبراطور. فوضعت مصر تحت حكم رجل يدعى القائد Praefectus على عكس الولايات الأخرى التي كان يحكمها رومان وصلوا إلى مرتبة القنصل. وكان القائد بذلك أقل درجة من حكام الأقاليم الأخرى. وحرص أغسطس على أن يعينه كممثل شخصي لجلالته وحرص كذلك على أن يكون شاغل هذه الوظيفة من طبقة الفرسان، وهي الطبقة التي كان ينتمي إليها بأصله كما أنها الطبقة التي كانت منذ البداية المستورد الفكري الذي دعم حكمه. وتنفيذا لسياسته منع أيضا أي روماني من طبقة الشيوخ بل وحتى الفرسان - إذا كانوا موظفين رسميين - من دخول مصر بدون إذن الامبراطور. وقد فعل أغسطس كل ما يستطيع للتقليل من أهمية وظيفة البرايفكتوس في نظر الطامعين، وكان هدفه الأساسي ألا تصبح مصر مرة أخرى مقرا لمنافس يطالب بالحكم كما كان الحال بالنسبة لانتونيوس. أما بالنسبة للمصريين فقد كان الحاكم نائبا عن فرعونهم الذي يعيش بعيدا في روما.

أبقى أغسطس على التقسيم القديم لمصر الى نيف وثلاثين إقليما إداريا - *Nomes* كان يحكم كل منها إستراتيجوس. ورغم هذا الاطار الذى لم يتغير فقد تغيرت سلطة الموظفين فى الأقليم. فالمعروف أن الإستراتيجوس كانوا أيام البطالمة أصحاب سلطة عسكرية وسلطة مدنية أيضا. ولكن أغسطس جعلهم موظفين مدنيين فقط. أما القوات العسكرية فقد تم نشرها بأسلوب إستراتيجى فى كل الولاية ليس على الطريقة البطلمية بخلق جنود فلاحين يعيشون مع أهلهم فى أرض أقطعها لهم الملك، ولكن على النظام الرومانى الذين يقوم على الحياة فى معسكرات محصنة أو حاميات. عسكرت إحدى الفرق فى الاسكندرية والثانية فى بابلون -شمال ممفيس على الشاطئ الأخر للنيل. وعسكرت حاميات صغيرة من الجنود فى مناطق حاكمة مختلفة، مثل مناطق الحدود والمهاجر والمناجم، وملتقيات الطرق الهامة ومخازن الغلال.

لقد كانت الحكومة المدنية التى حكمت مصر -منذ أقامها أغسطس وطورها خلفاؤه- رومانية بوضوح، ولكن موظفيها فيما عدا شاغلوا الوظائف العليا كانوا من بين السكان المحليين. وكانت لغة العمل فى الحكومة اللغة الاغريقية وليست اللغة اللاتينية. وفى الاسكندرية ضمت بطانة الحاكم عددا من الموظفين والضباط مزدوجى اللغة، كانوا يقومون بترجمة كل المراسيم الامبراطورية من اللاتينية الى اليونانية لنشرها فى البلاد.

وبالنسبة للإدارة المحلية أبقى الرومان على بعض التسميات البطلمية لبعض الوظائف وإن كان قد نال اختصاصات هذه الوظائف من التغيير على أيدي الرومان مانال اختصاصات الاستراتيجية وبالنسبة لباقي الوظائف فقد إستحدثت تسميات جديدة ووظائف جديدة كلما دعت الضرورة الى ذلك، كما حكمت قواعد جديدة أوجها هامة في الاقتصاد والمجتمع والدين.

لعل ماسبق يكفي كإطار للتاريخ السياسي لمصر تحت حكم الرومان وفيما يلي نوجه إهتمامنا الى حياة السكان في مصر في مدنها وقراهم.

عواصم المحافظات:

كان لكل محافظة عاصمة تتركز فيها الإدارة وكانت هذه العواصم تختلف فيما بينها من حيث المساحة وعدد السكان ومع ذلك، فالمؤكد أن هذه العواصم ضمت جمنازيوم وحمامات عامة ومسرح وبنك وعدة عشرات من المعابد فضلا عن خزانات للمياه يرفع اليها الماء بالطنبور على عدة مراحل ويقوم على تشغيلها ورديات من العمال، فضلا عن حوائث متعددة وآلاف المنازل.

أغلب سكان عواصم المحافظات من الثراء يدمون أصلا إغريقيا سواء كان ذلك حقيقيا أم لا لأنه كان مصدر فخر ومباهاة بينهم بل أنهم شكلوا

حياتهم على نمط المدن الاغريقية الأربعة في مصر. ولذلك خططوا مدنها على شكل رقعة الشطرنج وأنشأوا مبان عامة فخيمة ونصروا الألعاب الاغريقية وأقاموا الاعياد للمعبودات الاغريقية. وبنهاية القرن الثاني الميلادى كانت أغلب عواصم المحافظات تعاني صعوبات في تدبير كل المصروفات المطلوبة للالتحاق على الأنشطة المختلفة. وكان سكان عواصم المحافظات يعبرون عن حبههم للانتماء الاغريقى وازدراهم لكل ماهر قروى ومصرى. ومع ذلك فما زال الغموض يحيط بالحد الفاصل بين مواطنى عاصمة المحافظة والمقيمين فى عاصمة المحافظة ولا يحملون مواطنتها. والمعروف أن الطفل عند ما كان يبلغ سن الرابعة عشر يجب عليه أن يحدد حالته مع طلب لتسجيله فى طبقة والديه الاجتماعية.

كان سكان عواصم المحافظات قادرين على إستخدام ثرواتهم ليس فقط فى تحقيق إحتياجاتهم وراحتهم وإنما أيضا بطرق تربط بين الاسراف الواضح والمظهر الاجتماعى. فخلال الامبراطورية الرومانية كانت الصورة المحبوبة للعطاء والبذل فى سبيل المجتمع تتم باهداء المبانى أو المرافق العامة أو زخرفه مثل هذه المبانى..الخ.

وإن كان المعروف أن عواصم المحافظات فى مصر لم تمارس قبل القرن الثالث أى صورة من صور الحكم الذاتى ومع ذلك فقد كان لمواطنى عاصمة المحافظة حق إختيار موظفين للقيام بمهام عامة محدودة، وكان مسدحا لهم أن يكرموا باطلاق لفظ «الموظفون السامون» عليهم. وسعد

مواطنو عواصم المحافظات بتضخيم الذات رغم أن المرشح لمنصب كان عليه أن يدفع رسوما عند حصوله على اللقب، كما كان يتحمل تكاليف المنصب كليا أو جزئيا من جيبه الخاص. والوطائف «السامية» في عاصمة المحافظة كان عددها ست، خمسة منها عرفت بنفس الاسم منذ عصر البطالة وهي الجننازيارخ (حاكم الجننازيوم) والمشرف على النظام Kosmetes والمدير Exegetes والأجورا نوموس (منظم الأسواق) والكاهن الرئيس Archiereus أما الوظيفة السادسة والتي عرفت لأول مرة في عصر الرومان فهي Eutheniarch مفتش التموين وكان مسئولاً عن التأكد من سير أمور التموين للمدينة بيسر وعدم حدوث أزمات فيه.

في البداية كان مواطنو عواصم المحافظات من الأغنياء يتصارعون للفوز بأحد هذه الوظائف الشرفية. ولكن منذ النصف الأخير من القرن الثاني الميلادي. تزايد عبء نفقات هذه الوظائف حيث بدت على إقتصاد مصر (وأيضا الامبراطورية ككل) علامات لاختطوها العيين باتجاهه نحو التدهور، وبدأ رخاء كثير من عواصم المحافظات ينخفض. وصار تكليف الناس بهذه الوظائف يتم في بعض الأحيان بالالزام.

وفي عام ٢٠٠ ميلادية عرف الهيكل الإداري في عواصم المحافظات تطورا رئيسيا عندما منح سيفروس كل عاصمة منها بولي Boule أو مجلس مدينة. وكانت هذه خطوة في طريق الحصول على مرتبة البلدية

الرومانية وهي. الخطوة التي تمت في القرن الرابع.

تشير الوثائق الى أن منازل المدينة كانت تضم طابقين وأحيانا ثلاثة طوابق، وتحدث أيضا عن منازل تضم أجنحة لاستقبال الرجال وأخرى للنساء، فضلا عن وجود مداخل بيواكي للاستمتاع بشمس الشتاء وبالراحة في ليالي الصيف وأبراج وسقائف ومختلف الأشياء التي صممت للراحة والانسجام. وكانت بعض المنازل تستخدم الحجرات المظلة على الشوارع كحوائط وهو تنظيم ساد المدن في إيطاليا والولايات خلال العصر الروماني. استخدم الطمس في بناء هذه المنازل وقد ساعد على ذلك قلة المطر. وقد اختلف سمك الحوائط الخارجية عن الحوائط الداخلية وغطيت الحوائط بملاط زخرف سطحه بمناظر أسطورية بألوان زاهية.

ومنازل المدينة كانت تحصل على الماء من آبار حفرت في ساحاتها تحملها أنابيب الى الحمامات ودورات المياه. وكانت حجرات النوم تقام عادة في الطابق السفلي أما الأقبية فقد استخدمت بصورة رئيسية للتخزين.

وقد استخدم أهالي المدن ملابس ملونة لامعة، فالكسوة فوق أجسامهم ذات ألوان خضراء وحمراء مع تفضيل للون الأزرق بكل درجاته وملابسهم الداخلية كانت تصنع من الكتان. أما الملابس الخارجية فكانت من الكتان والصوف. وهناك أدلة وثائقية على زراعة القطن في مصر من القرن الثاني الميلادي. أما المنسوجات الحريرية وهي ذات أصول صينية وهندية وكانت تستورد من فارس فكانت تستخدم لتزيين الملابس كالباقات

والحواف في ملابس الترف.

يلاحظ أن متوسط عدد أطفال العائلات في المدن التي ذكرت في إحصاءات السكان كانت تتراوح بين طفلين وثلاثة وإن كان عدد المواليد بلاشك أعلى من ذلك بكثير ولكن ارتفاع معدلات الوفيات بين الأطفال فضلا عن عادة الأغريق بترك الأطفال غير المرغوب فيهم يموتون بالإضافة إلى استقلال شباب الأسرة عن عائلاتهم كل هذا يظهر العدد أقل من حقيقته.

كان الشباب يتزوجون في سن من حوالي الثامنة عشر إلى العشرين والزوجات كن عادة أصغر منهم بعدة سنوات وعقود الزواج تبين الرغبة المخلصة للزوجين للحياة سويا بأخلاص وأن يراعى كل منهما حقوق الآخر، فالزوج يمد زوجته بكل ضرورات الحياة طبقا لإمكاناته والواجبات المتبادلة للزوجين كانت تكتب بتفصيل شديد، ويبدو أن الطلاق كان شائعا وعلى الأخص بين الأزواج الشباب. وعندما ينتهي الأمر بالطلاق فإن الزوج كان عليه أن يعيد كل شيء شملته الدوطة والهدايا المصاحبة والا فعليه أن يدفع قيمتها نقدا.

والأسرة في عاصمة المحافظة كانت تتكون من الوالدين والأطفال وربما بعض الأقارب والعبيد. وأغلب العبيد كانوا للخدمة المنزلية. حيث كان الفلاحون الأحرار مصدرا جاهزا لقوى العمل الموسمي في الزراعة والصناعة وأسعار أقل. ومع ذلك فقد كانت هناك إستثناءات.

وأخيرا فنظرة إلى النصوص الأدبية الباقية تبين أن أعمال كل

أدباء الإغريق المشهورين بل والكتاب الأقل شهرة ظلت تنسخ في مصر طوال فترة الحكم الروماني بل ولعدة قرون تالية. وعشر على نصوص لهوميروس وديموسثينيس ويوريديس وهينود كما عشر على وثائق ذات محتوى أدبي أو علمي. وقد عشر في مصر أيضا على أقدم مخطوطة معروفة لأسفار العهد الجديد والكتابات المسيحية الأخرى. ورغم الاحساس بأن هذه الكتب كانت تقتنى لكي تقرأ ولكي تعاد قراءتها فإن هناك ما يدل على قيام نشاط تمثيلي حيث عشر على مسرحية ليوريديس من القرن الثالث الميلادي عليها ملاحظات للممثلين. وقد أنجبت هذه العواصم عددا من الكتاب مختلفي الشهرة والمكانة مثل أثيناوس جامع المتنوعات من مواليد نوقراطيس. وأفلوطين من ليكوبولس (أسيوط) ومن المؤكد أن هؤلاء رحلوا إلى الاسكندرية وروما لاتمام دراساتهم، بينما بقيت مواطن ميلادهم أرضا بورا من الناحية الثقافية.

وكان عدد الأميين في المدن أقل منه في الريف فمن بين ستمائة أمي سجلوا في عدة مئات من البرديات نجد ثلاثة من هذه المدن. بل أن هؤلاء يهودون إلى القرن الثالث الميلادي ويبدو أن عائلات حضرية كثيرة تأثرت بالازمة الاقتصادية للقرن الثالث كفت عن التعليم الذي كان واجهة إجتماعية هامة فيما سبق. بل أن عائلات حضرية أكثر وأكثر توقفت عن الترفع المطلق عن سكان المدن من المصريين، وبدأت الزيجات المشتركة تأخذ مكانها.

وبالنسبة للبنات فلن قرار التعليم أو عدمه يبدو وأنه كان قراراً شخصياً يتعلق بالقرويين أكثر منه موقفاً اجتماعياً. إن المرأة التي كانت تقدر على الكتابه كانت تحس فخراً بذلك وكانت تسعى للتنويه بهذه الحقيقة.

ويبدو أن التعليم كان يبدأ في سن العاشرة وكان تعلم الكتابة يتم في المدن والقرية دون حاجة إلى مدرسة حيث كان يقوم بعض المبيد والنساء بهذا العمل. ولكن التعليم في المرحلة أعلى كان يتطلب فترة من الدراسة في الاسكندرية.

قريو الفلاحين:

عاش الفلاحون معاً في قري ونجوع. وكان عليهم أن ينتقلوا منها إلى مناطق حقولهم على أقدامهم أو فوق ظهور الحمير وبعض هذه الحقول كانت تقع على مسافات بعيدة. وكانت القرية في هيكلا العام كعاصمة المحافظة ولكنها أصغر حجماً. فالقرية تبدو في عيني الرائي من بعيد كومة من الحوائط الساذجة مبنية من اللبن غارقة في الطبيعة. ولكن عندما يقترب المسافر منها فإنه سيكتشف أن هذه الحوائط لمنازل تقع في مجموعات تفصلها شوارع ضيقة وأزقة.

وبالنسبة لغالبية الناس فقد كانت القرية هي موطنهم من المهد إلى اللحد. ولكن الفلاحين الذين يثرون كانوا أحياناً يبحثون عن حياة أفضل

وأكثر تحضرا بأن ينقلوا أسرهم لكي تعيش في عاصمة المحافظة، حيث يمكنهم أن يعيشوا حياة متحضرة كتلك التي يعيشها أهل المحافظة وأن يطوروا حياتهم بما يناسب ثقافة أهل البندر. وعلى الرغم من أنهم كانوا مستبشرين بصورة دائمة من الانضمام إلى الطبقة المتميزة هناك بسبب أصولهم. لم يكن كل قرى يصيبه الثراء مشوق للإقامة في عاصمة المحافظة، بل كثيرون وربما الأغلبية كانوا يفضلون للبقاء حيث كانوا عمد المجتمع المحلي. يعيشون في منازل تقترب من منازل المدينة في المساحة والزخرفة، وأعداد العبيد. وكان الراغبون منهم قادرون على الوصول إلى مستويات راقية من التعليم والثقافة، وهذا يفسر وجود نسخ من مؤلفات هوميروس وهزود وبوريديس وأنلاطون وغيرهم في أطلال القرى، بل وعندما أرادوا كانوا يحضرون راقصات من عاصمة المحافظة.

ولكن مهما كان عدد هؤلاء الأغنياء فلا بد أنه كان قليلا بالنسبة للعدد العام لسكان القرى. حيث كانت الأغلبية تعيش على الكفاف، ولقد كان الرجال والنساء والأطفال والحيوانات المستأنسة مكسدين في أحياء ضيقة ومزدحمة.

وبدراسة مابقي لدينا من وثائق إحصائية يمكن أن نقدر عدد سكان القرية بما بين أربعة آلاف وستة آلاف نسمة. وما لاشك فيه أن هذا كان تعداد القرى الكبيرة. فقد كانت هناك قرى صغيرة جدا يقل عدد الرجال فيها عن مائة رجل.

وبالنسبة لطعام القروى فقد تكون بصورة رئيسية من النشويات التى يتم الحصول عليها من الحقل بالاضافة الى بعض النباتات البرية كاللوتس وأنواع من الثوم البرى وجذور البردى أما اللحوم فكانت ميسرة فقط لمن يربئها ولمن يملك ثمنها، فضلا عن الأسماك، وهناك شك فى أن أغلبية الفلاحين كانوا يحصلون على إحتياجاتهم من السعرات الحرارية.

وبالنسبة للملابس فقد كان لدى من يستطيع منهم طقم واحد جيد على الأقل للمناسبات والاحتفالات أما ملابس العمل فكانت قمصان أو عباءات بسيطة، وعلى عكس أهل المدينة كان سكان الريف حفاة فى الغالب.

والأسرة المتوسطة فى الريف المصرى كانت تملك بعض مساحات الأرض الزراعية وربما لجأت نفس الأسرة الى إستئجار قطعة أخرى بمايكفى أفراد الأسرة.

وفيما عدا عدد قليل ممن تمتعوا بالشراء فإن الحياة فى القرية المصرية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالاقتصاد الطبعمى (نظام المقايضة) وبالنسبة للضرائب والالتزامات الأخرى كان من الضرورى دفعها نقدا، مثل هذه الأسرة كانت تعيش فى مستوى وسط بين الحياة السهلة والفقير المدقع.

إن الأفراد الذين كان لديهم فائض من الأرض لكي يوزجروها كانوا عددا قليلاً ونسبة مايملكون محدود جداً بالنسبة للأراضى الزراعية.

وقد إستمرت المعابد تملك بعض الاراضى رغم ما صادره أغسطس

من املاكها. اما معظم الاراضى فقد كانت ملك للدولة أو شخص الامبراطور.
حتى ما كان مملوكا لرجال البلاط واغنيا، الاسكندر بين ذهب مع نهاية
القرن الاول الى الامبراطور.

وكانت الاراضى العامة تدار تحت إشراف الرسميين فى المحافظات
والمحليات يعرضونها للايجار دوريا لمن يدفع اكثر. وعادة كان المستأجرون
يعرفون بالفلاحين الحكوميين. وكانوا يزرعونها عادة بأنفسهم ولكن كان
يمكن لهم أن يؤجروها من الباطن إن أرادوا. وكان المستأجرون يقدمون
ضامنين لهم من اصدقائهم لاقتنارهم الى الضمانات المالية أو العينية.

كان مالك الأرض إذا كان فردا يضطر عند الضرورة بسبب عدم
خصوبة أرضه أو بعد مكاتها الى تخفيض الايجار أو كان عليه أن يترك
أرضه بغير زراعة فى ذلك العام.

ولكن اراضى الدولة والامبراطور فكانت محصنة ضد هذا المصير
حيث كان يفرض على اراضى الخواص من الجيران أن يقوموا بزراعتها. بل
حدث فى حالات المساحات الكبيرة أن فرضت الاراضى على القرية أو القرى
المجاورة، وكان ذلك يتم عن طريق السخرة.

ونتيجة لطبيعة العمل الزراعى تبدو القرية للزائر الغريب ساكنة.
ولكن هذا الهم سرعان مايبدده إكتشاف الزائر لوجود نشاط من كل نوع
حرفيون يعملون واطفال يلعبون وزوجات تنجن اعمال المنازل أو تثرثن .
وبعض المشاحنات تثور فجأة بسبب اضرار حقيقية لومفتعلة.

وليس هناك ما يمنع وجود لمن يحاول إستغلال الموقف بسرقة سريعة.

ولدينا عدد من الوثائق البردية تذكر حدوث جرائم سرقات وعنف وإنكار بعض الحقوق. ومع ذلك فالمؤكد أن الأصل في العلاقات الانسانية في القرية كان الانسجام والتعاون. ولدينا خطاب من القرن الأول نرى فيه رجل يتوسل لأبيه من أجل العناية بزوجة صديق له عندما يقترب موعد وضعها لوليدها نظرا لغياب زوجها. وخطاب آخر من القرن الثاني يحمل عواطف دافئة تجاه معارف في مناسبة زفاف إبنهم.

وأخيرا تلقى نظرة على المستوى الثقافي في القرية والمؤكد أن الامية كانت منتشرة بشدة. ولكن يجب أن نلاحظ أن الامية هنا ربما كانت تعني أمية باللغة الاغريقية ومع ذلك فلن ممارسة الكتابة بالخط الديسوطيقي بدأت في الاختفاء في القرن الثاني الميلادي.

ومع ذلك فقد عثر على مايدل على وجود البعض ممن يمكنهم قراءة وتقدير الأدب الاغريقي. ويؤكد ذلك العثور على أجزاء من المؤلفات الاغريقية بين أطلال بعض القرى. وكما رأينا من قبل فإن العدد القليل من القرويين الاثرياء كانوا يسيلون الى تقليد حياة أبناء عواصم المحافظات وهذا الميل يشمل السعى لتعليم أبنائهم تعليما إغريقيا. ولكن الجو السائد في القرية المصرية على العصر الروماني ظل أميا. ومن هنا ظهرت وظيفة الكتبة المحترفين الذين كانوا يكتبون للناس معاملاتهم وخطاباتهم وتعطي

كتاباتهم إنطباعاً بأن الأغلبية العظمى منهم يستطيعون أداء وظيفة الكاتب فقط دون أن يكونوا مثقفين.

الزراعة:

الواقع أن مصر هبة النيل ولولاها لكانت أرض مصر صحراء مثل الأراضي التي تقع شرقها وتلك التي تقع غربها، والفيضان السنوي المنتظم كان يغطي الوادي حتى يشبه البحيرة لا تقطعها سوى المدن والقرى المقامة على أراض مرتفعة، وكان الرخاء في مصر يرتبط بارتفاع النهر إلى ستة عشر ذراعاً ولكن إرتفاع النهر أكثر أو إنخفاضه بشدة كان يحمل المخاطر. ولدينا دليل من عام ١٩ ميلادية عن حدوث مجاعة في مصر جعلت تراجان يعيد بعض السفن المحملة بالقمح إلى مصر. ولأهمية النيل عرفت مصر مقاييساً لقياس إرتفاع الماء.

والزراعة في مصر في ذلك الوقت إتبعت في الوادي نظام ري الحياض حيث كان الماء يغطي الوادي ثم ينسحب بعد انتهاء الفيضان إلى داخل حدود النهر. فيقوم الفلاحون ببذر البذور. أما في الأرض الأكثر إرتفاعاً فكان يستخدم طنبور أرخميدس ويؤكد ديودورس استخدامه في الدلتا. ولكن آلة الرفع القديمة كانت أكثر إنتشاراً وهي الشادوف ومع ذلك فلن مهارة الإنسان لم تستطع أن تنتج محصولاً معتاداً في عام ينخفض فيه ماء النيل عن الحد الأدنى المطلوب.

والسنة الزراعية في مصر تبدأ من شهر توت (٢٩ أغسطس) وتضم ثلاثة مواسم: الفيضان ثم البذر ثم الحصاد. وأهم المحاصيل المصرية القمح والشعير والأول يستخدم لإنتاج الخبز والثاني في صناعة البجعة، فضلا عن زراعات نقدية كالكروم والخضروات والزيتون والبردى. والفلاح رجل يقوم بكل أعمال الزراعة ومع ذلك فهناك متخصصون في تقليم الكروم، وإن كان لا يجب أن نتصور تفرغهم لمثل هذه الوظيفة.

اهتم الفلاحون بتوثيق إتفاقاتهم مثل عقود الإيجار التي كانت لها صيغ محددة لضمان الحقوق والالتزامات بل وبعض الشروط الجزائية لمن يخالف نصوصها.

ورغم عمل الفلاح وإنتاجه لكافة المحاصيل فقد كان يتعرض للظلم فلا يبقى له من محاصيله بعد أداء الإيجار للأفراد أو الدولة والديون المتراكمة عليه أثناء العام الزراعي وإيجارات الأدوات والحيوانات والأفراد الذين يستعين بهم وأجور نقل محصوله إلى مخازن الحكومة ثم إلى الميناء النهري أقول لا يبقى له بعد كل ذلك ما يكفيه لطعامه ولدفع التزاماته تجاه الحكومة من ضرائب رأس وغيرها.

ولا يجب أن نذكر الزراعة دون أن نشير إلى حيوانات الحقل والدواجن التي إعتنى بتربيتها الفلاح المصري ومنها الأبقار والأغنام والماعز والخنازير وحيوانات الحمل كالجمل والحمار التي كان يستخدم جلودها فضلا عن وفرة من الطيور كالأوز والحمائم والدجاج الخ....

انتاج البضائع والخدمات:

كانت مصر مشهورة بصناعتين من صناعاتها وهما الكتان وورق البردى وفي القرن الثالث ونتيجة للطلب الخارجى وسعت مصر انتاجها من اللزجاج وأصبحت بجانب سوريا- مصدرا كبيرا لتلك السلعة. تركزت هاتان الصناعتان في الدلتا ولذلك فنحن نعرف قليلا من المعلومات عنهما بسبب قلة الآثار نسبيا بسبب الرطوبة، ومن ناحية أخرى فإن صناعة النسيج موثقة جداً وبالرغم من نمو عدد من المصانع الكبيرة فإنها بقيت صناعة منزلية، تصارع في كافة أنحاء البلاد. وكان النساجون للأنواع الفخمة من الكتان والذين يقومون بتدريب الصبية كانوا أروستقراطير الحرفة، التي كانت وراثية، ومع ذلك فالأولاد والبنات من عائلات أخرى -أحرارا وعبدا- كانوا يبدلون التدريب ويتدربون عليها فيما بين العاشرة والثالثة عشر. وكان التدريب يمتد لعامين.

ولدينا عقود تسجيل تدريب صبية عند بنائين ونحاسين وصناع الحصر والمسامير والزمارين وقص صوف الغنم وغزل الصوف. بالإضافة الى وثيقة تتحدث عن ستة من العبيد يتعلمون الإختزال والنسخ والسكرتارية وكاتب خطابات وطباخ وحلاق وعامل اصلاح.

والصناع الذين غالبا ما يظهرون في أوراق البردى في العصر الروماني هم البنائون وقاطعو الاحجار وصانعو الطوب والتجارون وعمال

الفخار وعمال المعادن والخبازون والجزاريون والحلاقون وصانعو الاحذية والصباغون والقائسون على رتق الملابس وعمل تطريز الملابس بعد النسخ، ثم ياتى بعد ذلك التجار وأصحاب المخازن وكان معظمهم يتعامل فى منتج واحد كبيع الزيت أو الخضروات أو الصوف أو الفاكهة وهكذا. ومع ذلك كانت هناك سوق لكل البضائع يباع فيه فى نفس اليوم سمك مدخن وخبال ومخدرات ونشا وحديد مشغول وأرجل مقاعد وصبغة الأرجوان وسلال السمك وفتيل الاضاءة.

كانت هذه هى المهن والحرف التى خدمت الاحتياجات الأكثر أهمية فى الحياة اليومية ومسك الختام الحانوتى والقائم على التحنيط وحافر القبر. وكانت هناك مهن كثيرة إنتظم أصحابها فى نقابات وتخبرنا الوثائق عن وجود نقابات لسانقى الحمير والقماشين والصباغين والنساجين وعمال الفخار وعمال الزجاج وتقاشو الكتابة الهيروغليفية وقادة المراكب النيلية والبحارة وصناع الاحذية وتجار الملح وآخرين لم تسجل مهنهم. وانشئت فى القرن الرابع الميلادى نقابات لصناع الخبز ولحامى البرونز وتجار البيرة وتجار الزيت وهناك أخيرا مهنة المربية. المربية تأخذ الرضيع الى مكان إقامتها، مع وعد باطعامه وكسوته وإمداده بكل شئ ضرورى للحفاظ على حياته. وإن مات أثناء فترة العقد فهى مرغمة أن تأخذ طفلا آخر لى ترضعه، بدون أجر إضافى. وبالإضافة الى شروط العقد الأصلي أحيانا يجرى تحديد أمور أخرى (فلكى لايفسد لبنها لايجب أن تكون لها علاقة بأى

رجل ولا ان تصبح حاملا ولا ان ترضع طفلا اخر) وكان اجرها اجر عامل غير ماهر. يدفع لها جزء مقدما والباقي على أقساط شهرية.

وكان هناك جميعه لفنانى المسرح تمتع أعضاؤها بالحصانة الشخصية والسبقية الجلوس فى المسارح وغيرها والاعفاء من الخدمة العسكرية والاعفاء من الإلتزامات وعدم خضوع مكاسبهم للضرائب والحق فى ألا يجبر على إيواء أجانب لمو أن يعتقل تحت أى دعاوى أو يكون عرضة لتوقيع عقوبة الاعدام عليه.

وبالنسبة للرياضيين كانوا يتمتعون بالشهرة والجوائز المالية وشهادات مواطنة فخرية ودخول كبيرة طول الحياة بالإضافة الى الاعفاء من الضرائب والخدمات العامة الإلزامية.

وقبل أن نختتم هذا الفصل نلقى نظرة سريعة على أصحاب المهن العلمية والأطباء الذين يظهرون فى الوثائق. ورغم عدم ذكر القابلة فى آلاف البرديات إلا مرة واحدة فلن هذه المرة كافية لتذكيرنا بأن الفلاحين المصريين كانوا يلجأون اليها فى إحتياجاتهم الصحية. أما الادوية فأغلبها نباتي. وهناك إشارة عدة مرات للطبيب البيطرى. والمعروف أنه لم تكن هناك دراسة منتظمة لتخريج طبيب بيطرى ولكن كان هناك لتجريب تحت إشراف صاحب خبرة. وقد عثر على أكثر من خمسين قطعة من أعمال طبية.

وما نعرفه عن النحامين أقل ما نعرف عن الأطباء.

تعداد السكان والضرائب والخدمات الإجتماعية :

تخلى أغسطس عن نظام التسجيل السنوي للسكان الذي كان متبعا بمصر أيام البطالة وأقر بدلا عنه نظاما لتعداد السكان كل ١٤ سنة. وطول الفترة الزمنية يمثل الرقم المطابق للعمر الذي يتوقف عنده إعتبار الذكور المصريين قصرا ويسجلون لدفع ضريبة الرأس. وكان تعداد الأشخاص يتم تعديله طبقا للتغيرات التي تحدث من عام لآخر بمعرفة كاتب المدينة أو القرية.

أما نظام الضرائب فإننا نواجه مجموعة هائلة من الضرائب والضرائب الإضافية التي تفرض على الفرد والأرض والمهن والخدمات والمبيعات والتمويلات وحركة البضائع والناس والملكية العقارية والشخصية.

ومع ذلك فإن وطأة الحكم الروماني إستشعرها الناس ليس بسبب زيادة عدد الضرائب وإنما بسبب زيادة كفاءة التحصيل حتى يقال أن تيبيريوس الخليفة المباشر لأغسطس وبخ حاكم مصر لأنه أرسل إلى روما إيرادات ضرائب تزيد عن الحصة المحددة فكتب يقول له "أريد أن يجز صوف شيأى لا أن تسلم جلودها أحياء".

وكان الرومان قساة في جمع الضرائب كما يتضح من الوثيقة التالية التي كتبها شاهد عيان "عين مؤخرا في منطقتنا جابى ضرائب، عندما يتأخر بعض الرجال في دفع الضرائب بسبب الفقر ويهربون خوفا من

العقاب كان ينزل العقاب بزوجاتهم وأطفالهم وأقاربهم ضربا ووطئا بالاقدام ... وكافة أنواع الامتهان ... ولكن جاني الضرائب لم يكن يتركهم قبل أن ينهك أجسادهم بالعصر والعذاب أو أن يقتلهم بطرق جديدة للموت. وعندما لايرجد أقارب كان يمتد العذاب الى الجيران وأحيانا كان يسجن قرى بأكملها. وسرعان ماتصبح القرى مهجورة وتخلو من سكانها

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان على الناس أن يقدموا إمدادات إضافية من الطعام والمعدات والنقل لدعم حروب الامبراطورية الخارجية فضلا عن إعاشة وإستقبال الزوار المهمين وحاشياتهم وكانت الأخيرة تشمل جولة الحاكم وحاشيته سنويا.

وفي مصر طور الرومان نظاما للخدمات لم يكن له نظير في شموله في أنحاء العالم القديم، فكان يصل الى أبعد القرى ويفرض الخدمة على كل مستويات السكان.

وكما كان الحال بالنسبة للضرائب هناك من تمتع بالاعفاء من الخدمات مثل المواطنون الرومان وأغريق الحضرة والرياضيون وأصحاب الجوائز وأعضاء المهن العلمية والأباء لخمسة أبناء والأشخاص الذين يعملون بهمهن تعتبر ضرورية. وكان يتم إعفاء بقية أفراد الأسرة إن كان لديهم من هو مكلف بخدمة حتى ينتهى منها. وكانت النساء والمحاربون القدامى وبعض الكهنة والمسنون والمرضى معفون من الخدمات التي تتطلب جهدا

بدنيا.

واكتمل نظام الخدمات الالزامية على عهد تراجان عندما حول كثيرا من الضرائب الى خدمات إلزامية. نعرف حتى الآن حوالي مائة خدمة إلزامية كان يكلف بها الأشخاص مثل موظفي ورجال الشرطة في القرية أو المدينة وجباة الضرائب وناقلي الحبوب ومفتشي الفيضان والحقول ومراقبي الاعمال العامة وتحصيل الضرائب والقيام بامداد الموظفين الزائرين بخاجاتهم ورجال البنوك بتسليم الأموال العامة، والأوصياء على القصر وأعضاء مجلس العاصمة والموظفين السامين بها. كانت مدة التكليف الالزامي تتراوح ما بين عام وثلاثة أعوام يعفى بعدها الشخص من تكاليف أخرى لفترة سنوات ولكن تحت ضغط الظروف كانت الفترات البينية تختصر.

وكان المكلف بخدمة إلزامية توضع أمواله وأملكه تحت الحجز لصالح الدولة، وكان يؤدي قسما بالاخلاص، بالإضافة الى عدد من الضمانات الأخرى منها ضمانه الأشخاص الذين رشحوه. وإذا جاوز خطأ القائم على التعمين حسن النية كان من الممكن إلزامه بدفع قيمة الأضرار.

والواضح أن الخدمات الالزامية كانت شيئا يسمى الناس الى تجنبه حتى لجأ الناس الى رشوة القائمين على الاختيار لتجاوزهم ومن كان يفشل في تجنب ذلك كان يتنازل لمن يقبل القيام بالخدمة بدلا عنه عن جزء من ماله بل وفي فترات الانهيار الاقتصادي في القرن الثالث من كل ماله.

وعندما كان يزداد الميئ على المصرى كان يهرب من قريته ويلجأ الى الصحراء. وقد استمر الرجال يهربون خلال كل قرون الحكم الرومانى واستمرت الحكومة تحصد مازرعته يديها قلة فى الأيدى العاملة وتدهور فى الايرادات، وحالة تعبئة عسكرية نشيطة ضد عصابات السرقة المتعددة التى كونها الهاربون من مكان الى آخر.

المعبودات والعبادات:

عاش فى مصر على العصر الرومانى أجناس شتى وكل جنس جاء الى مصر بثقافته ومعبوداته. إنتشر هؤلاء فى أصقاع مصر من أقصاها الى أقصاها وكان عليهم أن يتقربوا لمعبوداتهم بالصلوات والاحتفالات والقرايين من وقت آخر. لم يكن هذا متاحاً حيث المعابد المنتشرة كانت مصرية ومخصصة لمعبودات مصرية ولذلك كان على الاجناس الوافدة أن تتكيف مع الواقع الجديد وأن تستفيد بتجربة الاغريق الذين واجهوا نفس المشكلة قبل ثلاثة قرون. وفى النهاية بحثوا عن المعبودات المصرية التى تماثل صفات معبوداتهم وقدموا لها القرايين بأسماءها المصرية أو بأسماء شبيهاتها الاغريقية. وفعلت الاجناس المتعددة ما فعله الاغريق من قبل. فصاروا يقدمون القرايين للآلهة المصرية المقابلة لآلهتهم بأسمائها المصرية أو بأسمائها فى تراثهم الخاص. وكان التنوع كبيراً فهناك الرومان وهناك أجناس من منطقة الهلال الخصيب ومن آسيا الصغرى فضلاً عن الاغريق والمصريين.

ونجد ديودور الصقلي يذكر في هذا الموضوع أن نفس الآلهة التي يسميها البعض إيزيس ويطلق عليها آخرون ديمتير والبعض يسميها مانحة القانون وسيلين (القمر) وهيرا، والبعض يدعونها بكل هذه الألقاب مجتمعة وأطلق البعض على أوزوريس ديونيسوس والبعض أطلق عليه اسم بلوتو أو آمون وعدد يسمونه زيوس وكثيرون يسمونه بلن.

ثم أضيف إلى هذه المعبودات عبادة الأباطرة. وكانت تقام لها احتفالات في المعابد بالإضافة إلى الأعياد الدينية المصرية. وسواء كانت العقيدة المصرية تقام في البيوت أم في خارجها، جماعة أو فرادى، فإنها كانت مشبعة بالعناصر السرية والسحرية.

وفي العصر الروماني كانت القاعدة هي إتباع سياسة التسامح الديني ولذلك استمر سكان مصر يعبد كل منهم آلهته، وإن تعرض اليهود لبعض المتاعب بسبب رفض عقيدتهم تقديس الأباطرة أو آلهة الرومان ولكن الجديد في ميدان العقيدة في مصر حدث مع دخول المسيحية فقد حارب أباء الكنيسة منذ أيامها المبكرة عبادة الحيوان وسعى المسيحيون بعد الاعتراف بالمسيحية ديناً رسمياً إلى محاولة القضاء على الوثنية وساعدهم أن الإمبراطور ثيودوسيوس (٢٧٩-٢٩٥) فرض المسيحية كدين وحيد في الإمبراطورية. ونفذت الحكومة والرهبان هذه القرارات بحزم وحسم فأغلقوا المعابد بل وصل الأمر إلى هدم المعابد كان ذلك في الاسكندرية والدلتا. ولكن سلطة الحكومة كانت قاصرة في الوجهة القبلى عن تحقيق ذلك بدقة

ومع هذا تجد على جدران المعابد حتى اليوم بقايا محاولات إزالة صور
المعبودات القديمة (١).

(١) نقالي (لويس ، ترجمة فوزى مكارى ، مصر الرومانية ، القاهرة ١٩٦٢ م.
فوزى مكارى وآخرون ، مصر تحت حكم الرومان ، القاهرة ١٩٨٧ م.
إدريس بل ، الهلينية في مصر من الاسكندر الى الفتح العربى ، ترجمة زكى على
دار المعارف القاهرة.

خاتمة

تعتبر نهاية القرن الثالث نهاية للعصر الروماني حيث انقسمت الامبراطورية بعد تنظيمات دقلديانوس السياسة الى نصفين شرقي وغربي. وبدأ النصف الشرقي الذي اتخذ عاصمته في القسطنطينية يحيى تقاليد الحضارة الاغريقية ودخل الشرق في عصر اصطلح على تسميته بالعصر البيزنطي. وهو موضوع يتعدى المدى الزمني لاهتمام هذا الكتاب.

مكتبة البحث ..

الشرق خلال العصر الهلينستي

أولاً: مراجع باللغة العربية:

- إدريس بل ، الهلينية في مصر من الاسكندر الى الفتح العربي
ترجمة زكي علي ، دار المعارف بالقاهرة.
- زكي علي ، كليوباترة ، القاهرة بدون تاريخ.
- فوزي مكاوي ، تاريخ الإغريق ، دار البيضاء ١٩٨٠م.
- فوزي مكاوي ، قبرص تحت حكم البطالة ، طنطا ١٩٨٥م

ثانياً: مراجع بلغات أجنبية:

- E. Badian, "Alexander the Great", *The Classical World* 65 (1971), 37-56 and 77-83..
- B. Bar-Kochva, *The Seleucid Army* (Cambridge, 1976).
- E. J. Bickerman, *Chronology of the Ancient World* (London, 2nd ed., 1980).

(*) راجع أيضاً مآذكر من مراجع لغرى فى الهوامش.

- D. J. Crawford, *Kerkeosiris: an Egyptian village in the Ptolemaic period* (Cambridge, 1971).
- W. S. Ferguson, *Hellenistic Athens* (London, 1911).
- P. M. Fraser, *Ptolemaic Alexandria*, 3 vols. (Oxford, 1972).
- P. Green, *Alexander the Great* (London, 1970).
- G. T. Griffith, *The Mercenaries of the Hellenistic World* (Cambridge, 1935).
- N. G. L. Hammond and G. T. Griffith, *A History of Macedonia*, vol. 2 (Oxford, 1979).
- E. V. Hansen, *The Attalids of Pergamum* (Ithaca, N.Y., 2nd ed., 1971).
- A. H. M. Jones, *The Greek City from Alexander to Justinian* (Oxford, 1940).
- Id. and others, *The Cities of the Eastern Roman Provinces* (Oxford, 2nd ed., 1971).
- R. Lane Fox, *Alexander the Great* (London, 1973).
- J. A. O. Larsen, *Greek Federal States* (Oxford, 1968).
- H. I. Marrou, *Histoire de l'éducation dans l'antiquité* (6th ed., 1965).
- O. Mørkholm, *Antiochus IV of Syria* (Copenhagen, 1966).
- H. A. Ormerod, *Piracy in the Ancient World* (Liverpool, 1924).
- C. Préaux, *Le monde hellénistique. La Grèce et l'Orient (323-146 av. J.-C.)*, 2 vols. (Paris, 1978).

M. Rostovtzeff , *The Social and Economic History of the Hellenistic World*, 3vols (Oxford,1941).

W. W. Tarn, *Alexander the Great*, 2vols. (Cambridge,1948).

W. W. Tarn and G.T.Griffith, *Hellenistic Civilization* (London,3rd ed ., 1952).

W. W. Tarn, *Antigonos Gonatas* (Oxford,1913).

F. W. Walbank, *Aratos of Sicyon* (Cambridge,1933).

Id. *Philip V of Macedon* (Cambridge,1940).

id. *The Hellenistic World* (London,1981).

الشرق خلال العصر الروماني

أولا : مراجع باللغة العربية:

- إدريس بل ، الهلينية في مصر من الاسكندر الى الفتح العربي ، ترجمة زكي على ، دار المعارف بالقاهرة.
- السيد احمد الناصري ، الامبراطورية الرومانية ، القاهرة
- رستوفتزهف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ، ترجمة زكي على ومحمد سليم سالم ، القاهرة.
- زكي على ، كليوباترة ، القاهرة ، بدون تاريخ.

• عبد اللطيف احمد على، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء
الاوراق البردية، القاهرة.

• فوزى مكاوى ، تاريخ الرومان ، القاهرة ١٩٩٢م.

• فوزى مكاوى وآخرون، مصر تحت حكم الرومان ، القاهرة ١٩٨٧م.

• نفتالى لويس، ترجمة فوزى مكاوى، مصر الرومانية، القاهرة ١٩٩٢م

• ول ديورانت، قصة الحضارة ج ١١ قيصر والمسيح، القاهرة ١٩٧٢م.

ثانياً: مراجع بلغات أجنبية:

The Cambridge Ancient History, edited by S.A.Cook,F.E.Adcock and
M.P.Charlesworth: vii, *The Hellenistic Monarchies and the Rise of
Rome*(1928) :viii, *Rome and the Mediterranean*,218-133B.C.(1930)
; ix, *The Roman Republic*,133-44 B.C.(1932) ; x, *The Augustan
Empire* , 44 B.C.-A. D. 70 (1934) ; xi, *The Imperial Peace*, A. D.
70-192. (1936) ; xii, *The Imperial Crisis and Recovery*, A.D.193-
324 (1939).

M. Grant, *The World of Rome* (1960).

A. H. M. Jones, *The Later Roman Empire*, 284-602(3vols, 1964).

A. H. M. Jones, *A History of Rome through the Fifth Century* :i, *The
Republic*.(1968) ; ii, *The Empire* (1970).

N. Lewis and M. Reinhold , *Roman Civilisation* : i , *The Republic*
(1951) ;ii, *The Empire*(1955).

A. H. McDonald, *Republican Rome* (1966).

Methuen's *History of the Greek and Roman World*, edited by M. Cary: iv, *A History of the Roman World, 753-146 B.C.* by H.H. Scullard (3rd ed. 1961); v, 146-30 B.C. by F.B. Marsh (3rd ed. revised by H.H. Scullard, 1963); vi, 30 B.C.-A.D. 138 by E.T. Salmon (5th ed. 1966); vii, A.D. 138 - 337 by H. M. D. Parker (2nd ed. revised by B.H. Warmington, 1958).

P. Millar, *The Roman Empire and its Neighbours* (1967).

Th. Mommsen, *The History of Rome* (Engl. trans. 1911), i.e. of the Republic; old, but a classic.

M. Rostovtzeff, *A History of the ancient World*, ii, Rome (1927, revised by E. Bickerman, 1961).

M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Roman Empire* (2 vol, 2nd ed. 1957, by P. Fraser).

J. Vogt, *The Decline of Rome* (1967).

المحتويات
الكتاب الأول
الشرق خلال العصر الهلنستي
٢١١ - ١

رقم الصفحة	الموضوع
١	١ - سيطرة مقدونيا وهداية مصر الهلنستي
٢٥	٢ - عصر خلفاء الاسكندر وحروب الخلافة
٦٦	٣ - تحرة توارث القوى في العالم الهلنستي
٩٠	٤ - تدهور السالك الهلنستي
١١٨	٥ - حكومات العالم الهلنستي
١٤٤	٦ - المدن الاغريقية والاتحادات الفدرالية
١٥٢	٧ - الحياة الاقتصادية في مصر الهلنستي
١٦٢	٨ - السكندريين
١٧٦	٩ - المنسلاوم
٢٠٣	١٠ - التعليم
٢١٢	١١ - الفن والعمارة في مصر الهلنستي

الكتاب الثاني
الشرق خلال العصر الروماني
٢٢٠ - ٣٠٢

٢٢٠	١ - الشرق تحت الحكم الروماني
٢٣١	٢ - الشرق في سياسة الامبراطورية الرومانية
٢٥٥	٣ - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الشرق خلال عصر الامبراطورية الرومانية
٢٧٤	٤ - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر خلال عصر الامبراطورية الرومانية
٣٠٣	الخاتمة
٣٠٤	مكتبة البحث



0261812

To: www.al-mostafa.com